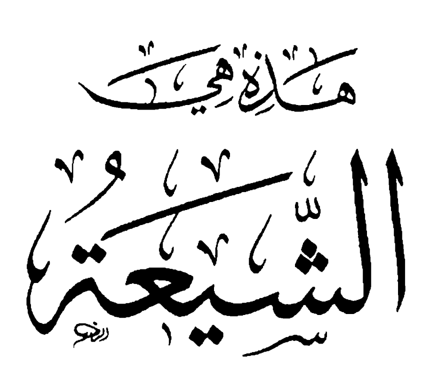
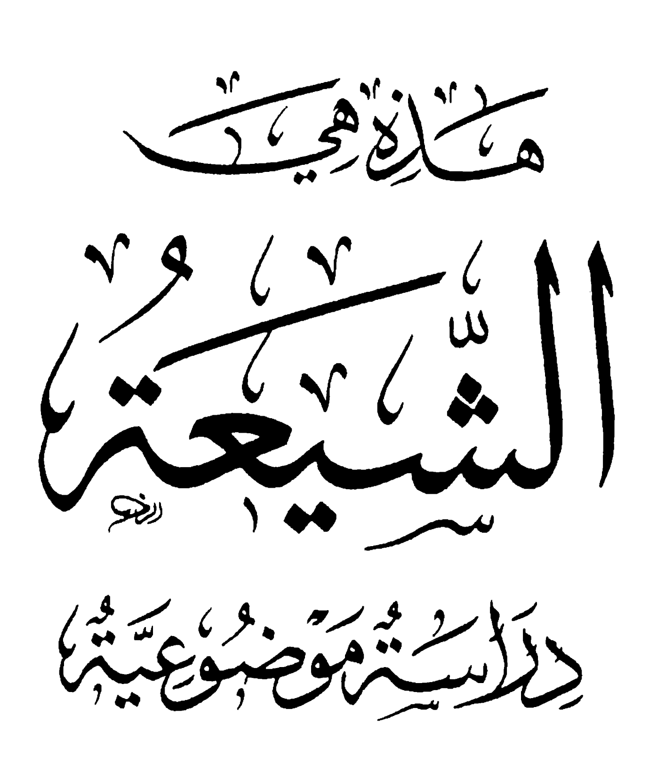
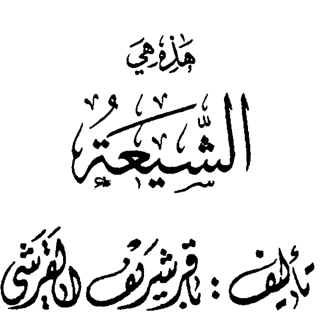

هذه هي
الشيعة
تأليف
باقر شريف القرشي


هذه هي
الشيعة



تأليف
باقر شريف القرشي



الناشر : .... ماهر

المطبعة : .... ستاره

الطبعة الأولى : ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

عدد النسخ : .... ١٠٠٠ نسخة

ISBN 978 _ 600 _ 5688 _ 08 _ 5

ردمك ٩٧٨ ـ ٦٠٠ ـ ٥٦٨٨ ـ ٠٨ ـ ٥



﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

المائدة ٥: ٥٦

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَاتَذَكَّرُونَ ﴾

الأعراف ٧: ٣

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

التوبة ٩: ١١٩

الإهداء

إلى الذين يهمّهم التعرّف علىٰ أتباع مذهب

أهل البيت عليهم السلام ارفع لهم هذا المجهود

تقديم

١

هذه بحوث عن الشيعة أُريد أن أخلص فيها للحقّ مهما استطعت إليه سبيلاً ، لا أخضع فيها للعاطفة ، ولا أجنح لهوى ، ولا أستجيب لأيّ عامل من عوامل الوراثة والبيئة ، وإنّما أرسم بأمانة وإخلاص ما تؤمن به ، وتلتزم به هذه الطائفة في إطارها العقائدي ، وغيره من سائر شؤونها الدينيّة والسياسيّة حسبما أعلنته مصادرهم والمصادر الموثوقة التي هي المقياس في البحوث الحرّة التي يُكتب لها النجاح في معالجة قضايا الفكر والإصلاح .

٢

إنّ البحث عن عقائد أيّة طائفة يجب أن يكون نزيهاً وبعيداً عن التيّارات المذهبيّة والأحقاد الطائفيّة ، ومن الطبيعي أنّه إذا لم يخضع لذلك فإنّه لا يكون موضوعيّاً ، ويمنى بالفشل وعدم النجاح ... لقد كتب رهطٌ من المؤلّفين بحوثاً عن الشيعة ، إلّا إنّ معظمها ـ مع الأسف ـ لم يكن واقعيّاً ولا نزيهاً ، ولا سيّما من الدسّ والإفتراء ، فقد ألصقوا بهم ـ عن عمد أو جهل ـ بعض التّهم الرخيصة والطعون الباطلة التي ما أنزل الله بها من سلطان .

٣

إنّ الفكر الشيعي بجميع شرائحه وأنواعه، سواء أكان دينيّاً، أم سياسيّاً، أم تربويّاً، مستمدّ من أهل البيت عليهم السلام ومأخوذ عنهم، وممّا لا ريب فيه أنّ الأئمّة العظام من ألصق الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، ومن أكثرهم التزاماً بحرفيّة ما جاء عنه، فحديثهم في شؤون الشريعة وأحكام الدين إنّما هو من صميم الإسلام، ومن أعلى مستوياته وليس دخيلاً عليه.

٤

إنّ قادة الشيعة هم أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وهم بإجماع المسلمين من أئمّة المتّقين، ومن عظماء المصلحين... قد حفلت سيرتهم بالنور، وبكلّ ما تعتزّ به الإنسانيّة من القيم الكريمة والمُثل السامية، لا يدانيهم أحد في فضلهم، ولا في سموّ منزلتهم، أوّلهم سيّد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله، وآخرهم مهدي آل محمّد عجل الله فرجه الشريف.

وهم جميعاً سفن النجاة، وأمن هذه الأمّة، ومصدر سعادتها، ومصباح هدايتها، قد فرض الله تعالى مودّتهم، وقرنهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بمحكم التنزيل، وجعلهم كباب حطّة الذي من دخله كان آمناً، ومَن تخلّف عنه تعرّض لسخط الله ونقمته، وسنتحدّث عن سموّ مكانتهم في فصول هذا الكتاب.

٥

وليس في ولاء الشيعة لأئمّتهم أي غلوّ أو إفراط في الحبّ، كما يتّهمهم بذلك خصومهم، وإنّما كان ولاؤهم متّسماً بالتوازن، فهم يدينون بأنّ الأئمّة من عباد الله المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، قد منحهم الله الحكمة وفصل الخطاب، وعصمهم من الفتن والأهواء التي يتردّى فيها جهلة الناس، ويؤكّد ذلك ويدلّل عليه سيرة الأئمّة الطاهرين وسلوكهم المشرق، وما أُثر عنهم من الانقطاع إلى الله تعالى، والإنابة إليه، والزهد في الدنيا والإعراض عن مباهجها، والتحلّي بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، وسائر النزعات الشريفة والغرائز الكريمة التي توجب مودّتهم، والإخلاص لهم إخلاص للحقّ ومودّة للشرف.

٦

أمّا مدى حبّ الشيعة وولائهم لأئمّة أهل البيت عليهم السلام، فإنّ من أهمّ مظاهره أخذ أحكام الدين منهم، والتديّن بما جاء عنهم في عالم التشريع، ولم يذهب أحد من علماء المسلمين إلى أنّ العمل بذلك باطل، وغير مجزٍ عن الواقع، ويجب إعادة العمل الذي كان على وفق آرائهم، ومن الطبيعي أنّه ليس في هذه الظاهرة أي غلوّ أو بُعد عن الدين.

ومن مظاهر ولاء الشيعة لأئمّتهم إقامة العزاء على ما جرى عليهم من الظلم والتنكيل من حكّام عصورهم الذين كانوا لا يرجون لله وقاراً، فقد صبّوا عليهم جام غضبهم، وجرّعوهم أقسى ألوان المحن والخطوب.

ومن المؤكّد أنّ عرض ذلك على المجتمع يعود عليه بالخير العميم، فإنّه يذكّرهم ما جرى على تلك الذوات الطاهرة من الكوارث في سبيل إنقاذ الناس من الظلم، وتحريرهم من الذلّ والعبوديّة.

وهناك فائدة أُخرى من إقامة مجالس العزاء والمآتم هو ما يعرضه السادة الخطباء من الدعوة إلى الله تعالى، والحثّ على فعل الخير، والتحذير من اقتراف المعاصي، فهي في الواقع مدارس لتهذيب الأخلاق وتنمية الأفكار.

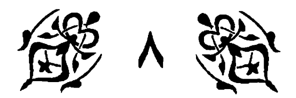
٧

الشيعة أوّل طائفة تمرّدت على الظلم والطغيان، وتبنّت القضايا المصيريّة للشعوب الإسلاميّة، وتصدّت للدفاع عن حقوق المظلومين والمضطهدين، وأعلنت العصيان المسلّح على كثير من حكّام الجور وأئمّة الضلال، وكان في طليعتهم أبو الأحرار وسيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام الذي ثار على طاغية زمانه يزيد بن معاوية الذي أعلن الكفر والإلحاد، وتنكّر لحقوق المسلمين، واتّخذ مال الله دولاً، فرفع الإمام العظيم راية الثورة، واستشهد من أجل إعادة الحياة الحرّة الكريمة للناس.

وقبل الإمام ثارت كوكبة من أعلام الشيعة على حكومة معاوية أمثال الصحابي الجليل حجر بن عدي وإخوانه الممجّدين، الذين أرادوا إنقاذ الشرف من الطغمة الأمويّة الحاكمة التي جهدت على إذلال المسلمين، وإرغامهم على ما يكرهون.

لقد حفل تاريخ الشيعة بالثورات العارمة التي استهدفت إنقاذ

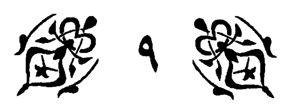
المسلمين من الاستبداد ، وتطوير حياتهم السياسيّة والاقتصاديّة .



وعانت الشيعة في العصر الأموي والعباسي أعنف المشاكل ، وأقسى ألوان المحن والخطوب ، فقد قلعت منهم العيون ، وصُلبوا على جذوع النخل ، وهدّمت دورهم ، وردّت المحاكم شهاداتهم ، وحرموا من أبسط الحقوق السياسيّة والاجتماعيّة ، وظلّوا مع ذلك صامدين رافعين لواء المحبّة والولاء لأهل البيت عليهم‌السلام .

لقد عمد حكّام الأمويّين والعبّاسيّين إلى التنكيل بالشيعة ومحاربتهم بجميع وسائل العنف والإرهاب ، وكان مبعث ذلك هي المبادئ التي تبنّتها الشيعة ورفعت شعارها ، فهي لا ترى الحكم القائم في تلك العصور شرعيّاً ، ولا مستنداً إلى اختيار الأمّة وانتخابها ،كما لم تتوفّر في معظم اُولئك الملوك النزعات الكريمة والصفات الرفيعة التي يجب أن تكون ماثلة في ولاة اُمور المسلمين ،كالعدالة ، والتقوى ، والإحاطة بما تحتاج إليه الاُمّة في الميادين الاجتماعيّة والاقتصاديّة ، والتفقّه في اُمور الدين ، والاحتياط في أموال المسلمين ، وتبنّي قضاياهم المصيريّة .

ومن المؤكّد أنّ اُولئك الملوك لا يملكون أي رصيد من هذه الاُمور ، فلم ترَ الشيعة شرعيّة حكمهم ، فلذا تعرّضت لسخطهم ونقمتهم .



من المؤكّد في علم الاجتماع أنّ كلّ فكرة تُقابل بالعنف والاضطهاد من قِبل السلطة لا تدوم طويلاً ، ولا تبقى أكثر من قرن ، والشيعة في

معظم العصور قوبلت بشتّى ألوان الاضطهاد والتنكيل ، وقاست أمرّ ألوان المحن والخطوب ، وهي مع ذلك آخذة بالانتشار ، وكسب الأصدقاء والمعتنقين لمبادئها ، ويعود السبب في ذلك إلى أصالة مبادئها ، وتطوّر أفكارها ، ومسايرتها للفطرة وسنن الطبيعة ، فليس في مبادئها وأحكام تشريعاتها ما يتنافى مع ما قنّن في شريعة الله عزّ وجلّ ، وإنّما كانت تواكب الإسلام في جميع مخطّطاته وأحكامه .

١٠

وامتازت الشيعة عن بقيّة الطوائف الإسلاميّة بالإبداع والتطوّر الذي كان من مظاهره فتح باب الاجتهاد وهو مغلق عند بقيّة المذاهب الإسلاميّة ، وهذه الظاهرة التي هي من خصائص هذه الطائفة ضرورة ملحّة لا غنى عنها ، خصوصاً في هذا العصر الذي تقدّمت فيه العلوم ، وحدثت كثير من المسائل لم تكن معروفة من قبل ، كغرس الأعضاء في جسم الإنسان المعوّق ، وصعود الإنسان إلى القمر ، وما يخصّ معاملاته في البنوك ، وما يأخذه صاحب العقار من السرقفليّة ، وغير ذلك ، فإنّ طريق الاجتهاد مفتوح وتعالج هذه القضايا المستحدثة على ضوء الأُصول العمليّة التي يراها الفقيه الإمامي .

كما أنّ من مظاهر أصالة الفقه الإمامي أنّه جعل للعقل مسرحاً في استنتاج بعض الأحكام التي فُقِد فيها النصّ الشرعي ، أو كان مجملاً أو معارضاً ، فإنّ الفقيه يرجع إلى الأُصول العمليّة المقرّرة للشاكّ عند العمل وقد عرضت لهذه المسائل كتب أُصول فقههم ، ودوّنت في الرسائل العمليّة التي يكتبها الفقهاء لمقلّديهم .

١١

من الجدير بالذكر أنّ الأخبار التي رويت عن أئمّة الهدى عليهم السلام ودوّنت في كتب الحديث خاضعة للدراسة عند فقهاء الإماميّة ، ففيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع ، ولا تؤاخذ الشيعة في إطارها العقائدي بأيّ رواية موضوعة ، كما لا تؤاخذ غيرها من الطوائف الإسلاميّة بذلك .

أمّا فقهاء الإماميّة فإنّهم يبحثون عن سند الرواية على ضوء ما ذكره الثقات من علماء الجرح والتعديل ، كالنجاشي والكشّي والطوسي وغيرهم ، فإذا كان السند صحيحاً لا معارض له ، ودلالة الرواية غير مجافية لنصوص الكتاب والسنّة فيفتي الفقيه على ضوئها .

وقد عرض سماحة المغفور له أُستاذنا الإمام الخوئي نضّر الله مثواه في موسوعته الكبرى معجم رجال الحديث ، إلى دراسة رجال الحديث بصورة موضوعيّة وشاملة ، ذكر فيها ثقات الرواة وضعفاءهم والوضّاعين منهم .

١٢

ولا يعرض هذا الكتاب إلى الطقوس الدينيّة عند الشيعة الإماميّة ، كالصلاة والصوم والزكاة والحجّ وسائر الأحكام الأُخرى من العقود والإيقاعات ، فقد تكفّل لذكرها الفقهاء العظام في رسائلهم العمليّة ، وهي منتشرة في جميع أنحاء البلاد .

وممّا تجدر الإشارة إليه إنّ من محاسن الفقه الإمامي أنّه مأخوذ من

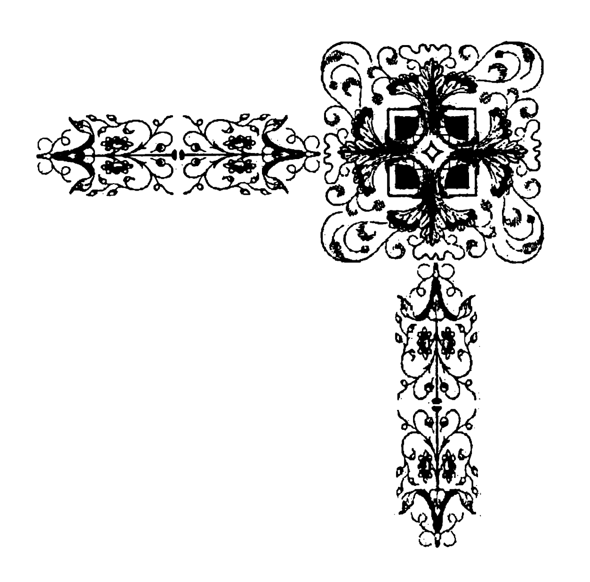
منبع واحد ، وهم أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، ولا توجد في كثير من مسائله أي خلاف بين الفقهاء ، وإنّما الاختلاف في بعض المسائل ، وهو ناشئ ممّا يستفيده الفقيه من ظواهر الخبر أو من أجل جريان الأُصول العمليّة عند فقدان النصّ ، وأمّا فقه سائر المذاهب الإسلاميّة ، فإنّ الخلاف شائع في معظم المسائل كما هو ظاهر في كتبهم الاستدلاليّة وغيرها .

باقر شريف القرشي

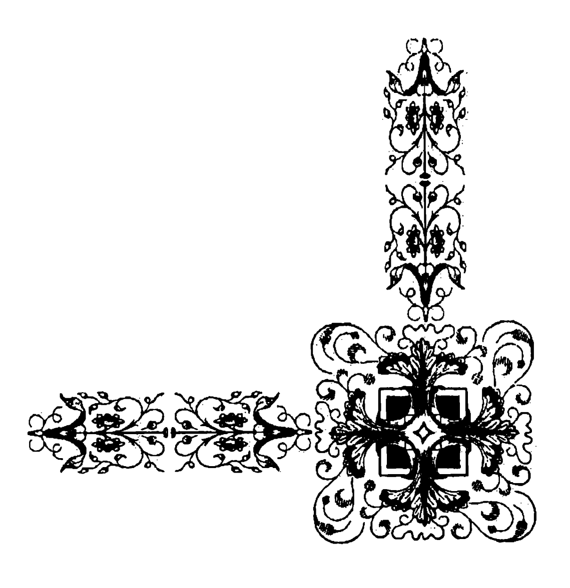
٢٨ رجب ١٤١٥هـ

مكتبة الإمام الحسن العامّة

النجف الأشرف



تأسيس الشيعة



ظهرت الشيعة منذ فجر التاريخ الإسلامي على مسرح الحياة السياسيّة والدينيّة، وقد رفعت شعار المحبّة والولاء لآل بيت النبوّة عليهم السلام، وتبنّت أهدافهم، وآمنت إيماناً لا يخامره شكّ بأنّهم أحقّ بمركز النبيّ صلى الله عليه وآله، وأوْلى بمقامه من غيرهم، وأنّ سيّد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو وصيّ الرسول، وباب مدينة علمه، وخازن حكمته، وإنّ الأئمّة الطاهرين من بعده هم أوصياء الرسول صلى الله عليه وآله، وقادة أُمّته، ومبلّغي رسالته.

كما كان لهذه الطائفة دور كبير في الأحداث السياسيّة والاجتماعيّة، فقد ناهضت الظالمين، وأطاحت بعروش المستبدّين، ورفعت شعار العدالة الاجتماعيّة، ونعرض إلى بداية تأسيسها، وما يتّصل بذلك من بحوث.

بداية التشيّع

أمّا بداية التشيّع وزمن تكوينه، ففيه أقوال وآراء، وهذه بعضها:

في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله

والشيء المؤكّد حسب الدراسات العلميّة البعيدة عن العواطف التقليديّة والتيّارات المذهبيّة، أنّها أُنشئت وتكوّنت في زمان الرسول صلى الله عليه وآله، وهو أوّل مَن غرس هذه البذرة ونمّاها، ورعاها في جميع مراحل حياته.

ويدعم ذلك ويدلّ عليه ما أُثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله من الأحاديث التي أضفت سمة التشيّع على أتباع الإمام عليه السلام، وأشادت بهم، وبشّرتهم بأسمى المنازل في الفردوس الأعلى، ولنستمع إلى بعضها :

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **يا عَلِيُّ ، أَنْتَ وَشيعَتُكَ تَرِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ** »[١].

٢ ـ وقال صلى الله عليه وآله : « **يا عَلِيُّ ، إِنَّكَ سَتَقْدِمُ عَلَى اللهِ وَشيعَتُكَ راضُونَ مَرْضِيُّونَ ، وَيَقْدِمُ عَلَيْكَ عَدُوُّكَ غِضاباً مُقْمَحينَ**[٢] »[٣].

٣ ـ وقال صلى الله عليه وآله : « **عَلِيٌّ وَشيعَتُهُ هُمُ الْفائِزونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ** »[٤].

٤ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **شيعَةُ عَلِيٍّ هُمُ الْفائِزونَ** »[٥].

٥ ـ وقال صلى الله عليه وآله : « **يا عَلِيُّ ، إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ وَوَلَدِكَ ، وَلِأَهْلِكَ وَلِشيعَتِكَ ، وَلِمُحِبّي شيعَتِكَ ، فَإِنَّكَ الْأَنْزَعُ الْبَطينُ** »[٦].

---

(١) مجمع الزوائد : ٩ : ١٣١ . كنوز الحقائق : ١٨٨ . الاستيعاب : ٢ : ٤٥٧ .

(٢) **الاقماح**: رفع الرأس وغضّ البصر.

(٣) الصواعق المحرقة : ٩٣ . مجمع الزوائد : ٩ : ١٣١ .

وجاء في الصواعق المحرقة : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **يا عَلِيُّ ، أَنْتَ وَشيعَتُكَ تَرِدونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِواءً مَرْوِيّينَ ، مُبْيَضَّةً وُجوهُهُمْ ، وَإِنَّ أَعْداءَكُمْ يَرِدونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ ظِماءً مُقْمَحينَ** » . الصواعق المحرقة : ١٦١ .

(٤) كنوز الحقائق : ٩٢ .

(٥) كنوز الحقائق : ٨٢ .

(٦) الصواعق المحرقة : ٩٦ .

وقال ابن المغازلي الشافعي : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **يا عَلِيُّ ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرَ لَكَ وَلِأَهْلِكَ وَلِشيعَتِكَ وَلِمُحِبّي شيعَتِكَ ، فَأَبْشِرْ ، فَإِنَّكَ الْأَنْزَعُ الْبَطينُ ، الْمَنْزوعُ مِنَ الشِّرْكِ ، الْبَطينُ مِنَ الْعِلْمِ** » . مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي : ٤٠٠ ، الحديث ٤٥٥ . »

٦ ـ روى السيوطي في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾[١]، قال: أخرج ابن عساكر، عن جابر بن عبدالله، قال: «كنّا عند النبيّ ﷺ فأقبل عليّ عليه السلام، فقال النبيّ: **وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ، إِنَّ هٰذا وَشيعَتَهُ لَهُمُ الْفائِزونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ**.

ونزلت الآية: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾، فكان أصحاب النبيّ ﷺ إذا أقبل عليّ عليه السلام قالوا: جاء خير البريّة»[٢].

٧ ـ عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب عليّ عليه السلام، قال: «سمعت عليّاً عليه السلام يقول: **حَدَّثَني رَسولُ اللهِ ﷺ وَأَنا مُسْنِدُهُ إِلىٰ صَدْري**، فقال ـ أي عليّ: ـ «**أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللهِ تَعالىٰ**: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾ **أَنْتَ وَشيعَتُكَ، وَمَوْعِدي وَمَوْعِدُكُمُ الْحَوْضُ، إِذا جاءَتِ الْأُمَمُ لِلْحِسابِ تُدْعَوْنَ غُرّاً مُحَجَّلينَ**»[٣].

٨ ـ عن جابر الأنصاري رضي الله عنه ـ في حديث ـ قال: «قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه لعليّ عليه السلام: **يا عَلِيُّ، ادْنُ مِنّي**، فدنا منه.

فقال: **أَدْخِلْ أُذُنَكَ في فِيَّ**»، ففعل.

فقال: **يا أَخي، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللهِ في كِتابِهِ**: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**

» وفي فرائد السمطين: «قال رسول الله ﷺ: **يا عَلِيُّ، إِنَّ اللهَ غَفَرَ لَكَ وَلِأَهْلِكَ وَلِشيعَتِكَ وَلِمُحِبّي شيعَتِكَ، وَمُحِبّي مُحِبّي شيعَتِكَ، فَإِنَّكَ الْأَنْزَعُ الْبَطينُ، مَنْزوعٌ مِنَ الشِّرْكِ، بَطينٌ مِنَ الْعِلْمِ**». فرائد السمطين: ١: ٣٠٨، الحديث ٢٤٧.

(١) البيّنة ٩٨: ٧.

(٢) تفسير الدرّ المنثور: ٦: ٣٧٩.

(٣) المناقب للخوارزمي: ١٨٧.

أولـئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ؟

قال : **بَلىٰ ، يا رَسولَ اللهِ.**

قال : **هُمْ أَنْتَ وَشيعَتُكَ تَجيئُونَ غُرّاً مُحَجَّلينَ ، شِباعاً مَرْوِيِّينَ...**»[١].

٩ ـ عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه‌السلام في قوله تعالى : ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾[٢].

قال : **ذاكَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه‌السلام وَشيعَتُهُ ، فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنونٍ**»[٣].

١٠ ـ عن ابن عبّاس ، قال : « سألت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله عن قوله تعالى : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولـئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾[٤].

فقال : **قالَ لي جَبْرَئيلُ عليه‌السلام : ذاكَ عَلِيٌّ ، وَشيعَتُهُ هُمُ السّابِقونَ إِلَى الْجَنَّةِ ، الْمُقَرَّبونَ مِنَ اللهِ بِكَرامَتِهِ لَهُمْ**»[٥].

١١ ـ عن جابر بن عبدالله رضي‌الله‌عنه ، قال : «كنّا عند النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله فأقبل عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام فقال النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله : **قَدْ أَتاكُمْ أَخي.**

ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده ، ثمّ قال : **وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ ، إِنَّ هـذا وَشيعَتَهُ لَهُمُ الْفائِزونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ**»[٦].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث روتها الصحاح ، وهي واضحة وصريحة في

(١) بحار الأنوار : ٢٢ : ٤٥٨.

(٢) التين ٩٥ : ٦.

(٣) بحار الأنوار : ٤١ : ١٦.

(٤) الواقعة ٥٦ : ١٠ ـ ١٢.

(٥) كشف الغمّة : ١ : ٤٢٢.

(٦) تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام : ٢ : ٤٤٢ ، الحديث ٩٥١.

أنّ النبيّ ﷺ هو الذي أقام التشيّع وأنشأه، وأضفى على أتباع الإمام عليه السلام النعوت الكريمة، وبشّرهم بأسمى منزلة في الجنّة.

كلمات المؤيّدين

وذهبت كوكبة من العلماء الأعلام من قدامى ومحدثين إلى أنّ التشيّع نشأ وظهر في أيّام الرسول الأعظم ﷺ، وهذه بعض كلماتهم:

١ ـ الشيخ الصدوق

صرّح ثقة الإسلام الشيخ الصدوق نضّر الله مثواه أنّ التشيّع للإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان في عهد الرسول ﷺ، وأنّه بشّر الشيعة بالجنّة[١].

٢ ـ الشيخ سعد بن عبدالله الأشعري

وأكّد شيخ القمّيين أنّ أوّل الفرق الإسلاميّة هي الشيعة، وهي فرقة الإمام عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، وقد عرفت بانقطاعها إليه والقول بإمامته[٢].

كما صرّح القمّي بأنّ الطليعة الأُولى من صحابة النبيّ ﷺ هم من الشيعة، أمثال الصحابي المجاهد عمّار بن ياسر، والثائر أبي ذرّ الغفاري، ومستشار النبيّ ﷺ سلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود، وهم أوّل مَن سمّوا باسم الشيعة من هذه الأمّة[٣].

كما نصّ الرازي على أنّ هذه الكوكبة كان يقال لهم شيعة عليّ وأنصار عليّ عليه السلام، وأنّ النبيّ الأعظم ﷺ قال فيهم: «**اشْتاقَتِ الْجَنَّةُ إِلىٰ أَرْبَعَةٍ: سَلْمانُ، وَأَبو ذَرٍّ،**

---

(١) فضائل الشيعة: ١٥.

(٢) المقالات والفرق: ١٥.

(٣) فرق الشيعة: ١٥.

وَالْمِقْدادُ، وَعَمّارٌ»[١].

وقد سمّى الشيخ المفيد هؤلاء الأعلام الأربعة بالأركان[٢]، أي أركان الإسلام.

٣ ـ الإمام كاشف الغطاء

قال الإمام الشيخ محمّدحسين آل كاشف الغطاء ﷺ:

«إنّ أوّل مَن وضع بذرة التشيّع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلاميّة، يعني بذرة التشيّع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب وسواء بسواء»[٣].

٤ ـ العلّامة المظفّر

قال العلّامة الشيخ محمّد حسين المظفّر:

«إنّ الدعوة إلى التشيّع ابتدأت في اليوم الذي هتف فيه المنقذ الأعظم محمّد صلوات الله عليه صارخاً بكلمة: لا إلـه إلّا الله، فإنّه لمّا نزل عليه قوله تعالى: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[٤] جمع بني هاشم وأنذرهم قائلاً: **أَيُّكُمْ يُؤازِرُني لِيَكونَ أَخي وَوارِثي، وَوَصِيِّي وَخَليفَتي فَيكُمْ بَعْدِي**، فلم يجبه إلى ما أراد غير المرتضى. قال لهم الرسول: **هـٰذا أَخي وَوَزيري وَوَصِيِّي وَخَليفَتي فيكُمْ بَعْدي فَاسْمَعوا لَهُ وَأَطيعوا**.

فكانت الدعوة إلى التشيّع لأبي الحسن من صاحب الرسالة تمشي معه

---

(١) الزينة: الورقة ٢٠٥.

(٢) الزينة: الورقة ٢٠٥. الاختصاص: ٦.

(٣) أصل الشيعة وأُصولها: ١٨٤.

(٤) الشعراء ٢٦: ٢١٤.

جنباً لجنب مع الدعوة للشهادتين ، ومن ثمّ كان أبو ذرّ من شيعة عليّ عليه السلام ».

ونقل الشيخ المظفّر عن محمّد كرد عليّ مؤلّف (خطط الشام) ما نصّه :

« عُرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة عليّ في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله ، مثل سلمان الفارسي القائل : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله على النصح للمسلمين والائتمام بعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، والموالاة له ، ومثل أبي سعيد الخدري القائل : أمر الناس بخمس : فعلوا أربعاً وتركوا واحدة ، ولمّا سئل عن الأربع ؟ قال : **الصَّلاةُ وَالزَّكاةُ وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضانَ وَالْحَجُّ**.

قيل له : فما الواحدة التي تركوها ؟

قال : **وَلايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ** »[(١)].

ومعنى ما أفاده الشيخ المظفّر أنّ التشيّع هو الموالاة للإمام عليّ عليه السلام والإقرار له بالولاية العامّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ، وأنّه أحقّ من غيره وأوْلى بمركز الرسول صلى الله عليه وآله ومقامه.

وهناك كوكبة أُخرى من الأعلام أيّدت أنّ التشيّع والولاء لأبي الحسن عليه السلام نشأ في زمن الرسول صلى الله عليه وآله ، وأنّه هو الذي أقام الإمام عليّاً خليفة من بعده ومرجعاً عامّاً للأُمّة ، وسنذكر ذلك بمزيد من التفصيل.

أقوال وآراء

ذهب فريق من المؤلّفين إلى أنّ الشتيّع لم ينشأ في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله ، وإنّما نشأ بعده ، وفيما يلي عرض لأسمائهم وكلماتهم :

---

(١) الإمام الصادق عليه السلام : ٤٣.

١ ـ ابن خلدون

ذهب ابن خلدون إلى أنّ الشيعة ظهرت في أيّام الشورى ، وأنّ هناك جماعة من الصحابة كانوا يتشيّعون لعليّ ، ويرون أنّه أحقّ بالخلافة من غيره ، ولمّا عدل بها عنه إلى غيره تأفّفوا وأسفوا ، كالزبير ، وعمّار بن ياسر ، والمقداد بن الأسود ، وغيرهم .

إلّا أنّ القوم لرسوخ قدمهم في الدين ، وحرصهم على الأُلفة لم يزيدوا في ذلك على النجوى والتأفّف والأسف(١) .

وهذا الرأي ليس بوثيق ، فإنّ الشيعة قد نشأت في أيّام الرسول ﷺ ، وظهر أمرها بشكل واضح ، وقد احتجّ قادتها من أعلام الصحابة على أبي بكر بحجج بالغة الأهمّيّة ، وتعتبر من أهمّ الوثائق السياسيّة التي تدعم ما تذهب إليه الشيعة من أحقّيّة الإمام للخلافة ، وسنذكرها في البحوث الآتية .

٢ ـ ابن حزم

وذهب ابن حزم إلى أنّ الشيعة ظهرت بعد قتل عثمان ، قال :

« ثمّ وليّ عثمان وبقي اثني عشر عاماً حتّى مات ، وبموته حصل الاختلاف وابتدأ أمر الروافض »(٢) .

٣ ـ عثمان بن عبدالله الحنفي

وأكّد عثمان بن عبدالله الحنفي رأي ابن حزم ، قال :

« إنّ افتراق الأمّة لم يكن في أيّام أبي بكر وعمر وعثمان ، وإنّما بعد

---

(١) تاريخ ابن خلدون : ٣ : ١٧١ .

(٢) الفصل في الملل والنحل : ٢ : ٨٠.

مقتل عثمان ظهرت الرافضة »[١].

وما ذهب إليه ابن حزم والحنفي لا تقرّه الأدلّة العلميّة ، فإنّ ظهور الشيعة ونشأتها كان في أيّام الرسول ﷺ ، وتشكّلت دولة الشيعة بعد مقتل عثمان ، وذلك بتقلّد الإمام عليّ عليه السلام للخلافة ، وقد أبدى من صنوف العدل والمساواة ما لم يـر النـاس مثله ، الأمر الذي أوجب انتشار التشيّع والموالاة لأهل البيت عليهم السلام في جميع الأقطار الإسلاميّة .

٤ ـ ابن النديم

ويرى ابن النديم أنّ الشيعة نشأت حينما خالف طلحة والزبير عليّاً ، وأبيا إلّا الطلب بدم عثمان بن عفّان ، وقاتلهما وقضى على تمرّدهما ، فمن اتّبع عليّاً سمّوا بالشيعة ، وكان عليّ يقول : (شيعتي) ، وسمّاهم طبقة الأصفياء ، وطبقة الأولياء ، وطبقة شرطة الخميس ، وطبقة الأصحاب »[٢].

إنّ ظهور الشيعة كان في أيّام الرسول ﷺ على ما ذكرنا ، وليس لتمرّد طلحة والزبير وعائشة على حكومته دخل في نشأة التشيّع مطلقاً .

٥ ـ طه حسين

وأفاد الدكتور طه حسين ما نصّه :

« إنّ الشيعة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة عند الفقهاء والمتكلّمين ومؤرّخي الفرق لم توجد في حياة عليّ ، وإنّما وجدت بعد موته بزمن غير طويل .

---

(١) الفرق المتفرّقة بين أهل الزيغ والزندقة : ٦ .

(٢) الفهرست : ١٧٥ .

وإنّما كان معنى كلمة الشيعة أيّام عليّ، هو نفس معناها اللغوي القديم الذي جاء في القرآن في قول الله عزّ وجلّ في سورة القصص: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ الآية[1]، وفي قول الله عزّ وجلّ من سورة الصافّات: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾[2].

فالشيعة في هاتين الآيتين وغيرهما من الآيات معناها الفرقة من الأتباع والأنصار الذين يوافقون على الرأي والمنهج، ويشاركون فيهما، والرجل الذي كان من شيعة موسى كان رجلاً من بني إسرائيل، والرجل الذي كان من أعداء موسى كان رجلاً من المصريّين.

بذلك قال المفسّرون القدماء الذين تلقّوا التفسير عن الفقهاء من أصحاب النبيّ، وإبراهيم كان من شيعة نوح، أي على سنّته ومنهاجه، يرى رأيه، ويدين بدينه، كما قال هؤلاء المفسّرون أيضاً، فشيعة عليّ أثناء خلافته هم أصحابه الذين بايعوه واتّبعوا رأيه، سواء منهم مَن قاتل معه ومَن لم يقاتل، ولم يكن لفظ الشيعة أيّام عليّ مقصوراً على أصحابه وحدهم، وإنّما كان لمعاوية شيعته أيضاً وهم الذين اتّبعوه من أهل الشام وغيرهم».

وأضاف طه حسين بعد ذلك قائلاً:

«لم يكن للشيعة إذاً معناها المعروف عند الفقهاء والمتكلّمين أيّام عليّ، وإنّما كان لفظاً كغيره من الألفاظ يدلّ على معناه القريب،

(١) القصص ٢٨: ١٥.

(٢) الصافّات ٣٧: ٨٣.

ويستعمل في هذا المعنى بالقياس إلى الخصمين جميعاً، ولست أعرف نصّاً قديماً أضاف لفظة الشيعة إلى عليّ عليه السلام قبل وقوع الفتنة، فلم يكن لعليّ قبل وقوع الفتنة شيعة ظاهرون ممتازون من غيرهم من هذه الأُمّة».

وأضاف قائلاً:

«ومعنى هذا كلّه أنّ عليّاً عليه السلام لم تكن له شيعة ممتازة من الأُمّة قبل الفتنة، ولم تكن له شيعة بالمعنى الذي يعرفه الفقهاء والمتكلّمون أثناء حكومته»(١).

ويواجه ما أفاده الدكتور طه حسين بعض المؤاخذات، وهي:

أوّلاً: إنّ قوله: «إنّ الشيعة بالمعنى الدقيق عند الفقهاء والمتكلّمين ومؤرّخي الفرق لم توجد في حياة عليّ عليه السلام، وانّما وجدت بعد وفاته بزمن غير طويل» إنّ هذا لا يخلو من تأمّل، فإنّ الشيعة بما لها من معنى قد ظهرت في زمن الرسول صلى الله عليه وآله، فقد دان أعلام الصحابة وخيارهم بإمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، بالإضافة إلى ما ذكرناه من الأحاديث النبويّة التي أشادت بفضل شيعة الإمام عليه السلام وما لهم من المنزلة الكريمة عند الله تعالى.

ثانياً: إنّه أفاد أنّه لم يعرف نصّاً قديماً أضاف لفظ الشيعة إلى عليّ عليه السلام قبل وقوع الفتنة. وقد ذكرنا كوكبة من النصوص النبويّة التي أضفت لفظ الشيعة على أتباع الإمام عليه السلام، ونعتتهم بالنعوت الكريمة، إلّا أنّ سيادته لم يفحص في مصادر الحديث حتّى يطّلع عليها.

ثالثاً: إنّه ذكر أنّه لم يكن للإمام عليه السلام شيعة متميّزة قبل الفتنة وبعدها وفي أثناء

---

(١) الفتنة الكبرى: ٢: ٦٠١ ـ ٦٠٣.

خلافته ، وهذا لا يخلو من تأمّل فقد كانت للإمام عليه السلام شيعة متميّزة ، وهم من أعلام الإسلام ومشاهير الصحابة أمثال الصحابي الجليل عمّار بن ياسر ، وأبي ذرّ ، وحجر بن عدي ، وميثم التمّار ، ورشيد الهجري ، وغيرهم .

وذكر السيّد محسن العاملي في موسوعته أعيان الشيعة إنّ معظم الصحابة كانوا مع الإمام عليّ عليه السلام في واقعة صفّين ، فكان سبعة وثمانون رجلاً من أهل بدر ، منهم سبعة عشر من المهاجرين ، وسبعون من الأنصار ، وشهد معه من أهل بيعة الشجرة تسعمائة ، وكان جميع من شهد معه ألفين وثمانمائة . وبناءً على ما ذكره العاملي فقد كان للإمام عليه السلام شيعة متميّزون معروفون بولائهم له .

٦ ـ برنارد لويس

يرى هذا المستشرق أنّ التشيّع تأسّس بعد مصرع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وشهادة الإمام الحسين عليه السلام ، فكان لهما الأثر في ظهور التشيّع الثوري ذي الصبغة المهدويّة ، وهذا الرأي ليس بوثيق ، فإنّ التشيّع كما ألمحنا ظهر أيّام الرسول صلى الله عليه وآله ، وأمّا انتشاره فقد كان في أيّام خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد رأى الناس عدالته ، ونكرانه لذاته ، وتبنّيه للمصلحة العامّة ، وإحاطته التامّة بجميع ألوان العلوم والمعارف ، فقد كان مدرسة مشرقة حافلة بكلّ ما يسمو به الإنسان ، وقد ساد الاعتقاد عند معظم المسلمين أنّه وارث كمالات الأنبياء وعلومهم .

يقول الزعيم مالك الأشتر في خطاب له : « أيّها الناس ، هذا ـ أي الإمام عليّ عليه السلام ـ وصيّ الأوصياء ، ووارث علم الأنبياء »[١] .

كما إنّ من أهمّ الأسباب في انتشار التشيّع وإشاعته بين المسلمين شهادة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام الذي ثار على طاغية زمانه يزيد بن معاوية ،

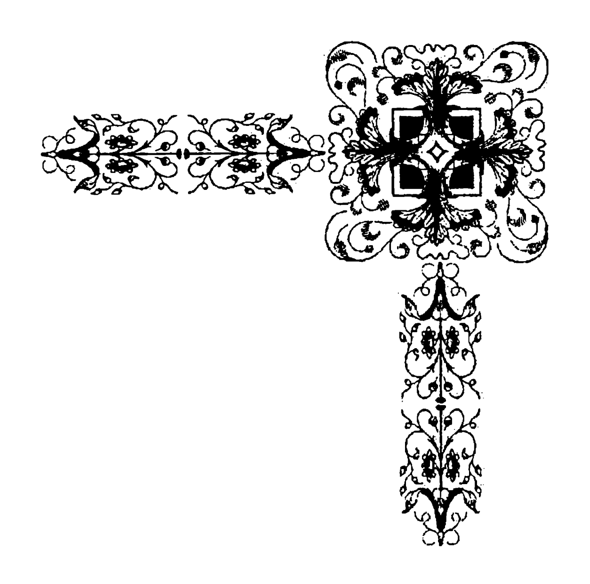
---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ١٥١ .

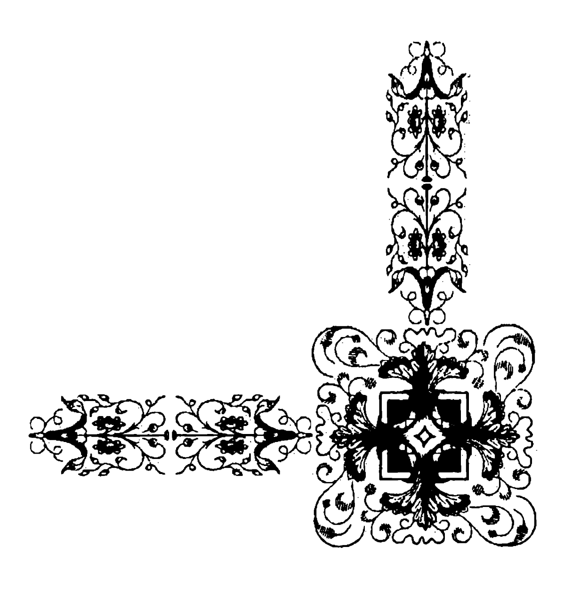
من أجل أن يقيم في هذا الشرق حكومة القرآن وعدالة الإسلام ، ويوزّع خيرات الله على الفقراء والبؤساء ، ويقضي على جميع ألوان الانحطاط والتخلّف في العالم العربي والإسلامي .

فمن أجل هذه المبادئ الكريمة استشهد سلام الله عليه بصورة مروّعة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً في قسوتها وفظاعتها ، وقد اهتزّ من هولها الضمير العالمي ، وأقبل الكثير من الناس بلهفة على اعتناق التشيّع والإيمان بمبادئ أهل البيت عليهم السلام .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن تأسيس التشيّع ، وسنذكر في البحوث الآتية ما يدعم ما ذهبنا إليه من أنّ تأسيسه كان في زمن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله .



الخلافة ضرورة إسلاميّة



الخلافة في الإسلام من العناصر الأساسيّة في تكوين المجتمع الإسلامي ، ومن ضروريّات الحياة الإسلاميّة التي لا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال ، فبها يقام ما اعوجّ من نظام الدنيا والدين ، وبها تتحقّق العدالة الكبرى التي ينشدها الله في الأرض ، ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للبحث عن شؤونها لأنّها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحديث عن الشيعة ، وفيما يلي ذلك :

تعريفها

الخلافة في الاصطلاح الشرعي هي الرئاسة العامّة في أُمور الدنيا والدين نيابة عن الرسول الأعظم ﷺ ، وعرّفها ابن خلدون بقوله :

« الخلافة حمل الكافّة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأُخرويّة والدنيويّة الراجحة إليها ، إذ أحوال الدنيا ترجع كلّها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهي في الحقيقة خلافة صاحب الشريعة في حراسة الدين وسياسة الدنيا »[١] .

وعرّفها الماوردي ، فقال : « إنّها خلافة النبوّة في حراسة الدين وسياسة الدنيا »[٢] .

---

(١) مقدّمة ابن خلدون : ١٦٦ .

(٢) الأحكام السلطانيّة للماوردي : ٥٧ .

الاتّفاق على وجوبها

واتّفق جميع المسلمين على ضرورة الخلافة ، ولزوم إقامتها .

يقول ابن حزم الأندلسي :

« اتّفق جميع أهل السنّة ، وجميع المرجئة ، وجميع الشيعة ، وجميع الخوارج ، على وجوب الإمامة ، وأنّ الأُمّة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي جاء بها رسول الله ﷺ حاشا النجدات من الخوارج ، فإنّهم قالوا : لا يلزم الناس فرض الإمامة ، وإنّما عليهم أن يتعاطوا الحقّ بينهم ، وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد ، وهم المنسوبون إلى نجدة بن عمير الحنفي .

وقول هذه الفرقة ساقط يكفي للردّ عليه وإبطاله إجماع كلّ مَن ذكرنا على بطلانه ، والقرآن والسنّة قد وردا بإيجاب الإمام من ذلك قول الله تعالى : ﴿ **أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾[1] ... » الخ[2] .

الحاجة للخلافة

أمّا الحاجة إلى الخلافة ، فإنّها ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال ، وهي ممّا تمسّ حياة المسلمين جميعاً ، فإنّه لا بدّ لهم من حاكم يسوس أمرهم ، ويعالج قضاياهم ، ويقيم فيهم حكم الله وسنّة رسوله ، فإنّ شريعة الإسلام مجموعة من الأحكام والقواعد ، ففيها الحدود والعقوبات ، وفيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيها الجهاد في سبيل الله ، وفيها مكافحة الفقر ، ومطاردة

---

(١) النساء ٤ : ٥٩.

(٢) الملل والأهواء : ٤ : ٨٧.

البؤس ، ونشر العلم ، وإشاعة الأخلاق والآداب ، وغير ذلك من الأحكام التي لا يمكن للفرد أن يقيمها على مسرح الحياة من دون سلطة حاكمة تتولّى تنفيذها .

يقول ابن تيميّة :

« إنّ ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين إلّا بها ، ولأنّ الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونصرة المظلوم ، وكذلك سائر ما أوجب الله من الجهاد والعدل وإقامة الحدود ، ولا تتمّ إلّا بالقوّة والإمارة »(١) .

ويقول بعض الكتّاب :

« إنّ الخلافة شجرة أبديّة أصلها ثابت تستمدّ قوّة نمائها من التاريخ ، ووشائجها في فؤاد كلّ مسلم ، وإنّها شجرة لا تموت ولا تذبل ، كلّ مسلم يريد أن يرى نبيّه ممثّلاً في مقام الخليفة سواء في ذلك المقيم في مجاهل سيبيريا الباردة ، والساكن في بحيرة تشاد الملتهبة .

إنّ الخليفة أعزّ عزيز عند المسلمين ، والخلافة قطب الإسلام يدور المسلمون جميعاً منه حول نقطة جذّابة »(٢) .

وعلى أي حال ، فإنّ الخلافة من العناصر الأساسيّة في تكوين المجتمع الإسلامي ، والقوّة الفاعلة في صيانة المسلمين من الاعتداء والغزو الخارجي ، فهي التي تصون كرامتهم وحرّيّتهم واستقلالهم ، وتدفع عنهم غائلة القوى الكافرة التي تكيل لهم في الليل إذا يغشى ، وفي النهار إذا تجلّى .

وقد تظافرت الأخبار عن النبيّ ﷺ على ضرورة قيام إمام المسلمين .

---

(١) السياسة الشرعيّة : ١٧٢ و ١٧٣ .

(٢) اتّحاد المسلمين : ٢٥٧ .

قال النبيّ ﷺ: «مَنْ ماتَ وَلَيْسَ في عُنُقِهِ بَيْعَةٌ ماتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً»(١).

إلى غير ذلك من الأخبار التي أُثرت عنه.

النبيّ ﷺ والخلافة

واهتمّ الرسول الأعظم ﷺ اهتماماً بالغاً بشأن الخلافة والإمامة من بعده، لأنّها من أهمّ المراكز الحسّاسة في إقامة دولته الإسلاميّة، فهي امتداد لحكمه، واستدامة لشريعته، وقد قرنها بدعوته المشرقة إلى التوحيد حينما دعا أُسرته إلى تصديقه، والإيمان برسالته، ليتّخذ منهم شخصاً يؤازره على أداء رسالته فيجعله وزيراً وخليفة من بعده، فلم يستجب له أحد منهم سوى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فأخذ برقبته وخاطب القوم قائلاً: «**هٰذا أَخي، وَوَزيري، وَخَليفَتي مِنْ بَعْدي، فَاسْمَعوا لَهُ وَأَطيعوا**»(٢).

ومن شدّة اهتمامه بشأن الخلافة قال: «**مَنْ ماتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمامَ زَمانِهِ ماتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً**»(٣).

إنّ النبيّ ﷺ عالج جميع قضايا المسلمين ووضع لها الحلول الحاسمة، والتي من أهمّها إقامة خليفة من بعده يقيم فيهم العدالة الإسلاميّة، ويحكم بين الناس بشريعة الله تعالى، وإنّ من أوهى الآراء وأكثرها بُعداً عن الصواب القول بأنّ النبيّ ﷺ أهمل هذه الجهة التي بها سعادة أُمّته، وسلامتها من الفتن والانحراف، فإنّ إهمالها وعدم التعرّض لها إنّما هو تدمير للبناء الاجتماعي الذي أقامه الإسلام، وإلقاء للأُمّة في متاهات سحيقة من مجاهل هذه الحياة.

---

(١) صحيح مسلم: ٦: ٢٢.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٢: ٣١٩. الكامل في التاريخ: ٢: ٦٢.

(٣) وسائل الشيعة: ١٦: ٢٤٦.

إنّ الأزمات الحادّة، والمنازعات العنيفة التي واجهتها الأُمّة الإسلاميّة في معظم عصورها والتي ذهب ضحيّتها مئات الآلاف من المسلمين كانت ناجمة ـ من دون شكّ ـ من الإهمال المتعمّد للنصوص النبويّة التي عيّنت الخلافة وحصرتها في أهل بيته الذين هم دعاة الله في الأرض، الأمر الذي أدّى إلى تهالك القادة على الإمرة والسلطان.

يقول السيّد محمّد سيّد الكيلاني:

«لقد تنازع القوم على منصب الخلافة تنازعاً قلّ أن نجد له مثيلاً في الأُمم الأُخرى، وارتكبوا في سبيل ذلك ما نتعفّف نحن عن ارتكابه الآن، فترتّب على ذلك أن أُزهقت أرواح، ودمّرت مدن، وهدّمت قرى، وأُحرقت دور، وترمّلت نساء، وتيتّمت أطفال، وهلك من المسلمين خلق كثير»[١].

وعلى أي حال، فإنّ النبيّ ﷺ الذي بُعث رحمة للعالمين، والذي يعزّ عليه عَنَت أُمّته وشقائها، كيف يترك أمرها فوضى من بعده ولا يعيّن لها القائد لمسيرتها بعد وفاته.

النبيّ ﷺ رشّح عليّاً عليه السلام

وليست الخلافة في الإسلام خاضعة للأهواء والعواطف، فإنّها من أهمّ المراكز الحسّاسة في المجتمع الإسلامي، وعليها تترتّب جميع قضاياه المصيريّة.

والشيء المؤكّد ـ حسب الدراسات العلميّة، والتأمّل الجادّ في السيرة النبويّة ومصادر التاريخ ـ أنّ النبيّ ﷺ رشّح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لهذا المنصب الخطير، وأقامه خليفة من بعده، ويدعم ذلك النصوص المتواترة زمن النبيّ ﷺ في تعظيم

---

(١) أثر التشيّع في الأدب العربي: ١٥.

شأنه والإشادة به من أنّه باب مدينة علمه ، وأنّه مع الحقّ والحقّ معه ، وأنّه منه بمنزلة هارون من موسى .

كما يدلّ على ذلك بصورة واضحة مؤتمر الغدير الذي أخذ فيه النبيّ البيعة علناً للإمام ، وبايعه المسلمون بالإمرة والولاية ، وقد بايعته أمّهات المؤمنين ، وبايعه المسلمون ، وهنّأه عمر بن الخطّاب ، فقد صافحه وقال له : « هنيئاً يابن أبي طالب ، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة »[١] .

---

(١) ورد حديث الغدير في جملة من مصادر أهل العامّة بألفاظ مختلفة ، منها :

١ ـ تفسير ابن كثير : ٢ : ١٥ .

٢ ـ الدرّ المنثور لجلال الدين السيوطي : ٢ : ٢٥٩ .

٣ ـ معاني القرآن للنحّاس : ٢ : ٣٢٥ .

٤ ـ تفسير القرطبي : ١ : ٢٦٦ .

٥ ـ شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني : ١ : ٢٠٠ .

٦ ـ فتح القدير للشوكاني : ٤ : ٢٦٢ .

٧ ـ أسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري : ١٣٥ .

٨ ـ محمّد بن إسماعيل البخاري في تاريخه : ١ : ٣٧٥ .

٩ ـ فضائل الصحابة للنسائي : ١٤ .

١٠ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل : ١ : ٨٤ و ١١٨ و ٣٣١ .

١١ ـ تاريخ مدينة دمشق : ١٣ : ٦٩ .

١٢ ـ البداية والنهاية : ٥ : ٣٢٨ .

١٣ ـ الحافظ النسائي في خصائصه وسننه : ٢٥ .

١٤ ـ تاريخ بغداد : ٧ : ٣٨٩ .

١٥ ـ الحاكم النيسابوري في مستدركه : ٣ : ١٠٩ .

١٦ ـ المعجم الأوسط للطبراني : ١ : ١١٢ .

١٧ ـ أُسد الغابة لابن الأثير الجزري : ١ : ٣٦٩ .

«

إنّ البيعة للإمام أمير المؤمنين في عيد الغدير جزء من رسالة الإسلام ، وعنصر من عناصره ، فمن أنكره فليس برشيد .

لماذا رشّح النبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام

ويتساءل الكثيرون : لماذا رشّح النبيّ صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة من بعده ؟

والجواب عن ذلك : أنّه نظر نظرة فاحصة بعمق وشمول في صحابته وأُسرته ، فلم ير أحداً منهم خليقاً وجديراً بهذا المنصب الخطير ، سوى الإمام أمير المؤمنين الذي كان من ألصق الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ، وأشدّهم وعياً لأهداف رسالته ، فعيّنه خليفة من بعده ، وأعوذ بالله أن يندفع الرسول صلى الله عليه وآله بذلك وراء العاطفة ، فإنّ شأن النبوّة بعيد كلّ البعد من الانقياد وراء العواطف التي يؤول أمرها إلى التراب .

» ١٨ ـ صحيح ابن حبّان : ١٥ : ٢٧٦ .

١٩ ـ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب : ٧ : ٦١ ، وفي فتح الباري .

٢٠ ـ الفخر الرازي في كتاب الأربعين ، قال : « أجمعت الأُمّة على هذا الحديث الشريف » .

٢١ ـ فيض القدير في شرح الجامع الصغير : ١ : ٦٩ .

٢٢ ـ كنز العمّال للمتّقي الهندي : ١ : ١٩٧ .

٢٣ ـ سنن ابن ماجة : ١ : ٤٥ .

٢٤ ـ سنن الترمذي : ٥ : ٢٩٧ .

٢٥ ـ مجمع الزوائد للهيثمي : ٧ : ١٧ .

٢٦ ـ مسند أبي يعلى : ١ : ٤٢٩ .

٢٧ ـ المعجم الصغير للطبراني : ١ : ٦٥ .

٢٨ ـ تاريخ ابن خلدون : ١ : ١٩٧ .

٢٩ ـ سنن الدارقطني : ٣ : ٢٢٤ ، وغيرها .

لقد انتخب الرسول ﷺ الإمام علياً عليه السلام قائداً عامّاً لأُمّته وخليفة عليها من بعده، وذلك لما يتمتّع به من قابليّات فذّة لم تتوفّر في أحد سواه، ولعلّ من أهمها ما يلي:

أوّلاً: إنّ الإمام كان يملك طاقات هائلة من العلم، والتي كان منها إحاطته التامّة بأحكام الشريعة، خصوصاً في شؤون القضاء، فقد كان المرجع الأعلى فيه.

وقد اشتهرت كلمات عمر فيه: «لولا عليّ لهلك عمر»، «عليّ أقضانا»، «اللّهمّ لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب حيّاً»، «لا أبقاني الله بأرض لست فيها أبا الحسن»، «أعوذ بالله من معضلة ولا أبو حسن لها»... ، ولم يشابهه أحد في هذه الموهبة، وقد أُلّفت بعض الكتب في روعة قضائه.

قال النبيّ ﷺ: «**أَقْضىٰ أُمَّتي عَلِيٌّ**»[1].

كما كان سلام الله عليه من أوفى القادة علماً ودراية في الشؤون السياسيّة والإداريّة، وعهده لمالك الأشتر من أوثق الأدلّة على ذلك، فقد حفل هذا العهد الشريف في شؤون السياسة الإسلاميّة بما لم يحفل به أي دستور أو وثيقة سياسيّة في الإسلام وغيره.

فقد عني بواجبات الدولة تجاه المواطنين، ومسؤوليّتها بتوفير الأمن والرخاء لهم، كما حدّد صلة حياة الحكّام والموظّفين، ونصّ على الشروط التي يجب أن تتوفّر فيهم من الكفاءة والأمانة والدراية التامّة بشؤون العمل الذي يعهد به إليهم، وأن يتحلّوا بالخلق الكامل والأدب الرفيع، وأن يكونوا متحرّجين في دينهم وفي أموال الدولة، إلى غير ذلك من البنود المشرقة التي حفل بها هذا العهد، والتي هي عنوان الإبداع في سياسة الإمام رائد العدالة الاجتماعيّة في الأرض، وقد أكثر من رسائله إلى ولاته وعمّاله في الشؤون العامّة في ميدان الإصلاح الاجتماعي،

---

(١) مصابيح السنّة: ٢: ٢٧٧، والرياض النضرة: ٢: ١٩٨.

وهي تدلّ على مدى تضلّعه وإحاطته بالشؤون السياسيّة التي توفّر للمجتمع أهمّ ما يصبو إليه .

وكما كان الإمام عليه السلام أعلم المسلمين بشؤون السياسة العادلة ، فقد كان من أعلمهم بسائر العلوم الأُخرى ، كعلم الكلام والفلسفة وعلم الحساب والهيئة ، وغيرها .

يقول العقّاد :

« وأحسن الإسلام علماً وفقهاً كما أحسنه عبادة وعملاً ، فكانت فتاواه مرجعاً للخلفاء والصحابة في عهود أبي بكر وعمر وعثمان ، ونَدُرتْ مسألة من مسائل الشريعة لم يكن له رأي فيها يؤخذ به أو تنهض له الحجّة بين أفضل الآراء ، إلّا أنّ المزية التي امتاز بها عليّ عليه السلام بين فقهاء الإسلام في عصره ، أنّه جعل الدين موضوعاً من موضوعات التفكير والتأمّل ، ولم يقصره على العبادة وإجراء الأحكام ، فإذا عرف في عصره أُناس فقهوا في الدين ليصحّحوا عباداته ويستنبطوا منه أقضيته وأحكامه ، فقد امتاز عليّ عليه السلام بالفقه الذي يُراد به الفكر المحض والدراسة الخالصة ، وأمعن فيه ليغوص في أعماقه على الحقيقة العلميّة أو الحقيقة الفلسفيّة ، كما نسمّيها في هذه الأيّام ، ويصحّ أن يقال : إنّ عليّاً عليه السلام أبو علم الكلام في الإسلام .

وقيل لابن عبّاس : أين علمك من علم ابن عمّك ؟ فقال : كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط »[1] .

ومع هذه الثروات العلميّة الهائلة التي كان يتمتّع بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كيف لا ينتخبه الرسول صلى الله عليه وآله لمنصب الخلافة التي هي المحور الذي يدور عليه استقلال

---

(١) عبقرية الإمام عليّ عليه السلام : ٤٧ .

أُمّته وحرّيّتها وكرامتها .

إنّ الطاقات العلميّة اللّامحدودة التي يملكها الإمام تقضي بحكم المنطق الإسلامي ـ الذي يؤثر الصالح العامّ على كلّ شيء ـ أن يكون هو المرشّح لقيادة الأُمّة دون غيره ، فإنّ الله تعالى يقول : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[١] .

وقول النبيّ ﷺ لفاطمة عليها السلام : « **أما تَرْضَيْنَ أَنّي زَوَّجْتُكِ أَوَّلَ الْمُسْلِمينَ إِسْلاماً ، وَأَعْلَمَهُمْ عِلْماً** »[٢] .

وقوله ﷺ : « **أَعْلَمُ أُمَّتي مِنْ بَعْدي عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ** »[٣] .

وقوله ﷺ : « **عَلِيٌّ وِعاءُ عِلْمي ، وَوَصِيّي ، وَبابي الَّذي أُوْتىٰ مِنْهُ** »[٤] .

وقوله ﷺ : « **عَلِيٌّ بابُ عِلْمي ، وَمُبَيِّنٌ لِأُمَّتي ما أُرْسِلْتُ بِهِ مِنْ بَعْدي** »[٥] .

وقوله ﷺ : « **عَلِيٌّ خازِنُ عِلْمي** »[٦] .

وقوله ﷺ : « **عَلِيٌّ عَيْبَةُ عِلْمي** »[٧] .

وليس أدعى إلى السخرية من القول بجواز تقديم المفضول على الفاضل ، فإنّ هذا المنطق يتجافى مع القيم الإسلاميّة التي ألزمت بتقديم العلماء على غيرهم ، وترشيحهم للمناصب الحسّاسة ، وتأخيرهم عن مكانتهم يوجب التجنّي في العلم ، وتدمير القيم الكريمة .

---

(١) الزمر ٣٩ : ٩ .

(٢) كنز العمّال : ٦ : ١٣ . أنساب الأشراف : ١٠٤ .

(٣) المناقب للخوارزمي : ٤٩ . مقتل الحسين عليه السلام : ١ : ٤٣ .

(٤) شمس الأخبار : ٣٩ . كفاية الطالب للكنجي : ٧٠ و ٩٣ .

(٥) كنز العمّال : ٦ : ١٥٦ .

(٦) و (٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٢ : ٤٤٨ .

ثانياً: إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان من أشجع الناس، وأثبتهم جناناً، وقد استوعبت شجاعته النادرة جميع لغات الأرض. وهو الذي نزلت فيه:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾(١).

﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾(٢).

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾(٣).

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٤).

وهو القائل: «**إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ! وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ، لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَىٰ الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ!**»(٥).

وقوله في كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف: «**وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَىٰ قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا**»(٦).

وقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام:

«**عَلِيٌّ مَثَلُ مُوسَىٰ فِي شِدَّتِهِ**».

«**عَلِيٌّ مَثَلُ مُوسَىٰ فِي شَوْكَتِهِ وَشَجاعَتِهِ**».

---

(١) البقرة ٢: ٢٠٧.

(٢) النساء ٤: ٩٥.

(٣) التوبة ٩: ١٩.

(٤) الحديد ٥٧: ١٠.

(٥) نهج البلاغة: ٢: ٢.

(٦) نهج البلاغة: ٣: ٧٣.

«عَلِيٌّ مَثَلُ مُوسىٰ في مُناجاتِهِ وَشَجاعَتِهِ».

«عَلِيٌّ قاتِلُ النّاكِثينَ وَالْقاسِطينَ وَالْمارِقينَ».

«عَلِيٌّ أَشْجَعُ النّاسِ قَلْباً».

«عَلِيٌّ أَسَدُ اللهِ في أَرْضِهِ».

«عَلِيٌّ قاتِلُ الْكَفَرَةِ».

«عَلِيٌّ صاحِبُ لِواءِ رَسولِ اللهِ ﷺ في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ».

«عَلِيٌّ قاتِلُ الْفَجَرَةِ»، ...

وقد قام الإسلام بسيفه، وبني على جهاده وجهوده، وهو صاحب المواقف المشهودة، والأيّام المشهورة، يوم بدر، وحنين، والأحزاب، فقد حصد رؤوس المشركين، وأباد رؤوسهم، وأشاع في قبائل قريش الثكل والحزن والحداد، لم تنفتح ثغرة على الإسلام إلّا تصدّى إلى إسكاتها.

وقدّمه النبيّ ﷺ أميراً في جميع المواقف والمشاهد، وأسند إليه قيادة جيوشه العامّة، وما ولج حرباً إلّا فتح الله على يديه، وهو الذي أذلّ اليهود وقهرهم، وفتح حصون خيبرهم، وكسر شوكتهم، وأخمد نارهم.

والشجاعة من العناصر الأساسيّة التي يجب توفّرها عند من يتولّى زعامة الأُمّة، فإنّه إذا كان خائر القوى جبان النفس تعرّضت البلاد للكوارث والخطوب.

يقول المحبّ الطبري: «صارت شجاعته معلومة لكلّ أحد بالضرورة بحيث لا يمكنه دفع ذلك عن نفسه»(١).

ومع توفّر هذه الصفة بأسمى معانيها، وأجل صورها في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام،

---

(١) ذخائر العقبى: ٩٨.

كيف لا يرشّحه النبيّ ﷺ للخلافة والإمامة من بعده!

إنّ الإمام بحكم شجاعته النادرة التي تصحبها جميع السمات الكريمة والصفات الفاضلة كان متعيّناً لقيادة الأُمّة حتّى لو لم يكن هناك نصّ من النبيّ ﷺ عليه.

ثالثاً: إنّ أهمّ صفة لا بدّ من توفّرها عند مَن يتصدّى للخلافة نكران الذات، وإيثار مصلحة الأُمّة على كلّ شيء، والاحتياط التامّ في أموال المسلمين.

وهو القائل: «**الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، والْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا**»(١).

وفي كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله، قال: «**فَاتَّقِ اللهَ وَارْدُدْ إِلَىٰ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَموالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَىٰ اللهِ فِيكَ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ النَّارَ! وَوَاللهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلَا ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّىٰ آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا**»(٢).

فقد ورد: «أنّ عليّاً عليه السلام كان يكنس بيت المال كلّ يوم جمعة، ثمّ ينضحه بالماء، ثمّ يصلّي فيه ركعتين، ثمّ يقول: **تَشْهَدانِ لي يَوْمَ الْقِيامَةِ**»(٣).

يقول شبلي شميل في عليّ عليه السلام:

«إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمام بني الإنسان ومقتداهم، ولم يرَ الشرق والغرب نموذجاً يطابقه أبداً لا في الغابر ولا في الحاضر»(٤).

---

(١) نهج البلاغة: ٤: ١٠٢.

(٢) نهج البلاغة: ٣: ٦٧.

(٣) وسائل الشيعة: ١١: ٨٣. تذكرة الخواصّ: ١٠٥.

(٤) الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة: ١: ٧.

يقول الكاتب المسيحي جبران خليل جبران :

« قتل عليّ في محراب عبادته لشدّة عدالته ».

قال ابن الأثير :

« إنّ زهده وعدله لا يمكن استقصاؤهما »(١).

وكانت هذه الظاهرة من أبرز ما عرف به الإمام أيّام حكومته ، فلم يعرف المسلمون وغيرهم حاكماً زهد في الدنيا ، ورفض جميع مباهجها كالإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، فلم يدّخر لنفسه ولا لأهله شيئاً من أموال الدولة ، وتحرّج فيها تحرّجاً شديداً ، وساس المسلمين سياسة قوامها العدل الخالص والحقّ المحض ، فقد ساوى بين المسلمين جميعاً في الحقوق والواجبات ، وفي العطاء ، وأمام القانون ، ولم تقنّن في أي مذهب أو دين مثل مساواته العادلة التي تنشد كرامة الإنسان وحقّه في الحياة .

وقد ورد عن أبي بكر قوله : « سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ليلة الهجرة ونحن خارجون من مكّة إلى المدينة يقول : **يا أَبا بَكْرٍ ، كَفّي وَكَفُّ عَلِيٍّ في الْعَدْلِ سَواءٌ** »(٢).

رابعاً : من الصفات التي يجب توفّرها في الإمام الذي يتصدّى لزعامة الأُمّة أن يكون تقيّاً ورعاً ، لا يؤثر أي شيء من متع الدنيا على طاعة الله تعالى .

وهذه الصفة كانت من أبرز صفات الإمام عليه‌السلام ، فقد تحرّج أشدّ ما يكون التحرّج عن كلّ ما لا يقرّبه إلى الله زلفى .

وهو القائل : « **وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقاليمَ السَّبْعَةَ بِما تَحْتَ أَفْلاكِها ، عَلَىٰ أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُها جُلْبَ شَعِيرَةٍ ما فَعَلْتُهُ ، وَإِنَّ دُنْياكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ في**

---

(١) أُسد الغابة في معرفة الصحابة : ٤ : ٢٥.

(٢) مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي : ١٢٩ ، الحديث ١٧٠.

فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُها ما لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَىٰ، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَىٰ! نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُباتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ. وَبِهِ نَسْتَعِينُ»(١).

وقوله عليه السلام: «**إِنَّ اللهَ جَعَلَنِي إِماماً لِخَلْقِهِ، فَفَرَضَ عَلَيَّ التَّقْدِيرَ فِي نَفْسِي وَمَطْعَمِي وَمَشْرَبِي وَمَلْبَسِي كَضُعَفاءِ النّاسِ، كَيْ يَقْتَدِي الْفَقِيرُ بِفَقْرِي، وَلَا يُطْغِي الْغَنِيَّ غِناهُ**»(٢).

وهو داعية الله الأكبر بعد الرسول صلى الله عليه وآله، فقد حفل نهجه بالخطب الرائعة التي ملأها بالدعوة إلى تقوى الله تعالى، والحذر من عقابه، ولم يُعرف عن أي أحد من ملوك المسلمين مثل ذلك.

وكان من مظاهر تقواه أنّه امتنع من إجابة عبدالرحمن بن عوف حينما ألحّ عليه بعد مقتل عمر أن يقلّده الخلافة شريطة الالتزام بسيرة الشيخين، فأبى أن يلتزم بذلك، وأصرّ أن يسير على وفق كتاب الله وسنّة رسوله واجتهاده الخاصّ، ولو كان من طلاب الملك لأجابه إلى ذلك، ثمّ يسير على وفق ما رآه، فإن اعترض عليه ابن عوف اعتقله.

إنّ الإنسانيّة على ما جرّبت من تجارب، وبلغت من رقيّ وإبداع، فإنّها لم ترَ حاكماً في جميع فترات التاريخ مثل الإمام أمير المؤمنين في ورعه وتقواه وتجرّده من رغائب الحياة وملاذّها، وقد جهد نفسه على أن يطبّق العدل بجميع رحابه بين المسلمين بحيث لا يُسمع أنين مظلوم أو محروم أو فقير.

وعن الأصبغ بن نباتة، قال: «سمعت عمّار بن ياسر يقول: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: **يا عَلِيُّ، إِنَّ اللهَ قَدْ زَيَّنَكَ بِزِينَةٍ لَمْ يُزَيِّنِ الْعِبادَ بِزِينَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْها، هِيَ زِينَةُ الْأَبْرارِ**

---

(١) نهج البلاغة: ٢: ٢١٨.

(٢) الكافي: ١: ٤١٠.

عِنْدَ اللهِ تَعالىٰ ، وَهِيَ الزُّهْدُ في الدُّنْيا ، فَجَعَلَكَ لَا تَرْزَأُ مِنَ الدُّنْيا شَيْئاً ، وَلَا تَرْزَأُ الدُّنْيا مِنْكَ شَيْئاً ، وَوَهَبَ لَكَ حُبَّ الْمَساكِينِ ، فَجَعَلَكَ تَرْضىٰ بِهِمْ أَتْباعاً ، وَيَرْضَوْنَ بِكَ إِماماً »[1].

ويقول ابن أبي الحديد :

« وأمّا الزهد في الدنيا فهو عليه‌السلام سيّد الزهّاد ، وبدل الأبدال ، وإليه تشدّ الرحال ، وعنده تنقض الأحلاس ، ما شبع من طعام قطّ ، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً »[2].

وقال العقّاد :

« وصدق في تقواه وإيمانه كما صدق في عمل يمينه ومقالة لسانه ، فلم يعرف أحد من الخلفاء أزهد منه في لذّة دنيا أو سبب دولة ، وكان وهو أمير المؤمنين يأكل الشعير وتطحنه امرأته بيديها ، وكان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير ، فيقول : « **لَا أُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ بَطْني ما لا أَعْلَمُ** »[3].

ويصف زهد الإمام عليه‌السلام عمر بن عبدالعزيز :

« أزهد الناس في الدنيا عليّ بن أبي طالب »[4].

هذه لمحات عن شخصيّة الإمام عليه‌السلام فكيف لا يرشّحه النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله لمنصب

---

(١) أُسد الغابة : ٣ : ٢٤ . كنز العمّال : ١١ : ١٢٦ . شواهد التنزيل : ١ : ٥١٨ . تاريخ مدينة دمشق : ٤٢ : ٢٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١ : ٢٦ .

(٣) عبقرية الامام على عليه‌السلام : ٢٩ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق : ٤٢ : ٤٨٩ .

الخلافة ، على أنّا لو التزمنا بمبدأ الوراثة الذي احتجّ به المهاجرون على الأنصار ، وتغلّبوا به عليهم ، فإنّ الإمام أوْلى به من غيره ، فهو ابن عمّ النبيّ ﷺ ، وختنه على ابنته ، وأبو سبطيه .

يقول سيديو :

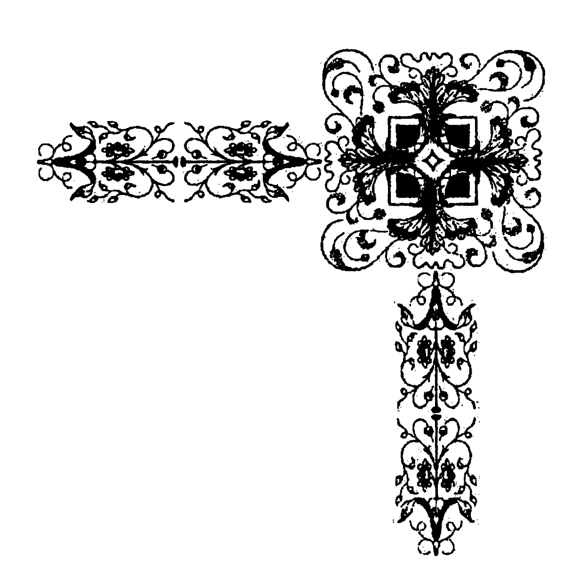
« لو كان قد تمّ الاعتراف بمبدأ الوراثة وهو في صالح عليّ منذ البداية لكان بوسع ذلك أن يمنع المنازعات النكباء التي أغرقت الإسلام في الدم ، كان زوج فاطمة يضمّ في شخصه حقّ الوراثة كوارث شرعي للرسول ، كما يضمّ الحقّ بالانتخاب »(١) .

إنّ التأمّل الدقيق الذي لا يخضع لعوامل التقليد وسائر العواطف بصورة لا تقبل الشكّ أنّ النبيّ ﷺ قد نصّ على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وعيّنه خليفة وإماماً من بعده لا لقاعدة الوراثة ولا لغيرها من سائر الاعتبارات التي يؤول أمرها إلى التراب ، وإنّما لتوفّر الصفات القياديّة بأسمى معانيها في شخصيّته .

ولا نصيب من الصحّة والواقع للقول بأنّ النبيّ ﷺ قد أهمل أمر الخلافة ، ولم يعرض لها بقليل ولا بكثير ، وترك أمرها للمسلمين ، وجعل لهم الحريّة في انتخاب من شاءوا ، فإنّ هذا بعيد كلّ البعد عن سيرة الرسول ﷺ وحرصه البالغ على إسعاد أُمّته ووقايتها من الانحراف والانحطاط .

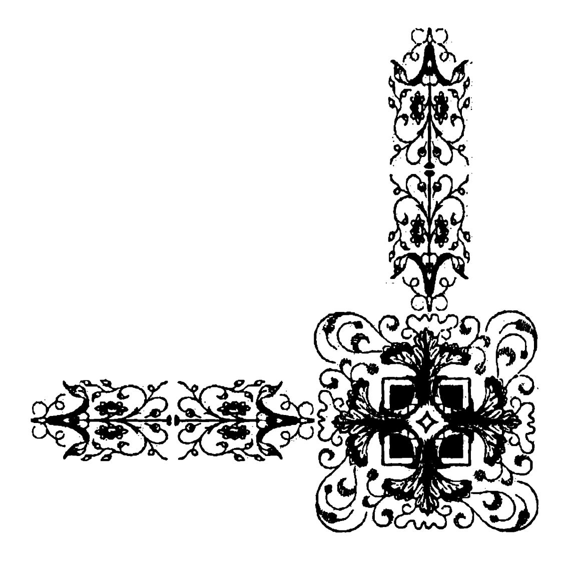
---

(١) روح الإسلام : ٢٩٢ .



أهل البيت عليهم السلام

في ظلال القرآن والسنّة



وأقام الرسول الأعظم ﷺ رصيداً مشرقاً لصيانة أُمّته ووقايتها من الفتن والانحراف من بعده، وهم أهل بيته عليهم السلام، سدنة علومه، ودعاة حكمته، وأعلام أُمّته إيماناً وهدياً وسلوكاً، وألصقهم وأشبههم به تقوى وورعاً والتزاماً بحرفيّة الإسلام، وقد عنى الذكر الحكيم والنبيّ العظيم ﷺ ببيان فضلهم، وسموّ منزلتهم، ونعرض لذلك مع ما يرتبط بالموضوع:

في رحاب القرآن الكريم

وأعلن القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فضل أهل البيت عليهم السلام، وعظيم مكانتهم، ولهم في مدح الله تعالى غنىً عن مدح المادحين، ووصف الواصفين، وهذه بعض الآيات الناطقة في فضلهم:

آية المودّة

وفرض الله تعالى في كتابه العظيم مودّة أهل البيت على كلّ مسلم ومسلمة، قال تعالى: **﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾**[١].

---

(١) الشورى ٤٢: ٢٣.

إنّ في مودّة آل البيت عليهم السلام أداءً لأجر المنقذ الأعظم صلى الله عليه وآله وصلة له ، وشكراً على ما لاقاه من عظيم العناء والجهد في سبيل إنقاذ المسلمين من الشرك ، وتحرير عقولهم من خرافات الجاهليّة وأوثانها ، وقد جعل تعالى ولاء عترته حقّاً لازماً على كلّ مسلم .

يقول الإمام محمّد بن إدريس الشافعي :

يا أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ حُبُّكُمُ — فَرْضٌ مِنَ اللهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
كَفاكُمُ مِنْ عَظيمِ الْقَدْرِ أَنَّكُمُ — مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيكُمْ لا صَلاةَ لَهُ[1]

وقال ابن العربي :

رَأَيتُ وَلائي آلَ طه فَريضَةً — عَلىٰ رَغمِ أَهلِ البُعدِ يورِثُني القُرْبىٰ
فَماطَلَبَ المَبعوثُ أَجراً عَلىٰ الهُدىٰ — بِتَبليغِهِ إلّا المَوَدَّةَ في القُربىٰ[2]

وقال شاعر أهل البيت الكميت :

وَجَدْنا لَكُمْ فِي آلِ حا ميمَ آيَةً — تَأَوَّلَها مِنّا تَقِيٌّ وَمُعرِبُ[3]

■ روى جابر بن عبدالله ، قال : « جاء أعرابي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : يا محمّد ، أعرض علَيّ الإسلام .

فقال صلى الله عليه وآله : **تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .**

قال الأعرابي : تسألني عليه أجراً ؟

قال صلى الله عليه وآله : **لَا ، إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ .**

---

(١) نور الأبصار : ١٠٤ . مسند أحمد بن حنبل : ٦ : ٣٢٣ . الصواعق المحرقة : ٨٨ .

(٢) الصواعق المحرقة : ١٦٨ .

(٣) روضة المختار : ٣٠ .

قال الأعرابي : قرباي أم قرباك ؟

فقال الرسول صلى الله عليه وآله : **قُرْبايَ** .

قال الأعرابي : هاتِ أبايعك ، فعلى من لا يحبك ولا يحب قرباك لعنة الله .

قال صلى الله عليه وآله : **آمين** »[١] .

■ واحتجّ بالآية الكريمة سيّد الساجدين ، الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام .

لمّا جيء به أسيراً إلى فرعون زمانه يزيد بن معاوية ، فأُقيم على دَرَج دمشق ، فانبرى إليه رجل من أهل الشام فقال له : الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم ، وقطع قَرْنَ الفتنة .

فنظر إليه الإمام فرآه مغفّلاً قد خدعته الدعايات الأمويّة ، وحادت به الطريق القويم ، فقال له عليه السلام : **أَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ ؟**

قال : نعم .

قال : **أَقَرَأْتَ آل حمَ ؟**

قال : قرأتُ القرآن ولم أقرأ آل حم ؟

قال : **ما قَرَأْتَ : ﴿قُل لَّآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ؟**

فذهل الرجل ومشت الرعدة بأوصاله ، وعرف أنّه على خطأ كبير ، وسارع قائلاً : وإنّكم لأنتم هم ؟

فقال : قال عليّ بن الحسين عليه السلام : **نَعَمْ** »[٢] .

وعرض ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسن عليه السلام إلى الآية الكريمة ، وأنّها نزلت فيهم ، فقال : « **وَأَنا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذينَ افْتَرَضَ اللهُ مَوَدَّتَهُمْ عَلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ ، فَقالَ**

---

(١) حلية الأولياء : ٣ : ٢٠١ .

(٢) تفسير الطبري : ٢٠ : ٤٩٩ . الصواعق المحرقة : ١٠١ .

تبارَكَ وَتعالىٰ : ﴿ قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً ﴾ ، فَاقْتِرافُ الْحَسَنَةِ مَوَدَّتُنا أَهْلَ الْبَيْتِ »(١) .

إنّ مودّة أهل البيت عليهم السلام من أقدس الفروض الإسلاميّة ، ومن أهمّ الواجبات الدينيّة ، فإنّ فيها صلة للرسول صلى الله عليه وآله .

آية المباهلة

من آيات الله البيّنات التي أشادت بفضل أهل البيت عليهم السلام وميّزتهم على غيرهم هي آية المباهلة . قال تعالى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾(٢) .

نزلت هذه الآية الكريمة في واقعة تاريخيّة بالغة الأهمّيّة جرت بين الرسول صلى الله عليه وآله وبين وفد ديني من نصارى نجران ، فقد قدموا إلى يثرب ليناظروا الرسول صلى الله عليه وآله في أمر الإسلام ، وبعد حديث دار بينهما اتّفقوا على الابتهال أن يجعل الله تعالى لعنته ، وينزل عذابه على الكاذبين والحائدين عن الحقّ ، وعيّنوا للمباهلة وقتاً خاصّاً .

ولمّا حان الوقت خرج النبيّ صلى الله عليه وآله للمباهلة وقد صحب معه أفضل المسلمين وأكرمهم عند الله تعالى ، وهم باب مدينة علمه ، وأبو سبطيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وبضعته الطاهرة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام ، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة .

وأقبل وفد النصارى وفي طليعتهم السيّد والعاقب يصحبان ولديهما وعليهما

---

(١) المستدرك على الصحيحين : ٣ : ١٧٢ . مجمع الزوائد : ٩ : ١٤٦ . الصواعق المحرقة : ١٠١ . مجمع البيان : ٩ : ٢٩ ، تفسير سورة الشورى .

(٢) آل عمران ٣ : ٦١ .

الحلي والحلل، ومعهم فرسان بني الحرث، وهم على أحسن هيئة واستعداد، ولمّا رأوا هيئة الرسول صلى الله عليه وآله مع أهل بيته امتلأت نفوسهم رعباً وهلعاً، وجثا النبيّ صلى الله عليه وآله للمباهلة، فتقدّم إليه السيّد والعاقب، وقد أخذتهما هيبته، فقال له: يا أبا القاسم، بمن تباهلنا؟

فأجابهم صلى الله عليه وآله قائلاً: **أُباهِلُكُمْ بِخَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَأَكْرَمِهِمْ عَلَى اللهِ**، وأشار إلى عليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام.

وطفقا قائلين: لِمَ لا تباهلنا بأهل الكرامة والكبر وأهل الشارة، ممّن آمن بك واتّبعك؟

فأكّد لهم النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ أهل بيته هم أفضل الخلق وأكرمهم عند الله تعالى قائلاً: **أَجَلْ، أُباهِلُكُمْ بِهـٰؤُلاءِ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَفْضَلِ الْخَلْقِ**.

فذهلوا وعرفوا أنّ الرسول صلى الله عليه وآله على حقّ، فسارعوا إلى زعيمهم الأسقف قائلين له: يا أبا حارثة، ماذا ترى في الأمر؟

وساد الارتباك على الأُسقف، وقد غمرته هيبة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته، فراح يقول: أرى وجوهاً لو سأل الله بها أحد أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، أفلا تنظرون محمّداً رافعاً يديه ينظر ما تجيئان به، وحقّ المسيح إن نطق فوه بكلمة لا نرجع إلى أهل ولا إلى مال.

وأخذ يحذّرهم من المباهلة قائلاً: ألا ترون إلى الشمس قد تغيّر لونها، والأُفق تنجع فيه السحب الداكنة[1]، والريح تهبّ هائجة سوداء حمراء، وهذه الجبال يتصاعد منها الدخان، لقد أطلّ علينا العذاب، انظروا إلى الطير وهي تقيء حواصلها، وإلى الشجر كيف تتساقط أوراقها، وإلى هذه الأرض

---

(١) الداكنة: السحابة السوداء.

كيف ترجف تحت أقدامنا.

لقد غمرتهم تلك الوجوه العظيمة العزيزة على الله تعالى، وقفل المسيحيّون مسرعين إلى النبيّ ﷺ قائلين: أقلنا أقال الله عثرتك.

وخضعوا لطلبات الرسول ﷺ وأخبرهم أنّهم لو استجابوا للمباهلة لهلكت النصارى قائلاً: **وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ، إنَّ الْعَذابَ تَدَلّىٰ عَلىٰ أَهْلِ نَجْرانَ، وَلَوْ لاعَنوا لَمُسِخوا قِرَدَةً وَخَنازِيرَ، وَلَاضْطَرَمَ عَلَيْهِمُ الْوادِي ناراً، وَلَاسْتَأْصَلَ اللهُ نَجْرانَ وَأَهْلَهُ حَتّىٰ الطَّيْرَ عَلَى الشَّجَرِ، وَما حالَ الْحَوْلُ عَلَى النَّصارىٰ كُلِّهِمْ**»(١).

وأوضحت قصّة المباهلة مدى أهمّيّة آل البيت عليهم السلام، وأنّهم نسخة لا ثاني لها في الإسلام في إيمانهم وورعهم، ولو أنّ النبيّ ﷺ وجد مَن هم خير منهم لاختارهم للمباهلة، بل لو كان هناك مَن يساويهم في الفضل لامتنع أن يقدّم أهل بيته عليهم، وذلك لقبح الترجيح بلا مرجّح، كما يقول علماء الأُصول.

ولم ينتدب الرسول ﷺ للمباهلة أحداً من أُسرته، فلم يدع صنو أبيه عمّه العبّاس، ولا أحداً من أبناء الهاشميّين، وكذلك لم يدع واحدة من عقائل الشرف، وخفرات الرسالة من نسائه، ولا واحدة من نساء الخلفاء، وغيرهنّ من نساء المهاجرين والأنصار وجميعهنّ كنّ بمرأى منه ومسمع، وقد دلّ ذلك على فضل أهل البيت وعظيم شأنهم عند الله تعالى: ﴿ **ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾(٢).

يقول الإمام شرف الدين نضّر الله مثواه:

« وأنت تعلم أنّ مباهلته ﷺ بهم، والتماسه منهم التأمين على دعائه

---

(١) نور الأبصار: ١٠٠.

(٢) الحديد ٥٧: ٢١.

بمجرّده لفضل عظيم ، وانتخابه إيّاهم لهذه المهمّة العظيمة واختصاصهم بهذا الشأن الكبير ، وإيثارهم فيه على مَن سواهم من أهل السوابق فضل على فضل لم يسبقهم إليه سابق ، ولن يلحقهم فيه لاحق ، ونزول القرآن العزيز آمراً بالمباهلة بهم بالخصوص فضل ثالث ، يزيد فضل المباهلة ظهوراً ، ويضيف إلى شرف اختصاصهم بها شرفاً ، وإلى نورهم نوراً »[١].

كما دلّت الآية الكريمة على أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه المعنيّ بقوله تعالى : ﴿ **وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ** ﴾ ، فإذا كان عليّ عليه السلام هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله فهو أوْلى بالخلافة وأحقّ بها من غيره ، لأنّه امتداد ذاتي لشخصيّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، كما دلّت الآية على أنّ الإمام عليه السلام أفضل جميع خلق الله لأنـه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو أفضل الموجودات .

وقد أدلى بذلك الفخر الرازي ، قال :

«كان في الريّ رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي ، وكان معلّم الإثني عشرية ـ يعني الإمامية ـ وكان يزعم أنّ عليّاً أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد صلى الله عليه وآله ، والذي يدلّ عليه قوله : ﴿ **وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ** ﴾ ؛ إذ ليس المراد بقوله : ﴿ **وَأَنْفُسَنَا** ﴾ نفس محمّد صلى الله عليه وآله ؛ لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه ، بل المراد غيره ، وأجمعوا على أنّ ذلك الغير كان عليّ بن أبي طالب ، فدلّت الآية على أنّ نفس عليّ هي نفس محمّد صلى الله عليه وآله ، ولا يمكن أن يكون المراد منه أنّ هذه النفس هي عين تلك النفس ، فالمراد أنّ هذه النفس مثل تلك النفس ، وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه ترك العمل بهذا العموم في حقّ النبوّة ،

---

(١) الكلمة الغرّاء : ١٨٤.

وفي حقّ الفضل لقيام الدلائل على أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان نبيّاً وما كان عليّ كذلك ولانعقاد الإجماع على أنّ محمّداً كان أفضل من عليّ ، فيبقى فيما ما وراء ذلك معمولاً به ، ثمّ الإجماع دلّ على أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام فيلزم أن يكون عليّ أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام[١].

آية الأبرار

من آيات الله البيّنات التي أعلنت فضل أهل البيت عليهم السلام وميّزتهم على غيرهم آية الأبرار ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً** ﴾[٢].

أجمع المفسّرون[٣] أنّها اُنزلت في أهل البيت عليهم السلام ، وحكوا أنّ السبب في نزول سورة هل أتى أنّ الحسن والحسين عليهما السلام مرضا ، فعادهما جدّهما الرسول صلى الله عليه وآله مع كوكبة من أصحابه ، وطلبوا من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن ينذر لله صوماً إن عافاهما الله من المرض ، فنذر الإمام عليه السلام صوم ثلاثة أيّام ، وتابعته الصدّيقة سيّدة نساء العالمين ، وجاريتها فضّة .

ولمّا شفى الحسنان من المرض صاموا جميعاً ، ولم يكن عند الإمام عليه السلام شيء من الطعام ، فاستقرض ثلاثة أصواع من الشعير ، فعمدت الصدّيقة في اليوم الأوّل إلى صاع فطحنته وخبزته ، فلمّا آن وقت الإفطار طرق الباب مسكين يستمنحهم شيئاً من

---

(١) تفسير الرازي : ٨ : ٨٦.

(٢) الإنسان ٧٦ : ٥ ـ ٧.

(٣) أسباب النزول للواحدي : ٣٣. تفسير الرازي : ٨ : ٣٩٢. روح البيان : ٦ : ٥٤٦. ينابيع المودّة : ١ : ٩٣. امتاع الأسماع للمقريزي : ٥٠٢.

الطعام ، فعمدوا إلى هبة قوتهم له ، واستمرّوا في صيامهم لم يتناولوا سوى الماء .

وفي اليوم الثاني عمدت بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى تهيئة الطعام الذي كان قوامه خبز الشعير ، فلمّا حان وقت الإفطار وإذا بيتيم قد أضناه الجوع وهو يطلب إسعافه ، فتبرّعوا جميعاً بقوتهم ، ولم يتناولوا سوى الماء .

وفي اليوم الثالث قامت سيّدة النساء فطحنت ما بقي من الشعير وخبزته ، ولمّا حان وقت الإفطار طرق الباب أسير وهو يطلب القوت ، فسحبوا أيديهم من الطعام ومنحوه له .

سبحانك اللّهمّ أي إثيار أبلغ من هذا الإيثار ، وأيّ مبرّة أعظم من هذه المبرّة التي ما قصد بها إلّا وجه الله الكريم .

وفي اليوم الرابع رآهم النبيّ صلى الله عليه وآله قد ارتعشت أجسامهم من الجوع ، وطفق يقول : **واغَوْثاه ، أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ يَمُوتونَ جُوعاً ؟**[١]

ولم ينه الرسول كلامه حتّى هبط عليه جبرئيل ، وهو يحمل تحيّات السماء لأهل البيت عليهم السلام ، ويقدّم لهم المكافأة على هذه المبرّة ، إنّها مكافأة لا توصف بشيء ، ولا تقدّر بكمّ ، إنّها مغفرة ورحمة ورضوان من الله تعالى ، لقد جازاهم بما صبروا جنّة وحريراً ، ومنحهم سورة من كتابه تدلّ على سموّ مكانتهم وعظيم شأنهم عنده تعالى .

آية التطهير

من آيات الله البيّنات التي نزلت في حقّ أهل البيت عليهم السلام آية التطهير . قال الله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[٢] .

روت أُمّ المؤمنين السيّدة أُمّ سلمة ، قالت : « نزلت هذه الآية في بيتي ، وفيه

---

(١) خصائص الوحي المبين : ١٧٨ . تفسير الثعلبي : ١٠ : ١٠١ . شواهد التنزيل : ٢ : ٣٩٧ .

(٢) الأحزاب ٣٣ : ٣٣ .

كانت فاطمة والحسن والحسين وعليّ عليهم السلام، فجلّلهم رسول الله صلى الله عليه وآله بكساء كان عليه، ثمّ قال: «**اللّهُمَّ هٰؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً**»، يكرّر ذلك.

وأُمّ سلمة تسمع وترى، فقالت: وأنا معكم يا رسول الله؟ ورفعت الكساء لتدخل، فجذبه منها، وقال: **إِنَّكِ عَلىٰ خَيْرٍ**»[1].

ثمّ نزلت الآية الكريمة في حقّهم[2]، وقد دلّت بوضوح على عصمتهم من كلّ رجس وذنب، وقد تصدّرت الآية بكلمة ﴿**إِنَّمَا**﴾، وهي أقوى أدوات الحصر، ويضاف إليه دخول اللام في الكلام الخبري وتكرار لفظ الطهارة، وكلّ ذلك يدلّ حسب الصناعة على الحصر في إزالة كلّ رجس وذنب عنهم، وهذا هو معنى العصمة الذي تذهب إليه الشيعة في أئمّتهم.

هذه بعض الآيات التي نزلت في أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٢: ٤١٦. أُسد الغابة: ٥: ٥٢١.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٦: ٧٨٣. صحيح مسلم ٢: ٣٣١. الخصائص الكبرى: ٢: ٢٦٤. الرياض النضرة: ٢: ١٨٨. مسند أحمد: ٤: ١٠٧. السنن الكبرى للبيهقي: ٢: ١٥٠. وقد أورد جلال الدين السيوطي في الدرّ المنثور عشرين رواية في اختصاص الآية بأهل البيت عليهم السلام، وأورد ابن جرير في تفسيره خمس عشرة رواية.

في رحاب السنّة

وأُثرت عن النبيّ صلى الله عليه وآله كوكبة من الأحاديث في فضل عترته، ولزوم مودّتهم، وأنّهم سفن النجاة، وعدلاء الذكر الحكيم، وهذه بعضها:

١ ـ روى أبو بكر، قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله خيّم خيمة، وهو متّكئ على قوس عربيّة، وفي الخيمة عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: **مَعْشَرَ الْمُسْلِمينَ، أَنا سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَ أَهْلَ الْخَيْمَةِ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَهُمْ، وَوَلِيٌّ لِمَنْ والاهُمْ. لَا يُحِبُّهُمْ إِلّا سَعِيدُ الْجَدِّ، طَيِّبُ الْمَوْلِدِ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلّا شَقِيُّ الْجَدِّ، رَدِيءُ الْوِلادَةِ**»[(١)].

٢ ـ روى زيد بن أرقم: «أنّ رسول الله قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: **أَنا حَرَبٌ لِمَنْ حارَبْتُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سالَمْتُمْ**»[(٢)].

٣ ـ وروى أحمد بن حنبل بسنده: «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين، وقال: **مَنْ أَحَبَّني، وَأَحَبَّ هٰذَيْنِ، وَأَباهُما، وَأُمَّهُما، كانَ مَعي في دَرَجَتي يَوْمَ الْقِيامَةِ**»[(٣)].

---

(١) الرياض النضرة: ٢: ٢٥٢. صحيح الترمذي: ٢: ٣١٩.
وروى ابن ماجة في سننه: ١: ٥٢: «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: **أَنا سِلْمٌ لِمَنْ سالَمْتُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبْتُمْ**». ومثله رواه الحاكم في مستدركه: ٣: ١٤٩، وابن الأثير في أُسد الغابة: ٥: ٥٢٣، وأحمد في مسنده: ٢: ٢٤٢.

(٢) كنز العمّال: ٧: ١٠٢. سنن ابن ماجة: ١: ١٤، ورواه ابن كثير في البداية والنهاية: ٨: ٤١، عن أبي هريرة.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ١: ٧٧. ينابيع المودّة: ١٦٤. صحيح الترمذي: ٢: ٣٠١.

٤ ـ وروى جابر، قال: «قال رسول الله ﷺ ذات يوم بعرفات وعليّ تجاهه: **إدْنُ مِنّي يا عَلِيُّ، خُلِقْتُ أنا وَأَنْتَ مِنْ شَجَرَةٍ، أَنا أَصْلُها، وَأَنْتَ فَرْعُها، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ أَغْصانُها، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغُصْنٍ مِنْها أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ**»(١).

٥ ـ روى ابن عبّاس، قال: «إنّ رسول الله ﷺ قال: **النُّجومُ أَمانٌ لأَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْغَرَقِ، وَأَهْلُ بَيْتي أَمانٌ لأُمَّتي مِنَ الْإِخْتِلافِ، فَإِذا خالَفَتْها قَبيلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ اخْتَلَفوا فَصاروا حِزْبَ إِبْلِيسَ**»(٢).

٦ ـ روى زيد بن أرقم، قال: «قال رسول الله ﷺ: **إِنّي تارِكٌ فيكُمْ ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدِي، أَحَدُهُما أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ: كِتابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدودٌ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِتْرَتي أَهْلُ بَيْتي، وَلَنْ يَفْتَرِقا حَتّىٰ يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُروا كَيْفَ تَخْلُفوني فِيهِما؟**»(٣).

إنّ حديث الثقلين من أروع الأحاديث النبويّة، وأكثرها ذيوعاً بين المسلمين، وقد كرّر النبيّ ﷺ هذا الحديث، كان منها ما رواه زيد بن أرقم، قال: «نزل رسول الله ﷺ الجحفة، ثمّ أقبل على الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: **إِنّي لا أَجِدُ لِنَبِيٍّ إِلّا نِصْفَ عُمْرِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَإِنّي أُوشِكُ أَنْ أُدعىٰ، فَما أَنْتُمْ قائِلُونَ؟**

قالوا: نصحت.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ١: ٧٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣: ١٤٩.

وفي كنز العمّال: ٦: ١١٦ والصواعق المحرقة: ١١١: «أنّ النبيّ قال: **النُّجُومُ أَمانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، وَأَهْلُ بَيْتي أَمانٌ لِأُمَّتي**»، ورواه المناوي في فيض القدير: ٦: ٢٩٧. والهيثمي في مجمعه: ٩: ١٧٤.

(٣) صحيح الترمذي: ٢: ٣٠٨. أُسد الغابة: ٢: ١٢.

قال: **أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ؟**

قالوا: نشهد.

فرفع النبيّ صلى الله عليه وآله يده فوضعها على صدره، ثمّ قال: **وَأَنا أَشْهَدُ مَعَكُمْ.**

ثمّ التفت إليهم فقال: **أَلَا تَسْمَعُونَ؟**

قالوا: نعم.

قال: **فَإِنِّي فَرَطٌ**(١) **عَلَى الْحَوْضِ، وَأَنْتُمْ وَارِدُونَ عَلَى الْحَوْضِ، وَأَنَّ عُرْضَهُ مَا بَيْنَ صَنْعاءَ وَبُصْرىٰ، فِيهِ أَقْدَاحٌ عَدَدَ النُّجُوْمِ مِنْ فِضَّةٍ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِي الثَّقَلَيْنِ؟**

فناداه منادٍ: وما الثقلان، يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله: **كِتابُ اللهِ طَرَفٌ بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَطَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَالْآخَرُ عِتْرَتِي، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَّأَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقا حَتّىٰ يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَسَأَلْتُ ذٰلِكَ لَهُما رَبِّي، فَلَا تَقَدَّمُوهُما فَتَهْلِكُوا، وَلَا تُقَصِّرُوا عَنْهُمَا، وَلَا تُعَلِّمُوْهُمْ فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ.**

ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: **مَنْ كُنْتُ أَوْلىٰ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ فَعَلِيٌّ وَلِيُّهُ، اللّٰهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ، وَعَادِ مَنْ عاداهُ»**(٢).

كما أعلن النبيّ صلى الله عليه وآله حديث الثقلين وهو على فراش الموت حيث خاطب أصحابه قائلاً: «**أَيُّها النَّاسُ، يُوْشِكُ أَنْ أُقْبَضَ قَبْضاً سَرِيعاً، فَيُنْطَلَقُ بِي، وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمُ الْقَوْلَ مَعْذِرَةً إِلَيْكُمْ أَلَا إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيْكُمْ كِتابَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي.**

---

(١) **فرط**: المتقدّم قومَه إلى الماء.

(٢) مجمع الزوائد: ٩: ١٦٣. كنز العمّال: ١: ١٨٨.

ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام فرفعها ، فقال : **«هذا عَلِيٌّ مَعَ القُرْآنِ ، وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ ، لَا يَفْتَرِقانِ حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ»** (١).

إنّ حديث الثقلين من أوثق الأحاديث النبويّة ، وأوفرها صحّة ، وقد ذكر المناوي عن السمهودي أنّه قال : « وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة وكلّهم قد رووا هذا الحديث » (٢).

وقال ابن حجر : « ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابيّاً » (٣).

إنّ حديث الثقلين حصر الإمامة في أهل البيت عليهم السلام ، ودلّ على عصمتهم من الزيغ وطهارتهم من الدنس والإثم ، فقد قرنهم بكتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومن الطبيعي أن أيّ انحراف منهم عن طريق الهدى يعتبر افتراقاً عن الكتاب العظيم ، فدلالة الحديث في عصمتهم صريحة واضحة .

٧ ـ روى أبو سعيد الخدري ، قال : « سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول : **إنّما مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ ، مَنْ رَكِبها نَجا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْها غَرِقَ ، وَإِنّما مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مَثَلُ بابِ حِطَّةَ فِي بَنِي إِسْرائِيلَ ، مَنْ دَخَلَهُ غُفِرَ لَهُ** » (٤).

---

(١) الصواعق المحرقة : ٧٥.

(٢) فيض القدير : ٣ : ١٤.

(٣) الصواعق المحرقة : ١٣٦.

(٤) مجمع الزوائد : ٩ : ١٦٨. تاريخ بغداد : ٢ : ١٩.

وجاء في مستدرك الحاكم : ٢ : ٣٤٣ و : ٣ : ١٥١ : عن حنش الكناني ، قال : « سمعت أبا ذرّ يقول وهو آخذ بباب الكعبة : أيّها النّاس ، من عرفني فأنا مَن عرفتم ، ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ ، سمعت رسول الله يقول : **مَثَلُ أَهْلِ بَيْتي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ ، مَنْ رَكِبَها نَجا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْها غَرِقَ** ».

«

وعلّق الإمام شرف الدين على هذا الحديث بقوله:

« وأنت تعلم أنّ المراد من تشبيههم عليهم السلام بسفينة نوح أنّ مَن لجأ إليهم في الدين فأخذ فروعه وأُصوله عن أئمّتهم الميامين نجا من عذاب النار، ومن تخلّف عنهم كان كمن أوى يوم الطوفان إلى جبل ليعصمه من أمر الله، غير أنّ ذاك غرق في الماء، وهذا في الحميم والعياذ بالله.

والوجه في تشبيههم عليهم السلام بباب حطة هو أنّ الله تعالى جعل ذلك الباب مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله والبخوع لحكمه، وبهذا كان سبباً للمغفرة.

هذا وجه الشبه، وقد حاوله ابن حجر إذ قال ـ بعد أن أورد هذه الأحاديث وغيرها من أمثالها ـ: ووجه تشبيههم بالسفينة أنّ مَن أحبّهم وعظّمهم شكراً لنعمة مشرّفهم، وأخذ بهدي علمائهم، نجا من ظلمة المخالفات، ومَن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم، وهلك في مفاوز الطغيان ».

إلى أن قال: « وبباب حطة ـ يعني وجه تشبيههم بباب حطة ـ أنّ الله جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحا أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة، وجعل لهذه الأُمّة مودّة أهل البيت سبباً لها »[1].

لقد جعل النبيّ صلى الله عليه وآله أهل بيته كسفينة نوح عليه السلام، فالرجوع إليهم والمودّة لهم سبب للنجاة، وبغضهم سبب للضلالة والهلاك.

« وقد تظافرت الأخبار بهذا النصّ.

(١) المراجعات: ٥٤.

٨ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَعْرِفَةُ آلِ مُحَمَّدٍ بَراءَةٌ مِنَ النّارِ، وَحُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ جَوازٌ عَلَى الصِّراطِ، وَالْوَلايَةُ لآلِ مُحَمَّدٍ أَمانٌ مِنَ الْعَذابِ**»(١).

٩ ـ قال صلى الله عليه وآله: «**اجْعَلوا أَهْلَ بَيْتي مِنْكُم مَكانَ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَمَكانَ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الرَّأْسِ، وَلَا يَهْتَدي الرَّأْسُ إلّا بِالعَيْنَيْنِ**»(٢).

١٠ ـ قال صلى الله عليه وآله: «**لَا تَزولُ قَدَما عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيامَةِ حَتّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فيما أَفْناهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فيما أَبْلاهُ، وَعَنْ مالِهِ فيما أَنْفَقَهُ، وَمِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَعَنْ مَحَبَّتِنا أَهْلَ الْبَيْتِ**»(٣).

١١ ـ قال صلى الله عليه وآله: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيا حَياتي، وَيَموتَ مَماتي، وَيَسْكُنَ جَنَّةَ عَدْنٍ غَرَسَها رَبِّي، فَلْيُوالِ عَلِيّاً مِنْ بَعْدي، وَلْيُوالِ وَلِيَّهُ، وَلْيَقْتَدِ بِأَهْلِ بَيْتي مِنْ بَعْدِي، فَإِنَّهُمْ عِتْرَتي، خُلِقوا مِنْ طِينَتي، وَرُزِقوا فَهْمي وَعِلْمي، فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبينَ بِفَضْلِهِمْ مِنْ أُمَّتي، الْقاطِعِينَ فِيهِمْ صِلَتي، لَا أَنالَهُمُ اللهُ شَفاعَتي**»(٤).

وكثير من أمثال هذه الأحاديث أُثرت عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في فضل عترته، والإشادة بسموّ منزلتهم ومكانتهم عند الله تعالى، والمتأمّل في هذه الأحاديث وفي الآيات السابقة يطلّ على الغاية المنشودة لله تعالى ولرسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وهي تقليد أهل البيت بمركز الحكم والقيادة الروحيّة والزمنيّة لهذه الأُمّة، لأنّهم أوْلى بمقام النبيّ صلى الله عليه وآله من غيرهم، فقد تربّوا على هديه وتغذّوا بحكمه وآدابه.

لقد اختارهم الله تعالى ولاة وهداة لعباده، وأُمناء على تبليغ رسالته، ومن المؤكّد

(١) المراجعات: ٥٨، نقلاً عن كتاب الشفا: ٤٠.
(٢) المراجعات: ٨١، نقلاً عن الشرف المؤبّد: ٥٨.
(٣) المعجم الأوسط للطبراني: ٢: ٣٤٨.
(٤) كنز العمّال: ٦: ٢١٧.

لو أنّ الأمّة قدّمتهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله لما تعرّضت للنكبات والأزمات، وما ابتليت بالكوارث والخطوب، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ولاء الشيعة لآل البيت عليهم السلام

ولم يكن ولاء الشيعة وحبّهم لآل البيت عليهم السلام عاطفيّاً ولا تقليداً، وإنّما ساقتهم الأدلّة الحاسمة من الكتاب والسنّة فألزمتهم بمودّتهم والولاء لهم، ولا يسعهم مجافاة كتاب الله وسنّة نبيّه.

لقد آمنت الشيعة منذ فجر تاريخها بمودّة أهل البيت عليهم السلام، وكان ذلك عنصراً من عناصر حياتهم العقائديّة، وعلينا أن نتبيّن مدى ولائهم ومحبّتهم لأهل بيت النبوّة هل فيه غلوّ أو خروج عن الدين، وهي:

أوّلاً: إنّ الشيعة تأخذ معالم الدين اُصولاً وفروعاً عن أئمّة أهل البيت، وتُجمع على لزوم العمل بأقوالهم وأفعالهم، وأنّها من السنّة التي يجب العمل بها، وبذلك فقد بنوا إطارهم العقائدي على ما اُثر عن الأئمّة، ولم يكن ذلك عن تحزّب أو تعصّب، وإنّما النصوص القطعيّة هي التي ألزمتهم بذلك.

يقول الإمام شرف الدين نضّر الله مثواه:

«إنّ تعبّدنا في الاُصول بغير المذهب الأشعري وفي الفروع بغير المذاهب الأربعة لم يكن لتحزّب أو تعصّب، ولا لريب في اجتهاد أئمّة تلك المذاهب ولا لعدم عدالتهم وأمانتهم ونزاهتهم وجلالتهم علماً وعملاً لكن الأدلّة الشرعية أخذت بأعناقنا إلى الأخذ بمذهب أهل بيت النبوّة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيل، فانقطعنا إليهم في فروع الدين وعقائده واُصول الفقه وقواعده، ومعارف السنّة والكتاب وعلم الأخلاق والسلوك والآداب نزولاً على حكم الأدلّة والبراهين وتعبّداً بسنّة سيّد المرسلين صلّى الله

عليه وآله أجمعين .

ولو سمحت لنا الأدلّة مخالفة الأئمّة من آل محمّد ﷺ أو تمكنّا من تحصيل نيّة القربة لله سبحانه في مقام العمل على مذهب غيرهم لتعقّبنا أثر الجمهور وقفونا أثرهم تأكيداً لعقد الولاء وتوثيقاً لعرى الاخاء ، لكنّها الأدلّة تقطع على المؤمن وجهته وتحول بينه وبين ما يروم » .

وأضاف بعد هذا يقول :

« وما أظنّ أحداً يجرؤ على القول بتفضيلهم ـ أي أئمّة المذاهب ـ في علم أو عمل على أئمّتنا وهم أئمّة العترة الطاهرة ، وسفن نجاة الأُمّة ، وباب حطّتها ، وأمانها من الاختلاف في الدين ، وأعلام هدايتها ، وثقل رسول الله ﷺ وقد قال : **فَلا تَتَقَدَّموهُمْ فَتَهْلكوا ، وَلَا تُقَصِّروا عَنْهُمْ فَتَهْلِكوا ، وَلَا تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ** ، لكنّها السياسة وما أدراك ما اقتضت في صدر الإسلام »[١] .

وأيّد شيخ الأزهر الشيخ سليم ؒ هذا الكلام فقال :

« بل قد يقال : إنّ أئمّتكم الاثني عشر أوْلى بالاتّباع من الأئمّة الأربعة ؛ لأنّ الاثني عشر كلّهم على مذهب واحد قد محّصوه وقرّروه بإجماعهم بخلاف الأربعة ، فإنّ الاختلاف بينهم شائع في أبواب الفقه كلّها ، فلا تحاط موارده ، ولا تضبط ومن المعلوم أنّ ما يمحّصه الشخص الواحد لا يكافىء في الضبط ما يمحّصه الاثنا عشر إماماً . هذا كلّه ممّا لم تبق فيه وقفة لمنصف ولا وجهة لمتعسّف »[٢] .

---

(١) المراجعات : ٤٠ و ٤١ .

(٢) المراجعات : ٤٤ .

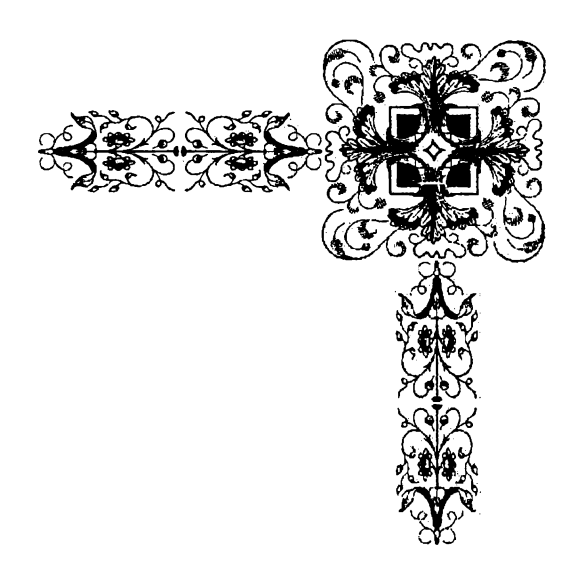
ومن الطبيعي أنّ الأخذ بأقوال أهل البيت عليهم السلام واتّباع منهجهم في الفقه الإسلامي ليس فيه أي جانب من الغلوّ أو الإفراط في الحبّ ، وإنّما هو متّسم بالتوازن والاعتدال .

ثانياً : إنّ من مظاهر ولاء الشيعة لأئمّتهم قيامهم بإحياء ذكراهم والإشادة بفضائلهم ومآثرهم ، وإقامة الحفلات التأبينيّة على ما أصابهم من عظيم الخطب من حكّام عصورهم الذين كانوا لا يرجون لله وقاراً ، فجرّعوهم الغصص والآلام ، وأبادوهم قتلاً وأسراً ، كما أبادوا شيعتهم تحت كلّ حجر ومدر .

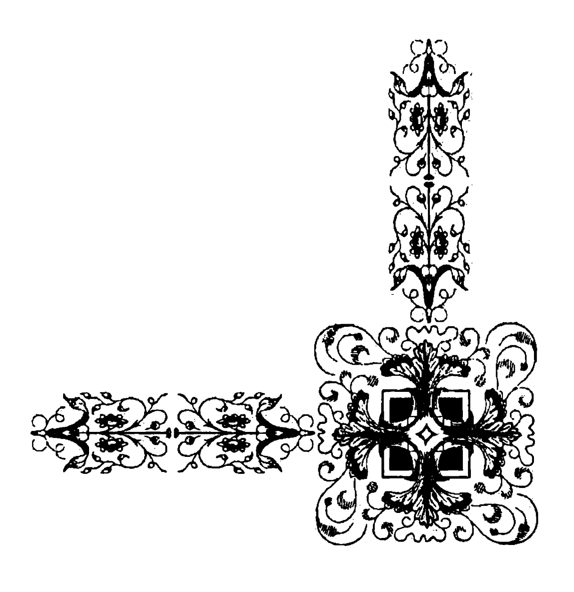
ثالثاً : زيارة الشيعةِ لمراقد الأئمّة الطاهرين للتبرّك والتقرّب بها إلى الله تعالى ، فإنّها من أعظم الودّ والولاء لأهل البيت عليهم السلام الذين فرض الله مودّتهم على جميع المسلمين ، وسنعرض في بحوث هذا الكتاب إلى تفصيل القائلين بأنّ زيارة القبور بدعة .

هذه بعض مظاهر الولاء التي تكنّه الشيعة للأئمّة الطاهرين ، وليس فيها أي شائبة للغلوّ .

وعلى هذا الأساس المعتدل أقامت الشيعة إطارها العقائدي في مودّتها لأهل البيت عليهم السلام .



الشيعة و الغلوّ



واتّهمت الشيعة بغير إنصاف بالغلوّ في أئمّتهم ، مع أنّهم براء من هذه التهمة ، ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للتحدّث عن ذلك .

حقيقة الغلوّ

أمّا حقيقة الغلوّ فهي نسبة الأئمّة الطاهرين إلى الأُلوهيّة ، وأنّهم الخالقون لهذا الكون ، والمدبّرون لشؤونه ، وفي ذلك يقول بعض الغلاة في الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام :

وَمَنْ أَهْلَكَ عاداً وَثَموداً بِدَواهيهِ ... وَمَنْ كَلَّمَ موسى فَوقَ طورٍ إِذْ يُناجيهِ
وَمَنْ قالَ عَلى المِنبَرِ يَوماً وَهوَ راقيهِ ... سَلوني أَيُّها الناسُ فَحاروا في مَعانيهِ[1]

وأنت ترى في هذا الشعر الغلوّ الكامل في الإمام أمير المؤمنين .

وزعم بعض الغلاة أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام هو الله ، ويردّ عليهم السيّد الحميري بقوله :

قَومٌ غَلوا في عَلِيٍّ لَا أَبا لَهُمُ ... وَأَجْشَموا أَنْفُساً في حُبِّهِ تَعَبا
قالوا هُوَ اللهُ جَلَّ اللهُ خالِقُنا ... مِنْ أَنْ يَكونَ لَهُ ابنٌ أَوْ يَكونُ أَبا[2]

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١٠ : ١٣ .

(٢) العقد الفريد : ٢ : ٢١٩ . مناقب آل أبي طالب : ١ : ٣٢٨ . أعيان الشيعة : ٣ : ٤١٩ .

هذه حقيقة الغلوّ، وهي صريحة وواضحة في نسبة الألوهيّة إلى الإمام أو إلى أحد أبنائه الأئمّة الطاهرين.

براءة الشيعة من الغلوّ

وتبرأ الشيعة من الغلاة، وتقول بلا تحفّظ أنّهم ليسوا من فرق الإسلام، وأنّهم والكفّار على حدّ سواء.

قال الإمام الصادق عليه السلام لمرازم: «**قُلْ لِلْغالِيَةِ تُوبوا إِلَى اللهِ، فَإِنَّكُمْ فُسّاقٌ كُفّارٌ مُشْرِكونَ**»(١).

وروى سدير، قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ قوماً يزعمون أنّكم آلهة.

فقال عليه السلام: **يا سَديرُ، سَمْعي وَبَصَري وَبَشَري وَدَمي مِنْ هٰؤلاءِ بَراءٌ، بَرِئَ اللهُ مِنْهُمْ وَرَسولُهُ، ما هٰؤُلاءِ عَلىٰ دِيني وَدينِ آبائِي**»(٢)..

لقد تبرّأ أئمّة الشيعة من الغلاة، وحكموا بعزلهم ومروقهم من الدين، فقد روى سهل بن زياد، قال: «كتب بعض أصحابنا إلى أبي الحسن العسكري عليه السلام: جعلت فداك يا سيّدي، إنّ عليّ بن حسكة يدّعي أنّه من أوليائك، وأنّك أنت الأوّل القديم، وأنّه بابك ونبيّك، أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أنّ الصلاة والزكاة والحجّ والصوم كلّ ذلك معرفتك، ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدّعي من البابيّة(٣) والنبوّة فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصلاة والصوم والحجّ، وذكر جميع شرائع الدين، إنّ معنى ذلك كلّه ما ثبت لك، ومال الناس إليه كثيراً، فإن رأيت أن

---

(١) وسائل الشيعة: ١٨: ٥٦٦.

(٢) منهج المقال: ٢٥٧.

(٣) وفي نسخة: «النيابة».

تمنّ على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة ؟[١]

فكتب الإمام في جوابه ما يلي :

كَذِبَ ابْنُ حَسَكَةَ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ ، وَبِحَسْبِكَ أَنّي لا أَعْرِفُهُ في مَوالِيَّ ، ما لَهُ لَعَنَهُ اللهُ ، فَوَاللهِ ما بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً وَالْأَنْبِياءَ قَبْلَهُ إلّا بِالْحَنيفِيَّةِ وَالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْوِلايَةِ ، وَما دَعا مُحَمَّدٌ ﷺ إلّا إِلَى اللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وَكَذلِكَ نَحْنُ الْأَوْصِياءُ مِنْ وُلْدِهِ عَبيدُ اللهِ لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً إِنْ أَطَعْناهُ رَحِمَنا ، وَإِنْ عَصَيْناهُ عَذَّبَنا ما لَنا عَلَى اللهِ مِنْ حُجَّةٍ بَلِ الْحُجَّةُ للهِ عَزَّ وَجَلَ عَلَيْنا وَعَلىٰ جَميعِ خَلْقِهِ ، أَبْرَأُ إِلَى اللهِ مِمَّنْ يَقولُ ذلِكَ ، وَانْتَفي إِلَى اللهِ مِنْ هٰذَا الْقَوْلِ ، فَاهْجُروهُمْ لَعَنَهُمُ اللهُ ، وَأَلْجِئُوهُمْ إِلىٰ ضِيقِ الطَّريقِ ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ أَحَداً مِنْهُمْ فَاشْدَخوا رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ »[٢] .

وأعلن الإمام الصادق عليه السلام براءته من الغلاة ، فقد قال لأبي بصير : **يا أَبا مُحَمَّدٍ ، أَبْرَأُ مِمَّنْ يَزْعُمُ أَنّا أَرْبابٌ ، وَأَبْرَأُ مِمَّنْ يَزْعُمُ أَنّا أَنْبِياءُ »[٣] .**

ويتّفق المؤرّخون أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أحرق جماعة قالوا بألوهيّته[٤] .

لقد تبرّأ أئمّة الشيعة من الغلاة ، وحكموا بكفرهم ومروقهم من الدين ، وقد ألّف علماء الشيعة كتباً في الردّ عليهم وإبطال عقائدهم ، كان منها ما ألّفه علماء آل نوبخت والفضل بن شاذان ، وسعد بن عبدالله الأشعري .

---

(١) رجال الكشّي : ٩٩٧/٥١٩.

(٢) رجال الكشّي : ٩٩٧/٥١٩.

(٣) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة : ٢ : ٣٧٥.

(٤) الملل والنحل : ١ : ١٠١.

ونختم هذا الحديث بكلمة للإمام الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء ، قال :

« أمّا الشيعة فيبرأون من تلك الفرق ـ أي فرق الغلاة ـ براءة التحريم ، على أنّ تلك الفرق لا تقول بمقالة النصارى ، بل خلاصة مقالتهم ، بل ضلالتهم ، أنّ الإمام هو الله سبحانه ظهوراً واتّحاداً أو نحو ذلك ممّا يقول به كثير من متصوّفة الإسلام ومشاهير مشائخ الطرق .

وقد ينقل عن الحلّاج والكيلاني والرفاعي والبدوي وأمثالهم من الكلمات ، وإن شئت سمّها كما يقولون ـ شطحات ـ ما يدلّ بظاهره على أنّ لهم منزلة فوق الربوبيّة ، وأنّ لهم مقاماً زائداً على الأُلوهيّة[١] ـ لو كان ثمّة موضع لمزيد ـ وقريب من ذلك ما يقول به أرباب وحدة الوجود أو الموجود .

أمّا الشيعة الإماميّة ، وأعني بهم جمهرة العراق وإيران والخليج والجزيرة العربيّة وملايين المسلمين في الهند ، ومئات الأُلوف في سوريا والأفغان ، فإنّ جميع تلك المقالات يعدّونها من أبشع الكفر والضلالات ، وليس دينهم إلّا التوحيد المحض ، وتنزيه الخالق عن كلّ مشابهة للمخلوق ، أو ملابسة لهم في صفة من صفات النقص والإمكان ، والتغيير والحدوث ، وما ينافي وجوب الوجود والقِدم والأزليّة ، إلى غير ذلك من التنزيه والتقديس المشحونة به مؤلّفاتهم .

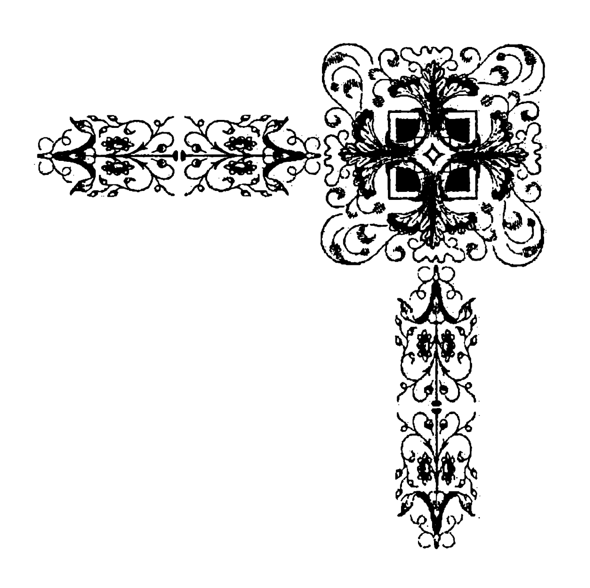
---

(١) من طريف ما قاله بعض الغلاة في الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام : إنّ أقلّ كلمة تقال فيه إنّه الله الواحد الأحد .

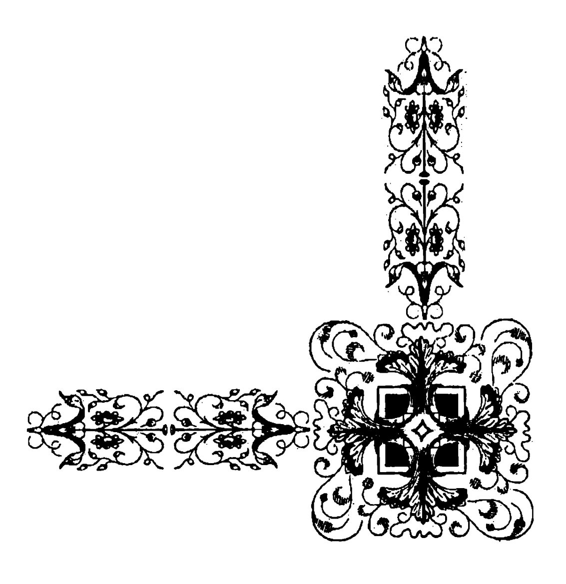
في الحكمة والكلام من مختصرة أو مطوّلة »[١].

لقد تبرّأت الشيعة من الغلوّ، وحكمت بضلال الغلاة وكفرهم، وإنّ نسبة الغلوّ إليهم إنّما هو قول بالباطل وافتراء محض على هذه الطائفة التي تؤمن بالله وحده لا شريك له، وأنّ الأنبياء والأوصياء وغيرهم عبيد الله تعالى وخلق من مخلوقاته.

(١) أصل الشيعة وأُصولها: ١٧٣ ـ ١٧٧.



الفتنة الكبرى



لا يستطيع أي كاتب مهما كان بارعاً في تصوير دقائق النفوس وأحداث التاريخ أن يصوّر بدقّة البراكين والأوبئة التي دهمت الأُمّة الإسلاميّة بعد وفاة نبيّها العظيم، كما صوّرها القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾(١).

لقد كان تصويراً هائلاً للأزمات المفجعة والنكبات السود التي تمنى بها الأمّة بعد وفاة منقذها.. إنّه انقلاب على الأعقاب، وتحطيم لكيان الأمّة، وانسلاخ عن العقيدة، وتدمير لشريعة الله، وأي زلزال أفجع من هذا الزلزال.

لقد انتقل الرسول ﷺ إلى حظيرة القدس، وهو في بيته مسجّى لم يغيّبه عن عيون القوم مثواه، وقد حدثت في صفوفهم انقسامات خطيرة كانت مصدر الفتنة الكبرى التي مُني بها المسلمون وامتحنوا بهما امتحاناً عسيراً على امتداد التاريخ، ونعرض ـ بإيجاز وأسى ـ لأهمّ الأحداث التي رافقت وفاة الرسول ﷺ، وهي:

---

(١) آل عمران ٣: ١٤٤.

مؤتمر السقيفة

لا أرى حادثة أخطر على الإسلام ، ولا أشدّ ضرراً منها على المسلمين ، مثل مؤتمر السقيفة الذي عقده الأنصار للاستيلاء على الحكم والاستبداد بشؤون الدولة ، فقد كان الحجر الأساس لتدهور الأمّة ، ومعاناتها للأهوال والكوارث .

يقول بولس سلامة :

وَتَوالَتْ تَحتَ السَّقيفَةَ أَحداثٌ أَثارَتْ كَوامِناً وَمُيولا
نَزَعاتٌ تَفَرَّقَتْ كَغُصونِ العَوسَجِ الغَضِّ شائِكاً مَدحولا

لقد عقد الأنصار مؤتمرهم بسرعة خاطفة لأنّهم رأوا التحرّك السياسي من أعلام المهاجرين الذين يمثّلون القوى القرشيّة الحاقدة على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والمعادية له ، لأنّ الإمام عليه السلام قد وتر القرشيّين ، وحصد رؤوس أعلامهم .

يقول الكناني معرّضاً لقريش على الوقيعة بالإمام عليه السلام والطلب بثأر قتلاها منه :

في كُلِّ مَجمَعِ غايَةٍ[1] أَخزاكُمُ جَذَعٌ أَبرُّ عَلَى المَذاكي القُرَّحِ[2]
لِلهِ دَرُّكُمُ أَلَمّا تُنكِرُوا قَدْ يَنكُرُ الحُرُّ الكَريمُ وَيَسْتَحي
هذا ابْنُ فاطِمَةَ[3] الَّذي أَفْناكُمُ ذَبحاً وَقِتلَة قَصعة[4] لَمْ يُذبَحِ

(١) أي محلّ اجتماع لغاية من الغايات أو مجمع غاية السباق .

(٢) **جذع** ـ بالتحريك ـ : الشابّ الحدث . **أَبَرَّ** : يقال : **أبرّ عليهم** : إذا غلبهم . **المذاكي** ـ من الخيل ـ : التي مضى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان .

(٣) يعني فاطمة أُمّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

(٤) **القصع** : الدفع والكسر . والقصعة : المرّة منه .

أَعْطوهُ خَرْجاً وَاتَّقوا تَضْريبَهُ فِعلَ الذَّليلِ وَبَيعَةً لمْ تَربَح
أيـنَ الكُهولُ وَأَيـنَ كُلُّ دِعامَةٍ في المُعضِلاتِ وَأينَ زَينُ الأَبْطُحِ (١)

يحكي هذا الشعر مدى الأحقاد والضغائن التي تكنّها الأُسر القرشيّة للإمام أمير المؤمنين الذي وترها بأبنائها في سبيل الدعوة الإسلاميّة، فقد وقفت بجميع ما تملك لإطفاء نور الإسلام، وإعادة الحياة الجاهليّة إلى طبيعتها.

وعلى أي حال، فإنّ الأنصار الذين كانوا العمود الفقري للقوّات الإسلاميّة المسلّحة قد استبان لهم أنّ الخلافة إذا استولى عليها القرشيّون فإنّهم سيمعنون في إذلالهم والتنكيل بهم طلباً بثأرهم، كما أعلن ذلك الحباب بن المنذر في خطابه الذي ألقاه في السقيفة قائلاً: «لكنّا نخاف أن يليها بعدكم مَن قتلنا أبناءهم وآباءهم وإخوانهم».

وتحقّق ما خافه المنذر، فإنّه حينما استولى القرشيّون على زمام الحكم أمعنوا في ظلم الأنصار وقهرهم، وإشاعة الفقر والحرمان فيهم، وقد بالغ معاوية بن هند في الانتقام منهم، كما جهد يزيد بن معاوية على الوقيعة بهم، فأباح أموالهم ودماءهم وأعراضهم لجيوشه بقيادة الارهابي المجرم مسلم بن عقبة الذي سمّاه المؤرّخون مسرف، وذلك في واقعة الحرّة التي لم يشاهد التاريخ لها مثيلاً في قسوتها وفضاعتها.

إستيلاء القرشيّين على السقيفة

وبينما كان الأنصار في سقيفتهم يتداولون الرأي فيما بينهم في شؤون الخلافة وتقليدها لزعيم الأنصار سعد بن عبادة ـ الذي كاد أن يتمّ له الأمر ـ خرج من المؤتمر

---

(١) إرشاد المفيد: ١: ٧٧. أُسد الغابة: ٤: ٢٠. رسائل المرتضى: ٤: ١٢٠. مناقب آل أبي طالب: ٢: ٣١٣.

جماعة من أولياء أبي بكر، كان منهم عويم بن ساعدة الأوسي، ومعن بن عدي حليف الأنصار، وغيرهما، فخفّوا مسرعين وأحاطوا أبا بكر وعمر علماً بذلك، فخفّا مسرعين صوب السقيفة، وقد صحبهما أبو عبيدة بن الجرّاح وسالم مولى أبي حذيفة وجماعة آخرون، فكبسوا الأنصار في ندوتهم، فأُسقط ما بأيديهم، وغاض لون سعد، وتخوّف من خروج الأمر عنهم، وقد انهارت جميع مخطّطات الأنصار وفشلت جميع مساعيهم.

خطاب أبي بكر

وبعد أن ولج المهاجرون مؤتمر الأنصار أراد عمر أن يفتح الحديث، فنهره أبو بكر، وذلك لعلمه بشدّته وغلظته، وهي لا تتّفق مع مثل هذا الموقف الملبّد بالأخطار السياسيّة، والذي تجب فيه البراعة واستعمال اللين لكسب الموقف، والسيطرة على الأحداث.

فانبرى أبو بكر فقابل الأنصار ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً: «نحن المهاجرون أوّل النّاس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً، وأوسطهم داراً، وأحسنهم وجوهاً، وأمسّهم برسول الله ﷺ رحماً، وأنتم اخواننا في الإسلام، وشركاؤنا في الدين، نصرتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الأُمراء وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلّا لهذا الحيّ من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما فضّلهم الله تعالى به، فقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ـ يعني عمر بن الخطّاب وأباعبيدة بن الجرّاح ـ»[١]

وتجاهل هذا الخطاب وفاة الرسول ﷺ التي هي أعظم كارثة مني بها المسلمون، وكان الأجدر أن يعزّي أبو بكر المسلمين بوفاة منقذهم الذي برّ بدينهم ودنياهم، ويدعوهم إلى القيام بتشييع جثمانه الطاهر حتّى يواروه في مثواه الأخير، ويعودوا

---

(١) العقد الفريد: ٣: ٦٢.

بعد ذلك إلى عقد مؤتمر عامّ يضمّ جميع طبقات المسلمين لينتخبوا عن إرادتهم وحرّيّتهم مَن يرضونه خليفة على فرض أنّ النبيّ لم يعهد لأحد بالخلافة من بعده.

وتجاهل هذا الخطاب أيضاً العترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن الكريم، فلم يعرض لها بقليل ولا بكثير وتجاهلها، وكان الأجدر بأبي بكر أن يأخذ رأيها لتحمل الخلافة طابعا شرعيّاً.

يقول الإمام شرف الدين نضّر الله مثواه:

«لو فرض أن لا نصّ بالخلافة على أحد من آل محمّد ﷺ، وفرض كونهم غير مبرزين في حسب أو نسب أو أخلاق أو جهاد أو علم أو عمل أو إيمان أو إخلاص، ولم يكن لهم السبق في مضاميركلّ فضل، بل كانوا كسائر الصحابة، فهل هناك مانع شرعي أو عقلي أو عرفي يمنع من تأجيل عقد البيعة إلى فراغهم من تجهيز رسول الله ﷺ، ولو بأن يوكل حفظ الأمن إلى القيادة العسكرية مؤقّتاً حتى يستتبّ أمر الخلافة.

أليس هذا المقدار من التريّث كان أرفق بأُولئك المفجوعين وهم وديعة النبيّ لديهم، وبقيّته فيهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[1]؟ أليس من حقّ هذا الرسول الذي يعزّ عليه عنت الأُمّة، ويحرص على سعادتها، وهو الرؤوف بها، الرحيم لها، أن لا تعنت عترته فلا تفاجأ بمثل ما فوجئت به، والجرح لمّا يندمل، والرسول لما يقبر»[2].

---

(١) التوبة ٩: ١٢٨.

(٢) النصّ والاجتهاد: ٧.

ولم يعرض هذا الخطاب إلى ما تحتاجه الأُمّة في مجالاتها الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة ، وإنّما عني بطلب الإمرة والسلطان ، وقد طلب من الأنصار التنازل له عن الحكم ، ومنّاهم بالوزارة ، إلّا أنّه إن تمّ له الأمر لم يمنحهم أي منصب من شؤون الدولة .

فوز أبي بكر بالحكم

وربح أبو بكر الموقف بلباقته وقابليّاته الدبلوماسيّة ، فقد أثنى على الأنصار ومجّد جهادهم ، وأخمد نار الثورة في نفوسهم ، وجرت مشادّة كلاميّة بين عمر وبين بعض الأنصار ، إلّا أنّ أبا بكر استطاع أن يسيطر على الموقف ، وبادر أعضاء حزبه بسرعة خاطفة إلى بيعته خوفاً من تبلور الموقف وتطوّر الأحداث ، وكان من أشدّ حزبه اندفاعاً وحماساً لبيعته عمر بن الخطّاب ، فجعل يصول ويجول ، ويجبر الناس على البيعة ، وقد لعبت درّته شوطاً في الميدان ، وسمع الأنصار يقولون : قتلتم سعداً .

فاندفع بعنف يقول : اقتلوه قتله الله ، فإنّه صاحب فتنة[١] .

ولمّا تمّت البيعة لأبي بكر أحاط به حزبه ، وزفّوه إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله كما تزفّ العروس[٢] .

امتناع الإمام عليه السلام عن البيعة

ونقم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على بيعة أبي بكر ، واعتبرها اعتداءً صارخاً عليه ، فهو على يقين لا يخامره شكّ إنّ محلّه من الخلافة « **مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحى. يَنْحَدِرُ**

---

(١) العقد الفريد : ٣ : ٦٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٢ : ٨ .

عَنِّي السَّيْلُ ، وَلا يَرْقَىٰ إِلَيَّ الطَّيْرُ » ـ على حدّ تعبيره ـ وما كان يظنّ أنّ القوم يزعجون عنه هذا الأمر ، ويخرجونه عنه ، كما صرّح بذلك في حديثه مع عمّه العبّاس ، فقد أسرع إليه قائلاً : يابن أخي ، امدد يدك أُبايعك فيقول الناس عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله ﷺ فلا يختلف عليك اثنان .

فأجاب الإمام : **مَنْ يَطْلُبُ هٰذَا الْأَمْرَ غَيْرُنا ؟**[١]

وعلّق الدكتور طه حسين على هذا الحديث بقوله :

« نظر العباس في الأمر فرأى ابن أخيه أحقّ منه بوراثة السلطان ؛ لأنه ربيب النبيّ ، وصاحب السابقة في الإسلام ، وصاحب البلاء الحسن الممتاز في المشاهد كلّها ؛ ولأنّ النبيّ ﷺ كان يدعوه أخاه حتى قالت له أُمّ أيمن ذات يوم مداعبة : تدعوه أخاك وتزوّجه ابنتك ؟ ولأنّ النبي قال له : « **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ إِلَّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي** » .

وقال للمسلمين يوماً آخر : « **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ** » ، من أجل ذلك أقبل العبّاس بعد وفاة النبيّ على ابن أخيه وقال له : ابسط يدك أُبايعك ... »[٢] .

لقد تخلّف الإمام عليه السلام عن بيعة أبي بكر ساخطاً ، وأعلن شجاه وأساه على ضياع حقّه ، وقد أعلن ذلك في كثير من خطبه وكلماته التي سنذكر بعضها .

احتجاجات صارمة

واحتجّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر لتقمّصه للخلافة ، كما احتجّت بضعة الرسول وسيّدة نساء العالمين على أبي بكر ، وكذلك احتجّ عليه أعلام

---

(١) الإمامة والسياسة : ١ : ٤ .

(٢) عليّ وبنوه : ١٩ .

الإسلام ، وفيما يلي بعض بنود تلك الاحتجاجات :

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

واحتجّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر حينما جيء به قسراً لمبايعته ، فقد خاطبه مع بقيّة حزبه قائلاً :

« أَنا أَحَقُّ بِهـٰذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، لَا أُبايِعُكُمْ وَأَنْتُمْ أَوْلىٰ بِالْبَيْعَةِ لِي ، أَخَذْتُمْ هـٰذَا الْأَمْرَ مِنَ الْأَنْصارِ ، وَاحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِالْقَرابَةِ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله ، وَتَأْخُذونَهُ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ غَصْباً ، أَلَسْتُمْ زَعَمْتُمْ لِلْأَنْصارِ أَنَّكُمْ أَوْلىٰ بِهذا الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَمّا كانَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله مِنْكُمْ فَأَعْطَوْكُمُ الْمَقادَةَ وَسَلَّمُوْا إِلَيْكُمُ الْإِمارَةَ ؟ وأَنا أَحْتَجُّ عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ ما احْتَجَجْتُمْ بِهِ عَلَىٰ الْأَنْصارِ ، نَحْنُ أَوْلىٰ بِرَسُولِ اللهِ حَيّاً وَمَيِّتاً فَأَنْصِفُونا إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ وَإِلَّا فَبُوءوا بِالظُّلْمِ وَأَنْتُم تَعْلَمُونَ ».

وبعد محاجّات صارمة بينه وبين عمر وأبي بكر وابن الجرّاح ، وجّه الإمام خطابه إلى المهاجرين فقال لهم :

« اللهَ اللهَ يا مَعْشَرَ الْمُهاجِرِينَ ! لَا تُخرِجُوا سُلْطانَ مُحَمَّدٍ فِي الْعَرَبِ عَنْ دارِهِ ، وَقَعْرِ بَيْتِهِ إِلىٰ دُورِكُمْ وَقُعُورِ بُيُوتِكُمْ ، وَلَا تَدْفَعُوا أَهْلَهُ عَنْ مَقامِهِ فِي النّاسِ وَحَقِّهِ . .

فَوَاللهِ يا مَعْشَرَ الْمُهاجِرِينَ ! لَنَحْنُ أَحَقُّ النّاسِ بِهِ ، لأَنّا أَهْلُ الْبَيْتِ ، وَنَحْنُ أَحَقُّ بِهـٰذا الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، ما كانَ فِينا إِلَّا الْقارِئُ لِكِتابِ اللهِ ، الْفَقِيهُ فِي دِينِ اللهِ ، الْعالِمُ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، الْمُضْطَلِعُ بِأَمْرِ الرَّعِيَّةِ ، الدّافِعُ عَنْهُم الْأُمُورَ السَّيِّئَةَ ، الْقاسِمُ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ ، وَاللهِ إِنَّهُ لَفِينا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوىٰ فَتَضِلُّوا عَنْ

سَبيلِ اللهِ فَتَزْدادُوا مِنَ الْحَقِّ بُعْداً »[١].

وحكى الإمام عليه‌السلام في رسالة له إلى معاوية صورة من احتجاجه على القوم ، قال :

« فَلَمّا تُوُفِّيَ تَنازَعَتْ سُلْطانَهُ الْعَرَبُ ، قالَتْ قُرَيْشٌ : نَحْنُ قَبيلَتُهُ وَأُسْرَتُهُ وَأَوْلِياؤُهُ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تُنازِعونا سُلْطانَ مُحَمَّدٍ وَحَقَّهُ ، فَرَأَتِ الْعَرَبُ أَنَّ الْقَوْلَ ما قالَتْ قُرَيْشٌ ، وَأَنَّ الْحُجَّةَ في ذٰلِكَ لَهُمْ عَلىٰ مَنْ نازَعَهُمْ في أَمْرِ مُحَمَّدٍ ، فَأَنْعَمَتْ لَهُمْ ، وَسَلَّمَتْ إِلَيْهِمْ.

ثُمَّ حاجَجْنا نَحْنُ قُرَيْشاً بِمِثْلِ ما حاجَجَتْ بِهِ الْعَرَبَ ، فَلَمْ تُنْصِفْنا قُرَيْشٌ إِنْصافَ الْعَرَبِ لَها ، إِنَّهُمْ أَخَذوا هٰذا الْأَمْرَ دونَ الْعَرَبِ بِالْإِنْصافِ وَالاحْتِجاجِ ، فَلَمّا صِرْنا أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَأَوْلِياؤُهُ إِلىٰ مُحاجَجَتِهِمْ وَطَلَبِ النَّصَفِ مِنْهُمْ ، باعَدُونا وَاسْتَوْلَوا بِالْإِجْتِماعِ عَلىٰ ظُلْمِنا وَمُراغَمَتِنا وَالْعَنَتِ مِنْهُمْ لَنا ، فَالْمَوْعِدُ اللهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ النَّصِيرُ »[٢].

وكثير من أمثال هذه‌الصور المشرقة من احتجاجاته عليه‌السلام قد ذكرت في نهج البلاغة ، الأمر الذي يعرب عن سخطه البالغ على القوم لتوثّبهم على حقّه ، وسلبهم لتراثه .

فاطمة الزهراء عليها‌السلام

أمّا سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها‌السلام التي يرضى الله لرضاها ، ويغضب لغضبها ،كما جاء في أحاديث أبيها الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، فقد نقمت أشدّ ما يكون الانتقام على أبي بكر لاستيلائه على الخلافة ، وقد احتجّت عليه في خطابها التاريخي

---

(١) الإمامة والسياسة : ١ : ١١ و ١٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١ : ١٢.

الذي وضعت فيه النقاط على الحروف ، ودعت جماهير المسلمين إلى الإطاحة بحكومة أبي بكر ، وانتزاع الخلافة منه .

وقد وجلت القلوب من روعة خطابها ، وخشعت الأبصار ، وبخعت النفوس ، وأوشك الحقّ أن يرجع إلى نصابه ومعدنه ، إلّا أنّ أبا بكر استطاع بقابليّاته الدبلوماسيّة أن يسيطر على الموقف ، فقد قابل سيّدة النساء بكلّ تكريم وحفاوة ، وأظهر أمام الجماهير أنّه يكنّ لها خالص الاحترام والتقدير ، وأنّه لم يتقلّد الخلافة عن رأيه الخاصّ ، وإنّما كان عن رأي المسلمين ، وقد أخمد بذلك نار الثورة وقضى على جميع معالمها .

وقد حاول أبو بكر وصاحبه ابن الخطّاب أن يسترضيا سيّدة النساء ويضفيا على خلافتهم الشرعيّة ، فاستأذنا عليها ، فأبت أن تأذن لهما ، واستأذنا ثانياً ، فامتنعت من إجابتهما . فاتّجها نحو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وطلبا منه الإذن لمقابلة وديعة النبيّ صلى الله عليه وآله ، فاستأذنها ، فأجابته إلى ذلك ، فدخلا عليها فأشاحت بوجهها الشريف عنهما ، فطلبا منها الرضا والعفو .

فقالت لهما : **نَشَدْتُكُما اللهَ أَلَمْ تَسْمَعا رَسُولَ اللهِ يَقُولُ : رِضا فاطِمَةَ مِنْ رِضايَ ، وَسَخَطُ فاطِمَةَ مِنْ سَخَطِي ، فَمَنْ أَحَبَّ فاطِمَةَ ابْنَتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَرْضىٰ فاطِمَةَ فَقَدْ أَرْضانِي ، وَمَنْ أَسْخَطَ فاطِمَةَ فَقَدْ أَسْخَطَنِي ؟**

فأجابا بالتصديق قائلَين : أجل سمعناه يقول ذلك .

فرفعت كفّها إلى السماء وراحت تقول بحرارة : **فَإِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ أَنَّكُما أَسْخَطْتُمانِي وَما أَرْضَيْتُمانِي ، وَلَئِنْ لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ لَأَشْكُوَنَّكُما إِلَيْهِ .**

والتفتت إلى أبي بكر فخاطبته : **وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ عَلَيْكَ فِي كُلِّ صَلاةٍ أُصَلِّيها**(١) .

---

(١) الإمامة والسياسة : ١ : ١٤ . أعلام النساء : ٣ : ١٢١٤ . الإمام عليّ بن أبي طالب لعبدالفتّاح عبدالمقصود : ١ : ٢١٨ .

فما كان أشدّها من كلمات وكان وقعها كضربات السيوف فقد مادت الأرض تحتهما، ودارت كالرحى حتّى سارا من هول ما لقيا يترنّحان، وغادرا الدار، وقد خبا أملهما في رضى زهراء الرسول، وعلما مدى الغضب الذي أثاره في قلبها، ومدى السخط الذي باءا به.

لقد نقمت أشدّ ما تكون النقمة على مَن احتلّ مركز أبيها، فقد عادها في مرضها السيّدات من نساء الأنصار فقلن لها: كيف أصبحت من علّتك يا بنت رسول الله ؟

فأجابتهنّ بأسى وحزن: **أَصْبَحْتُ وَاللهِ عائِفَةً لِدُنْياكُنَّ، قالِيَةً لِرِجالِكُنَّ، لَفَظْتُهُمْ[1] بَعْدَ أَنْ عَجَمْتُهُمْ[2]، وَسَئِمْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُمْ[3]، فَقُبْحاً لِفُلُولِ الْحَدِّ وَاللَّعِبِ بَعْدَ الْجِدِّ، وَقَرْعِ الصَّفاةِ، وَصَدْعِ الْقَناةِ، وَخَتَلِ الْآراءِ[4]، وَزَلَلِ الْأَهْواءِ، وَبِئْسَ ﴿ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ﴾[5]، لَا جَرَمَ لَقَدْ قَلَّدْتُهُمْ رِبْقَتَها، وَحَمَّلْتُهُمْ أَوْقَتَها[6]، وَشَنَنْتُ عَلَيْهِمْ غارَتَها، فَجَدْعاً وَعَقْراً وَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ.**

وَيْحَهُمْ أَنّىٰ زَحْزَحُوها - أي الخلافة - **عَنْ رَواسِي الرِّسالَةِ، وَقَواعِدِ النُّبُوَّةِ وَالدِّلالَةِ، وَمَهْبِطِ الرُّوحِ الْأَمِينِ، وَالطَّبِنِ[7] بِأُمُورِ الدُّنْيا وَالدِّينِ، أَلَا ذٰلِكَ هُوَ**

---

(١) **لفظتهم**: رميت بهم وطرحتهم.

(٢) أي بعد أن اختبرتهم وامتحنتهم.

(٣) جرّبتهم واختبرتهم واحداً واحداً.

(٤) **ختل الآراء**: زيفها وخداعها.

(٥) المائدة ٥: ٨٠.

(٦) **أوقتها**: ثقلها.

(٧) **الطبن**: الخبير.

الْخُسْرانُ الْمُبينُ، وَما الَّذي نَقِمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ، نَقِمُوا وَاللهِ مِنْهُ نَكيرَ سَيْفِهِ، وَقِلَّةَ مُبالاَتِهِ لِحَتْفِهِ، وَشِدَّةَ وَطْأَتِهِ، وَنَكالَ وَقْعَتِهِ، وَتَنَمُّرَهُ[١] فِي ذاتِ اللهِ.

وَتاللهِ لَوْ مالُوا عَنِ الْمَحَجَّةِ اللاّئِحَةِ، وَزالُوا عَنْ قَبُولِ الْحُجَّةِ الْواضِحَةِ لَرَدَّهُمْ إِلَيْها، وَحَمَلَهُمْ عَلَيْها، وَلَسارَ بِهِمْ سَيْراً سُجُحاً[٢]، لا يُكْلَمُ[٣] خِشاشُهُ، وَلا يَكِلُّ سائِرُهُ، وَلا يَمَلُّ راكِبُهُ، وَلأَوْرَدَهُمْ مَنْهَلاً نَميراً صافِياً رَوِيّاً، تَطْفَحُ ضِفَّتاهُ[٤]، وَلا يَتَرَنَّقُ جانِباهُ، وَلأَصْدَرَهُمْ بِطاناً، وَنَصَحَ لَهُمْ سِرّاً وَإِعْلاناً.

وَلَمْ يَكُنْ يَتَحَلّى مِنَ الدُّنْيا بِطائِلٍ، وَلا يَحْظَى مِنْها بِنائِلٍ، غَيْرَ رَيِّ النّاهِلِ، وَشَبْعَةِ الْكافِلِ، وَلَبانَ لَهُمُ الزّاهِدُ مِنَ الرّاغِبِ، وَالصّادِقُ مِنَ الْكاذِبِ. ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ وَلٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٥]، ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هٰؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَما هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[٦].

أَلا هَلُمَّ فَاسْتَمِعْ، وَما عِشْتَ أَراكَ الدَّهْرُ عَجَباً، وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ، لَيْتَ شِعْرِي إِلىٰ أَيِّ سِنادٍ اسْتَنَدُوا، وَإِلىٰ أَيِّ عِمادٍ اِعْتَمَدُوا، وَبِأَيِّ عُرْوَةٍ

---

(١) تنمّر: عبس وغضب.

(٢) سجحاً: سهلاً.

(٣) كلمه: جرحه.

(٤) تطفح ضفتاه: أي يملأ ويفيض جانباه.

(٥) الأعراف ٧: ٩٦.

(٦) الزمر ٣٩: ٥١.

تَمَسَّكُوا، وَعَلىٰ أَيَّةِ ذُرِّيَّةٍ أَقْدَمُوا وَاحْتَنَكُوا[١]؟ ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾، ﴿وَبِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾.

اسْتَبْدَلُوا واللهِ الذُّنابىٰ[٢] بِالْقَوادِمِ[٣]، وَالْعَجُزَ[٤] بِالْكاهِلِ[٥]، فَرَغْماً لِمَعاطِسِ[٦] قَوْمٍ ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، وَيْحَهُمْ ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدىٰ فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

أَما لَعَمْرِي لَقَدْ لَقِحَتْ، فَنَظِرَةً رَيْثَما تُنْتِجُ، ثُمَّ احْتَلِبُوا مِلْءَ الْقَعْبِ[٧] دَماً عَبِيطاً[٨]، وَذُعافاً[٩] مُبِيداً، هُنالِكَ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ، وَيَعْرِفُ التّالُونَ غِبَّ[١٠] ما أَسَّسَ الْأَوَّلُونَ، ثُمَّ طِيبُوا عَنْ دُنْياكُمْ أَنْفُساً، وَاطْمَئِنُّوا لِلْفِتْنَةِ جَأْشاً، وَأَبْشِرُوا بِسَيْفٍ صارِمٍ، وَسَطْوَةِ مُعْتَدٍ غاشِمٍ، وَبِهَرَجٍ شامِلٍ، وَاسْتِبْدادٍ مِنَ الظّالِمِينَ، يَدَعُ فَيْئَكُمْ زَهِيداً، وَجَمْعَكُمْ حَصِيداً، فَيا حَسْرَةً لَكُمْ، وَأَنّى بِكُمْ وَقَدْ عُمِّيَتْ

---

(١) احتنكه: استولى عليه.

(٢) الذنابى: مؤخّر الشيء.

(٣) القوادم: مقادم الريش.

(٤) العجز: مؤخّر الشيء.

(٥) الكاهل: مقدّم أعلى الظهر ممّا يلي العنق.

(٦) لمعطس: لأنف.

(٧) القعب: القدح.

(٨) الدم العبيط: الخالص الطري.

(٩) الذعاف: السمّ الذي يقتل من ساعته.

(١٠) الغب: العاقبة.

عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوها وَأَنْتُمْ لَها كارِهُونَ.

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ،

وَالصَّلاةُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ(١)

لا أرى احتجاجاً صارماً كهذا الاحتجاج الذي شجبت فيه بضعة الرسول بيعة أبي بكر، وحجب الخلافة عن أهل البيت عليهم السلام الذين هم مصدر الوعي والإلهام في دنيا العرب والإسلام.

وقد ذكرت الأسباب الوثيقة التي من أجلها زهد القوم في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهي نكير سيفه الذي حصد فيه رؤوس المشركين من القبائل القرشيّة الوضيعة التي وقفت ضدّ رسالة الإسلام.

كما أنّ من الأسباب التي أدّت إلى ضغينة القرشيّين وحقدهم على الإمام هي شدّة وطأته على الكافرين والمنافقين، فقد كان حتفهم، لم يصانع أي أحد منهم، وهو القائل: « **وَلَأَقُودَنَّ الظّالِمَ بِخِزامَتِهِ، حَتّىٰ أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كانَ كارِهاً** »(٢).

لقد تنمّر الإمام عليه السلام في ذات الله، ورصد جميع طاقاته لإحياء دين الله فقذف نفسه في غمرات الحروب، وخاض الأهوال، حتّى استقام أمر الإسلام، وقام على سوقه عبل الذراع.

وقد ذكرت زهراء الرسول في احتجاجها أُموراً بالغة الأهمّيّة، عرضنا لتحليلها في كتابنا (حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام).

وعلى أي حال، فإنّ بضعة الرسول قد شجبت حكومة أبي بكر، وظلّت غاضبة عليه، ولمّا وافاها الأجل المحتوم عهدت إلى ابن عمّها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) أعلام النساء: ٤: ١٢٨ و ١٢٩.

(٢) نهج البلاغة: ٢: ١٩.

أن يواري جثمانها الطاهر في غلس الليل البهيم ، وأن لا يحضر تشييع جنازتها أبو بكر وحزبه ، كما أوصته أن يعفّي موضع قبرها ليكون دليلاً وشاهداً على سخطها ونقمتها على القوم ، وقد نفّذ ذلك الإمام عليه السلام[1] .

الإمام الحسن عليه السلام

واحتجّ الإمام الحسن عليه السلام على أبي بكر لتقمّصه حقّ أبيه ، وكان الحسن في ميعة الصبا ، فقد جاء إلى مسجد أبيه وأبو بكر على المنبر فصاح به : « **انْزِلْ عَنْ مِنْبَرِ أَبِي وَاذْهَبْ إِلىٰ مِنْبَرِ أَبِيكَ...** » .

وبهت أبو بكر ، وتطلّعت أبصار الناس إلى ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأخذتهم الحيرة والدهشة ، واستردّ أبو بكر خاطره ، فتدارك الموقف ، وخاطبه بناعم القول : « صدقت والله إنّه منبر أبيك لا منبر أبي »[2] .

كان الإمام الحسن عليه السلام يرى المنبر المعظم يرقاه جدّه الرسول صلى الله عليه وآله وهو يدعو الناس إلى دين الله ، ويهديهم إلى سواء السبيل ، وهو لا يجد أحداً خليقاً بأن يرقاه سوى أبيه رائد الحكمة والعدالة في دنيا الإسلام .

---

(١) ذكر ذلك شرّاح البخاري : ٨ : ١٥٧ ، وفي المستدرك على الصحيحين : ٣ : ١٦٢ ، عن عائشة قالت : « دفنت فاطمة بنت رسول الله ليلاً ودفنها عليّ ، ولم يشعر أبو بكر حتّى دفنت » .

وجاء ذلك أيضاً في مسند أحمد بن حنبل : ١ : ٦ . صحيح مسلم : ٢ : ٧٢ . تاريخ الطبري : ٣ : ٢٠٢ . سنن الكبرى للبيهقي : ٦ : ٣٠٠ .

وفي البداية والنهاية : ٥ : ٣٨٥ : « لم تزل فاطمة تبغض أبا بكر مدّة حياتها » .

وفي السيرة الحلبيّة : ٣ : ٣٩٠ : « إنّ عليّاً دفنها وصلّى عليها ولم يعلم أحداً » .

(٢) الرياض النضرة : ١ : ٩٣ . شرح نهج البلاغة : ٢ : ١٧ . مقتل الحسين للخوارزمي : ١ : ٩٣ . المناقب : ٢ : ١٧٢ ، وفي الصواعق المحرقة : ١٠٥ ، وإسعاف الراغبين : أنّ الإمام الحسن عليه السلام قال ذلك لأبي بكر ووقع للحسين عليه السلام مثل ذلك مع عمر .

احتجاج أعلام الصحابة

واحتجّ أعلام الصحابة وقادة الإسلام على أبي بكر لاحتلاله مركز الخلافة، وإقصاء الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام عنها، وفيما يلي بعضهم:

١ ـ سلمان الفارسي

أمّا سلمان الفارسي فهو ابن الإسلام البارّ الذي عنى به رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فألحقه بأهل بيته، فقال: «**سَلْمانُ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ**»(١).

وعن الإمام الباقر عليه‌السلام: «**لَا تَقُولوا سَلْمانَ الْفارِسِيَّ، وَلٰكِنْ قُولوا سَلْمانَ الْمُحَمَّدِيَّ ذلِكَ رَجُلٌ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ**»(٢).

وحرّم عليه الصدقة كما حرّمها على أهل بيته، فقال: «**الصَّدَقَةُ حرامٌ عَلىٰ سَلْمان**».

وقد احتجّ هذا الصحابي العظيم على أبي بكر وقال له: «يا أبا بكر، إلى من تسند أمرك إذا نزل بك ما لا تعرفه؟ وإلى مَن تفزع إذا سئلت عمّا لا تعلمه، وما عذرك في تقدّم مَن هو أعلم منك ـ يعني الإمام أمير المؤمنين ـ وأقرب إلى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله، وأعلم بتأويل كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه، ومَن قدّمه النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله في حياته، وأوصاكم به عند وفاته، فنبذتم قوله، وتناسيتم وصيّته، وأخلفتم الوعد، ونقضتم العهد، وحللتم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية أُسامة بن زيد»(٣).

وحفل احتجاج سلمان بالحقّ بجميع رحابه، فقد عا أبي بكر إلى الاستقالة

---

(١) سبل السلام لمحمّد بن إسماعيل الكحلاني: ١: ٧٧. المحاسن للبرقي: ١: ١٤٣. عيون أخبار الرضا عليه‌السلام: ١: ٧٠. تحف العقول: ٥٢.

(٢) روضة الواعظين: ٢٨٣. اختيار معرفة الرجال: ٥٤. معجم رجال الحديث: ٦: ٢٩٨.

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ١: ٩٩ و ١٠٠.

من منصبه ، وتسليمه إلى مَن عيّنه رسول الله ﷺ خليفة وقائداً عامّاً لأُمّته من بعده ، وهو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة علم النبيّ وأبو سبطيه ، ومَن كان منه بمنزلة هارون من موسى .

وهذا الاحتجاج ممّا يدلّل على أنّ التشيّع بمفهومه الديني والسياسي قد نشأ في أيّام الرسول ﷺ .

٢ ـ عمّار بن ياسر

أمّا عمّار بن ياسر ، فهو صاحب رسول الله ﷺ ، وهو وأبواه من المعذّبين في سبيل الإسلام ، استشهد أبوه ياسر وأُمّه سميّة على أيدي الطغمة الكافرة من قريش ، ونجا عمّار من القتل ، وكان من أبرز صحابة النبيّ إيماناً ونكراناً للذات ، وتفانياً في خدمة الحقّ .

وقد انبرى إلى محاججة القوم قائلاً : « يا معاشر قريش ، ويا معاشر المسلمين ، إن كنتم علمتم ، وإلّا فاعلموا أنّ أهل بيت نبيّكم أوْلى به ، وأحقّ بإرثه ، وأقوم بأُمور الدين ، وآمن على المؤمنين ، واحفظ لملّته ، وأنصح لأُمّته .

فمروا صاحبكم فليردّ الحقّ إلى أهله ، قبل أن يضطرب حبلكم ، ويضعف أمركم ، ويظهر شقاقكم ، وتعظم الفتنة بكم ، وتختلفون فيما بينكم ، ويطمع فيكم عدوّكم ، فقد علمتم أنّ بني هاشم أوْلى بهذا الأمر منكم ، وعليّ أقرب إلى نبيّكم منكم ، وهو من بينهم وليّكم بعهد الله ورسوله ، وفرق ظاهر قد عرفتموه ، في حال بعد حال ، عند سدّ النبيّ ﷺ أبوابكم التي كانت إلى المسجد كلّها غير بابه ، وإيثاره إيّاه بكريمته فاطمة عليها السلام دون سائر من خطبها إليه منكم ، وقوله ﷺ : « **أَنا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها ، وَمَنْ أَرادَ الْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِها مِنْ بابِها** » ، وإنّكم جميعاً مضطرّون فيما أشكل عليكم من أُمور دينكم إليه ، وهو مستغنٍ عن كلّ أحد منكم ، إلى ما له من السوابق التي ليست لأفضلكم عند نفسه ، فما بالكم تحيدون عنه ؟ وتبتزّون عليّاً حقّه ،

وتؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ، بئس للظالمين بدلاً .

أعطوه ما جعله الله له ، ولا تولّوا عنه مدبرين ، ولا ترتدّوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين »[١].

وحفل خطاب عمّار بالدعوة إلى الوئام وصالح الأُمّة ، فقد دعا أبا بكر إلى تسليم الخلافة إلى الإمام أمير المؤمنين الذي هو باب مدينة علم النبيّ ﷺ ، وزوج ابنته ، وأبو سبطيه ، والعالم بما تحتاج إليه الأُمّة في جميع مجالاتها .

٣ ـ أبو ذرّ الغفاري

أمّا أبو ذرّ الغفاري فهو صوت العدل والحقّ في الإسلام الذي تغذّى بروح الإسلام وفقه تعاليمه وأحكامه ، والثائر الأوّل في وجه السياسة الأمويّة ، وقد نقم هذا الصحابي على القوم لإقصائهم لأهل البيت عليهم السلام عن مركز الحكم ، فقال مخاطباً قريشاً : « يا معشر قريش ، أصبتم قباحة ، وتركتم قرابة رسول الله ﷺ ، والله ليرتدنّ جماعة من العرب ، ولتشكنّ في هذا الدين ، ولو جعلتم الأمر في أهل بيت نبيّكم ما اختلف عليكم سيفان ، والله لقد صارت لمن غلب ، ولتطمحنّ إليها ـ أي إلى الخلافة ـ عين مَن ليس من أهلها ، وليسفكنّ في طلبها دماء كثيرة » .

وأضاف يقول :

« لقد علمتم وعلم خياركم أنّ رسول الله ﷺ قال : « **الْأَمْرُ لِعَلِيٍّ مِنْ بَعْدِي ثُمَّ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ، ثُمَّ فِي أَهْلِ بَيْتِي مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ** » ، فطرحتم قول نبيّكم ، وتناسيتم ما أوعز إليكم ، واتّبعتم الدنيا ، وتركتم نعيم الآخرة الباقية التي لا يهدم بنيانها ولا يزول نعيمها ، ولا يحزن أهلها ، ولا يموت سكانها بالحقير التافه الفاني الزائل ، وكذلك الأُمم التي قبلكم التي كفرت بعد أنبيائها بدّلت وغيّرت ، حذو القذّة

(١) الاحتجاج للطبرسي : ١ : ١٠٢ .

بالقذّة[١]، والنعل بالنعل، فعمّا قليل تذوقون وبال أمركم، وما الله بظلّام للعبيد...»[٢].

وحكى خطاب الثائر العظيم أبي ذرّ ما ستواجهه الأُمّة وما تعانيه في مستقبل حياتها من الأزمات والكوارث من جرّاء فصل الخلافة عن أهل البيت عليهم‌السلام، فقد سفكت أنهار من الدماء للاستيلاء على الخلافة، حتّى آل أمر المسلمين إلى أشرار خلق الله من الأمويّين والعبّاسيّين الذين عاثوا في الأرض فساداً، وأنفقوا أموال المسلمين على شهواتهم وملذّاتهم، وقاوموا كلّ حركة إصلاحيّة في العالم الإسلامي، وخصوصاً ما أنزلوه بعترة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله من التنكيل الصارم والإبادة الشاملة التي لا نظير لها في قسوتها ومرارتها.

وعلى أي حال، فإنّ خطاب أبي ذرّ قد وعى الحقّ، وواكب العدل والصالح العامّ للأُمّة، وهو ممّا يؤكّد على أنّ التشيّع نشأ وترعرع في زمان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله.

٤ ـ المقداد

أمّا المقداد فكان من خلّص أصحاب الإمام، وقد أُترعت نفسه بالولاء العميق له، وكان من الناقمين على أبي بكر لتقلّده منصب الحكم، وقد قال له: « يا أبا بكر، ارجع عن ظلمك، وتب إلى ربّك، والزم بيتك، وابكِ على خطيئتك، وسلّم الأمر إلى صاحبه الذي هو أوْلى به منك، فقد علمت ما عقده رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله في عنقك من بيعته..»[٣].

وألزمك بالنفوذ تحت راية أُسامة بن زيد، وهو مولاه، ونبّه على بطلان وجوب

---

(١) القذّة ـ بالضمّ ـ: ريش السهم، يضرب مثلاً للشيئين يستويان من جميع الجهات.

(٢) الخصال: ٤٣٢. الاحتجاج: ١: ١٠٠.

(٣) أشار بذلك إلى حديث الغدير الذي بايع فيه المسلمون عليّاً بالخلافة.

هذا الأمر لك ولمن عضدك عليه ، بضمّه لكما إلى علم النفاق ومعدن الشنآن والشقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله فيه على نبيّه ﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** ﴾[(١)] » .

وأضاف بعد ذلك قائلاً : « اتّق الله ، وبادر بالاستقالة قبل فوتها ، فإنّ ذلك أسلم لك في حياتك وبعد وفاتك ، ولا تركن إلى دنياك ، ولا تغرّنك قريش وغيرها ، فعن قليل تضمحلّ عنك دنياك ، ثمّ تصير إلى ربّك فيجزيك بعملك ، وقد علمت وتيقّنت أنّ عليّ بن أبي طالب هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فسلّمه إليه بما جعله الله له ، فإنّه أتمّ لسترك ، وأخف لوزرك ، فقد واللهِ نصحت لك إن قبلت نصحي وإلى الله ترجع الأمور »[(٢)] .

ولو أنّ القوم استجابوا لهذه الدعوة الصادقة لما مُنيت الأمّة بالتفكّك والاختلاف على امتداد التاريخ .

٥ ـ بريدة الأسلمي

أمّا بريدة الأسلمي[(٣)] فهو ممّن آمن بحقّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد اندفع إلى الإنكار على أبي بكر قائلاً له : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ماذا لقي الحقّ من الباطل . يا أبا بكر ، أنسيت أم تناسيت ، وخدعت أم خدعتك نفسك ، أم سوّلت لك الأباطيل ، أوَلم تذكر ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وآله من تسمية عليّ بإمرة المؤمنين والنبيّ

---

(١) الكوثر ١٠٨ : ٣.

(٢) الاحتجاج للطبرسي : ١ : ١٠١.

(٣) **بريدة بن الحصيب الأسلمي** : أسلم قبل واقعة بدر ولم يشهدها ، إلّا أنّه شهد خيبر وفتح مكّة ، استعمله النبيّ صلى الله عليه وآله على صدقات قومه ، وسكن المدينة ، ثمّ انتقل إلى البصرة ، ثمّ إلى مرو ، وتوفّي بها.

روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، وروى عنه جماعة . قال ابن سعد : توفّي سنة ٦٣هـ. تهذيب التهذيب : ١ : ٤٣٢.

بين أظهرنا ، وقوله في عدّة أوقات : **هٰذا عَلِيٌّ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ ، وَقاتِلُ الْقاسِطِينَ** .

اتّق الله ، وتدارك نفسك قبل أن لا تدركها ، وأنقذها ممّا يهلكها ، واردد الأمر إلى مَن هو أحقّ به منك ، ولا تتماد في اغتصابه ، وارجع وأنت تستطيع أن ترجع ، فقد محضتك النصح ، ودللتك على طريق النجاة »[1] .

وحفل هذا الخطاب بما أُثر عن النبيّ ﷺ من الأحاديث في فضل الإمام أمير المؤمنين ، وأنّه أحقّ بالخلافة من غيره .

٦ ـ أُبيّ بن كعب

أُبيّ بن كعب الأنصاري[2] من أعلام الصحابة ، ومن الثقات الأتقياء ، وقد انبرى إلى الإنكار على أبي بكر ودعاه إلى تسليم الخلافة للإمام عليه السلام قائلاً له : « يا أبا بكر ، لا تجحد حقّاً جعله الله لغيرك ، ولا تكن أوّل من عصى رسول الله ﷺ في وصيّه وصفيّه ، وصدف عن أمره ، اردد الحقّ إلى أهله تسلم ، ولا تتماد في غيّك فتندم ، وبادر الإنابة يخفّ وزرك ، ولا تختصّ بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك ، فتلقى وبال عملك ، فعن قليل تفارق ما أنت فيه ، وتصير إلى ربّك فيسألك عمّا جنيت ،

---

(١) الاحتجاج : ١ : ١٠١ .

(٢) أُبي بن كعب الأنصاري النجاري ، سيّد القرّاء ، ومن أصحاب العقبة الثانية ، شهد بدراً والمشاهد كلّها مع النبيّ ﷺ ، وكان من كتّاب الوحي ، ومن كتّاب رسائل النبيّ ﷺ ، قال له النبيّ : « **يا أَبا الْمُنْذِرِ ، أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ في كِتابِ اللهِ تَعالىٰ أَعْظَمُ ؟** » .

فقال : ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، فضرب النبيّ ﷺ صدره ، وقال له : « **لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ يا أَبا الْمُنْذِرِ** » ، وكان من فقهاء الصحابة ، قال النبيّ ﷺ في حقّه : « **أَقْرَأُ أُمَّتي أُبَيٌّ** » وكان عمر يسمّيه سيّد المسلمين .

توفّي في خلافة عثمان بن عفّان سنة (٣٢هـ) على قول ، وقيل : سنة (١٩) ، وقيل : سنة (٢٢) جاء ذلك في الإصابة : ١ : ٣ ـ ٣٢ .

وما ربّك بظلّام للعبيد »[١].

وفي هذا الخطاب الدعوة إلى الإصلاح الشامل ، وجمع الكلمة ولمّ الشمل ، ولو أنّ القوم استجابوا لنداء الحقّ لما مُنيت الأُمّة بالكوارث والأزمات .

٧ ـ أبو الهيثم بن التيّهان

وأبو الهيثم بن التيّهان[٢] من خيار الصحابة ، إيماناً وعقيدة وولاءً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو من جملة من أنكر على أبي بكر فقد قال :

« أنا أشهد على نبينا صلى الله عليه وآله أنّه أقام عليّاً يوم غدير خمّ .

فقالت الأنصار : ما أقامه إلّا للخلافة ، وقال بعضهم : ما أقامه إلّا ليعلم الناس أنّه مولى مَن كان رسول الله صلى الله عليه وآله مولى له ، وكثر الخوض في ذلك ، فبعثنا رجالاً منّا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عن ذلك ؟

فقال : **قُولُوا لَهُمْ : عَلِيٌّ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدِي ، وَأَنْصَحُ النّاسِ لِأُمَّتِي** ، وقد شهدت بما حضرني فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، إنّ يوم الفصل كان ميقاتاً »[٣].

---

(١) الاحتجاج : ١ : ١٠٢ .

(٢) **أبو الهيثم** ، اسمه مالك بن التيّهان ، من الأوس ، وهو أحد الستّة الذين لقوا رسول الله صلى الله عليه وآله ، شهد العقبة الأُولى والثانية ، وهو أوّل من بايعه ليلة العقبة ، وكان نقيب بني عبد الأشهل ، شهد بدراً والمشاهد كلّها مع النبيّ صلى الله عليه وآله . أُسد الغابة : ٤ : ٢٧٤ .

وكان من خلّص أصحاب الإمام ، استشهد بصفّين سنة (٣٧هـ) ، وقد ذكره الإمام بأسى وحزن في بعض خطبه ، فقال : « **أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ ؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ !** » ، ثمّ ضرب يده على لحيته الشريفة وأطال البكاء على تلك الصفوة التي واكبت الحقّ وعرفت مقام الإمام ومكانته .

(٣) حياة الإمام الحسن بن عليّ : ١ : ١٦٧ . الاحتجاج : ١ : ١٠٣ .

وأوضح هذا الخطاب أنّ الرسول ﷺ أقام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة من بعده، وقلّده منصب الخلافة والإمامة، وعلى هذا الأساس بنيت عقيدة الشيعة الإماميّة.

٨ـ سهل بن حنيف

أمّا سهل بن حنيف[١] فهو في طليعة صحابة النبيّ ﷺ إيماناً برسالته، وجهاداً في سبيل الإسلام، وقد أنكر على القرشيّين إجماعهم على صرف الخلافة عن أمير المؤمنين عليه السلام، فقال مخاطباً لهم: «يا معشر قريش، اشهدوا علَيَّ، إنّي أشهد على رسول الله ﷺ وقد رأيته في هذا المكان ـ يعني جامعه ـ وقد أخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: **أَيُّها النّاسُ، هٰذا عَلِيٌّ إِمامُكُمْ مِنْ بَعْدِي، وَوَصِيِّي فِي حَياتِي وَبَعْدَ وَفاتِي، وَقاضِي دَيْنِي، وَمُنْجِزُ وَعْدِي، وَأَوَّلُ مَنْ يُصافِحُنِي عَلىٰ حَوْضِي، وَطُوبىٰ لِمَنْ تَبِعَهُ وَنَصَرَهُ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ وَخَذَلَهُ**»[٢].

وحكى هذا الخطاب أحد النصوص الكاملة التي أدلى بها الرسول ﷺ على خلافة الإمام أمير المؤمنين من بعده.

٩ـ خزيمة بن ثابت

أمّا خزيمة بن ثابت[٣] فهو من أعلام المجاهدين في الإسلام، ومن الثقات

---

(١) **سهل بن حنيف الأوسي الأنصاري**، أبو ثابت، شهد بدراً والمشاهد كلّها، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحد، وقد بايعه على الموت، وصحب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان والياً من قِبله على البصرة، ثمّ شهد معه صفّين وولّاه على فارس، توفّي سنة (٣٨هـ) وصلّى عليه الإمام ـ تهذيب التهذيب: ٤: ٤٢٨.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ١: ١٠٣.

(٣) **خزيمة بن ثابت**، من الأوس، يعرف بذي الشهادتين، جعل رسول الله ﷺ شهادته «

البارزين في صحابة النبيّ ﷺ، وقد أنكر على القوم إقصاءهم للعترة عن مركز الحكم، وهذا نصّ كلامه: «أيّها الناس، ألستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قبل شهادتي وحدي، ولم يرد معي غيري؟

فقالوا: بلى.

قال: فأشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: **أَهْلُ بَيْتِي يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَهُمُ الْأَئِمَّةُ الَّذِينَ يُقْتَدىٰ بِهِمْ**، وقد قلت ما علمت، وما على الرسول إلّا البلاغ المبين»[١].

ودعا هذا الخطاب إلى التمسّك بالعترة الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس، وطهّرها تطهيراً، وإرجاع الخلافة إليها.

١٠ ـ عثمان بن حنيف

وعثمان بن حنيف[٢] من خيار صحابة الرسول ﷺ، وقد أنكر على أبي بكر تقمّصه للخلافة، فقد خاطبه قائلاً: «سمعنا رسول الله ﷺ يقول: **أَهْلُ بَيْتِي نُجُومُ الْأَرْضِ، فَلَا تَتَقَدَّمُوهُمْ، فَهُمُ الْوُلَاةُ مِنْ بَعْدِي**.

فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، وأي أهل بيتك؟

» كشهادة رجلين، يكنّى أبا عباد، شهد بدراً وما بعدها، وكان مع عليّ عليه السلام بصفّين، فلمّا قُتل عمّار جرّد سيفه فقاتل حتّى قُتل، وكان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تَقْتُلُ عَمّاراً الْفِئَةُ الْباغِيَةُ**» ـ الاستيعاب.

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١: ١٠٢.

(٢) **عثمان بن حنيف الأنصاري**، الأوسي، شهد مع النبيّ ﷺ أُحداً والمشاهد بعدها، استعمله عمر على مساحة سواد العراق، فمسح عامره وغامره، وقسط خراجه، واستعمله الإمام عليه السلام على البصرة، وسكن الكوفة، وبقي إلى زمان معاوية ثمّ توفّي. أُسد الغابة: ٣: ٣٧٦.

فقال: **عَلِيٌّ وَالطَّاهِرُونَ مِنْ وُلْدِهِ**»[١].

وقد بيّن ﷺ فلا تكن ـ يا أبا بكر ـ أوّل كافر به، ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون[٢]».

وحفل هذا الخطاب بالدعوة إلى الحقّ وصيانة الأُمّة من الاختلاف، ولكنّ الأطماع السياسيّة صدّت القوم عن الاستجابة له.

١١ ـ أبو أيّوب الأنصاري

وآمن أبو أيّوب الأنصاري[٣] بالإمام أمير المؤمنين وأنّه أحقّ بخلافة المسلمين من غيره، فانبرى إلى الإنكار على أبي بكر، فقال له ولحزبه:

«اتّقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيّكم، وردّوا إليهم حقّهم الذي جعله الله تعالى لهم، فقد سمعتم مثل ما سمع اخواننا في مقام بعد مقام لنبيّنا ﷺ، ومجلس بعد مجلس يقول: «**أَهْلُ بَيْتِي أَئِمَّتُكُمْ بَعْدِي**».

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١: ١٠٣.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ الأنفال ٨: ٢٧.

(٣) **أبو أيّوب**، اسمه خالد بن زيد الخزرجي، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، وعليه نزل النبيّ ﷺ حين قدم المدينة، وشهد مع الإمام مشاهده كلّها، وكان في واقعة النهروان يحمل راية الأمان لمن خرج من معسكر الخوارج وانضمّ لمعسكر الإمام، وكانت له كلمات وخطب حماسيّة رائعة يحثّ فيها الجماهير على مناصرة الإمام عليه السلام.

وفد أبوه زيد على رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، أوصني، فقال له: «**أُوصِيكَ بِخَمْسٍ: بِالْيَأْسِ عَمّا في أَيْدي النّاسِ فَإِنَّهُ الْغِنىٰ، وَإِيّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحاضِرُ، وَصَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ، وَإِيّاكَ وَما تَعْتَذِرُ مِنْهُ، وَأَحِبَّ لِأَخيكَ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ...**».

توفّي في القسطنطينيّة في زمن يزيد بن معاوية. الكنى والألقاب: ١: ١٣.

ويومئ إلى عليّ ، ويقول : « **هـذا أَمِيرُ الْبَرَرَةِ ، وَقاتِلُ الْكَفَرَةِ ، مَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَهُ ، مَنْصُورٌ مَنْ نَصَرَهُ ، فَتُوبُوا إِلَى اللهِ مِنْ ظُلْمِكُمْ إِيّاهُ ، إِنَّ اللهَ تَوّابٌ رَحِيمٌ ، وَلَا تَتَوَلَّوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ** »(١) .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الاحتجاجات الصارمة التي أدلت بها العترة الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس وطهّرها مع أعلام الصحابة المتحرّجين في دينهم على أحقيّة سيّد العترة الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام بالخلافة وولاية أمر المسلمين بعد النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله .

وعلى أي حال لقد كانت أحداث السقيفة المروّعة مصدر الفتنة الكبرى التي مني بها المسلمون على امتداد التاريخ ، ولم تكن الفتنة بين المسلمين ـ بأي حال من الأحوال ـ قد نشبت في أيّام عثمان وعليّ ، كما يذهب إلى ذلك عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى) .

لقد نظرت الشيعة بعمق وشمول إلى ما أُثر عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله في حقّ عترته من صنوف التكريم والتعظيم ، وما أولاه في حقّ أخيه وابن عمّه الإمام أمير المؤمين عليه‌السلام من التبجيل ، فهو باب مدينة علمه ، وكان منه بمنزلة هارون من موسى ، وأنّه وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة بعده ـ على حدّ تعبيره ـ .

وقد آمنت الشيعة إيماناً لا يخامره أدنى شكّ بأنّه الخليفة الشرعي للرسول الأعظم صلى‌الله‌عليه‌وآله مباشرة ، وليس فيما ذهبوا إليه تقليد أو اتّباع لعاطفة أو هوى ، وإنّما استندوا إلى كوكبة من النصوص القرآنيّة والسنّة النبويّة ، ولا يسعهم مجافاتها والإعراض عنها .

وقد ألمحنا إلى جمهرة منها في البحوث المتقدّمة .

---

(١) الاحتجاج : ١ : ١٠٣ .

المتارك الفظيعة

وأدّت عمليّة فصل الخلافة عن أهل بيت النبوّة إلى أزمات رهيبة وكوارث خطيرة ابتلي بها المسلمون ، وامتحنوا امتحاناً عسيراً ، فقد سبّبت الفرقة والخلاف بين المسلمين ، وألقتهم في شرّ عظيم .

وكان من أقسى تلك المآسي ، وأشدّها ألماً أنّ الخلافة الإسلاميّة التي هي ظلّ الله في الأرض ، والتي تتبنّى القضايا المصيريّة للأُمّة أنّها صارت اُلعوبة بأيدي الأمويّين ، وإخوانهم العبّاسيّين ، فاتّخذوا مال الله دولاً ، وعباد الله خولاً ، فأنفقوا أموال المسلمين على مجونهم وملذّاتهم ، ولم يرقبوا في الله إلّاً ولا ذمّة ، وطاردوا رجال الإصلاح وفي طليعتهم السادة العلويّون ، فصبّوا عليهم وابلاً من العذاب الأليم ، فقتلوهم تحت كلّ حجر ومدر ، كما أنزلوا العقاب الصارم بشيعتهم .

وسنتحدّث عن فصول مأساتهم في البحوث الآتية .

قال سماحة الحجّة الشيخ راضي آل ياسين :

« فكانت عمليّة الفصل ـ أي فصل الخلافة عن عترة الرسول صلى الله عليه وآله ـ هي مثار الخلافات التاريخيّة الحمر بين عشّاق الخلافة في مختلف الأجيال ، ومبعث مآس فظيعة بين المسلمين ، ومصدر انعكاسات مزرية في مثالية الإسلام كان المسلمون في غنى عنها لو قدّر للخلافة ـ في يومها الأوّل ـ أن تأخذ طريقها اللاحب الذي لا يجوز فيه اجتهاد ، ولا تمسّه سياسة ، ولا يتصرّف فيه أحد غير الله تعالى ورسوله .

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً ﴾[1] .

(١) الأحزاب ٣٣: ٣٦.

وهل كان التناحر والتطاحن المديد العمر ، المتوارث مع الأجيال فيما بين الأُسر البارزة في المسلمين إلّا نتيجة فسح المجال لهذا أو ذاك في الطماح إلى غزو المقام الرفيع ؟ وهل كانت المجازر الفظيعة التي جابهها المسلمون في الفترات المختلفة من تاريخ الإسلام بين بني هاشم وبني أُميّة ، وبين بني الزبير وبني أُميّة ، وبين بني العبّاس وبين بني أُميّة ، وبين بني عليّ وبني العبّاس ... إلّا النتيجة المباشرة لفصم ذلك التقليد الديني الذي احتاط به رسول الله ﷺ ليكون حائلاً دون أمثال هذه المآسي ، والأحداث المؤسفة في الإسلام .

وهل كانت فجائع العترة الفريدة من نوعها ، ـ بالقتل والصلب والسبي والتشريد ـ إلّا أثر الخطأة الأُولى التي خولفت بها سياسة النبيّ ﷺ فيما أراده لأُمّته ولعترته ، وفيما حفظ به أُمّته وعترته جميعاً ، فلو أنّهم أطاعوه فيما أراد ، ولكنّهم جهلوا مغزى هذه السياسة البعيدة النظر ، فكرهوا اجتماع النبوّة والخلافة في بيت واحد[١] انصهاراً بسياسة أُخرى ، وكانت هي المعذرة الظاهرة التي لم يجدوا غيرها معذرة يبوحون بها للنّاس ، أمّا معذرتهم الباطنة فلا يعلم بها إلّا العالم ببواطن الأمور ، وهي على الأكثر لا تعدو الذكريات الدامية في حروب الدعوة الإسلاميّة أو الحسد الذي « يأكل الدين كما تأكل النّار الحطب » ، كما في الحديث الشريف .

وكان حبّ الرياسة وشهوة الحكم شرّ أدواء النّاس وبالاً على النّاس ، وأشدّها استفحالاً في طباع الأقوياء من زعماء ومتزعّمين .

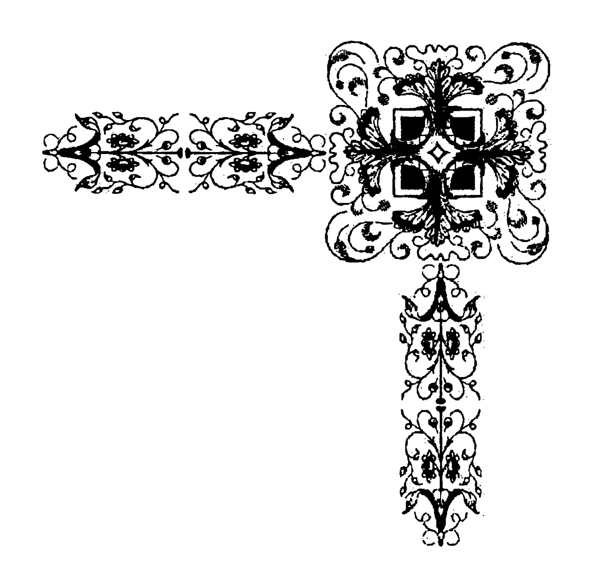
---

(١) عدم اجتماع النبوّة والخلافة في بيت واحد هو الشعار الذي تبنّته أعمدة الأُسر القرشيّة التي جهدت على صرف الخلافة عن أهل البيت عليهم السلام .

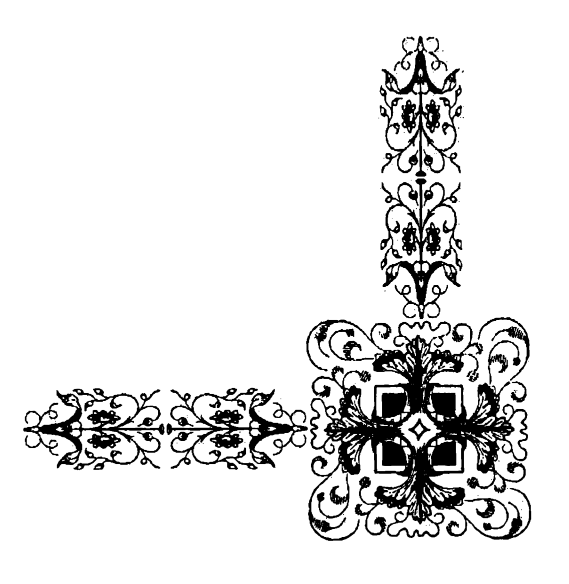
وما النبوّة ولا الإمامة بما هما ـ منصب إلٰهي ـ من مجالات السياسة بمعناها المعروف ، وكلّ سياسة في النبوّة أو في شيء من ذيولها الإداريّة ، فهو دين وإلى الدين ، والمرجع الوحيد في كلّ ذلك هو صاحب الدين نفسه ، وكلمته هي الفصل في الموضوع ... »[١].

ورأي سماحة الحجّة آل ياسين رأي وثيق للغاية ، فإنّ الأحداث الجسام التي مُنيت بها الأُمّة كانت من النتائج المباشرة لصرف الخلافة عن أهل بيت النبوّة ومعدن الحكمة ، ولو أنّ الأُمّة تابعت الرسول ﷺ فيما أراد لها في تقرير مصيرها على أرقى وأروع ما يكون في جميع الأحقاب والآباد ، وهو جعل القيادة العامّة بأيدي المتحرّجين في دينهم من ذوي المواهب والكفاءات ، وهم السادة من أهل البيت عليهم السلام الذين يؤثرون صالح الأُمّة على كلّ شيء ، ولو أنّ الأُمّة واكبت الرسول ﷺ وتابعته لما بليت بحكّام أمثال معاوية ويزيد وسائر ملوك بني أُميّة وبني العبّاس ، الذين سخّروا اقتصاد الأُمّة لرغباتهم وعبثهم ومجونهم .

(١) صلح الحسن : ٢٨ و ٢٩.



الشيعة و الصحابة



واتّهمت الشيعة بتجريح الصحابة ، والقول بعدم عدالتهم ، وهو افتراء محض لا نصيب له من الصحّة ، فإنّ الشيعة تقدّس صحابة النبيّ ﷺ وتعظّمهم ، وتكنّ لهم أعمق الحبّ والاحترام ، وترى لهم الحقّ على كلّ مسلم ومسلمة لأنّهم نصروا الإسلام أيّام محنته وغربته ، ولولا جهودهم وجهادهم وتضحياتهم لما قام الإسلام على سوقه عبل الذراع ، مفتول الساعد .

ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة لعرض موقف الشيعة من الصحابة :

تعريف بالصحابة

المراد بالصحابة الممجّدين هم الذين صحبوا النبيّ ﷺ وآمنوا به ، وماتوا على هديه ودينه ، وليس المراد بالصحابي كلّ مَن رأى النبيّ ﷺ ، فإنّ هذا التحديد من الضحالة بمكان لأنّه يوجب دخول الأطفال والكفّار الذين رأوا النبيّ في إطار الصحابة ، مع أنّه لا إشكال في خروجهم عنه ، كما أنّه بناءً على اعتبار الرؤية تخرج بعض الصحابة عن هذا التعريف ممّن فقدوا البصر ، كابن مكتوم ونحوه من المؤمنين الأخيار المتحرّجين في دينهم .

مع أنّه لا إشكال في شمول التعريف لهم ، ولا يشمل التعريف الذي ذكرناه المنافقين الذين كانوا يكيدون للإسلام ويبغون له الغوائل في الليل إذا يغشى ، وفي النهار إذا تجلّى ، وهم الذين نزلت فيهم سورة المنافقون .

حكم الصحابة

ولصحابة النبيّ ﷺ منزلة عظيمة وكريمة عند الله تعالى ، ومن المؤكّد أنّ الصحبة بذاتها لا توجب العصمة عن الخطأ ، ولا توجب النجاة من النار إلّا بالعمل الصالح ، والبعد عمّا حرّمه الله ، فإنّه المقياس عند الله تعالى ، مَن تحرّج في دينه وآمن واهتدى ، وعمل صالحاً فإنّ الجنّة هي المأوى ، ومَن زاغ عن ذلك ، وانحرف عن الحقّ بعدما تبيّن له الهدى ، فإنّ مصيره إلى النار ، هذا هو حكم الإسلام .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾[٢] .

قد أناط الله تعالى ثوابه بالعمل الصالح ، وأناط عقابه بالعمل السيّء ، والصحابة وغيرهم سواء ، فمَن أطاع الله منهم كان له المزيد من الأجر ، ومَن انحرف عن الحقّ كان له من العذاب ضعف لأنّه ابتعد عن سنّة الرسول ﷺ وشذّ عن هديه .

---

(١) النجم ٥٣ : ٣٩ و ٤٠ .

(٢) الزلزلة ٩٩ : ٨ .

في رحاب القرآن الكريم

وإذا رجعنا إلى مائدة القرآن الكريم للنظر في شؤون الصحابة وجدنا طائفتين من آيات الله العظام، وهما:

الطائفة الأولى: فيها ثناء عاطر وتعظيم لبعض الصحابة الذين أخلصوا لله وجاهدوا في سبيله، وكانوا بأعلى درجات الإيمان، وهذه بعض الآيات:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ (١).

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِن أَثَرِ السُّجُودِ ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (٢).

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٣).

---

(١) الفتح ٤٨: ١٨.

(٢) الفتح ٤٨: ٢٩.

(٣) التوبة ٩: ١٠٠.

وحكت هذه الآيات عظيم منزلتهم، وسموّ مكانتهم عند الله تعالى، ولهم في مدح الله غنى عن مدح المادحين، ووصف الواصفين، وهؤلاء يجب على كلّ مسلم مودّتهم والإخلاص لهم.

الطائفة الثانية: وهي تذمّ من مردوا على النفاق، وابتغوا الفتنة، وأظهروا الإسلام بألسنتهم، وانطوت قلوبهم على الكفر بالله، وهذه بعض الآيات:

١ ـ قال تعالى: ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ** ﴾[١].

٢ ـ قال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[٢].

٣ ـ قال تعالى: ﴿ **سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾[٣].

٤ ـ قال تعالى: ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ** ﴾[٤].

---

(١) التوبة ٩: ١٠١.

(٢) التوبة ٩: ٦١.

(٣) التوبة ٩: ٩٥ و ٩٦.

(٤) الكافرون ٦٣: ١ ـ ٣.

وحكت الآيات السابقة والتي بعدها أنّ الصحابة بعضهم أولياء الله وأحبّاؤه ، أخلصوا لله أعظم ما يكون الإخلاص ، وجاهدوا في سبيله أعظم ما يكون الجهاد ، وبعضهم يؤذون النبيّ صلى الله عليه وآله ، ويقولون ويفعلون ما يسوءه ، وهؤلاء أعداء الله ، وخصوم رسوله صلى الله عليه وآله ، قد مردوا على النفاق ، وخلعوا جلباب الإيمان وهم ـ من دون شكّ ـ لا يجوز توقيرهم وتعظيمهم ، ولا تشملهم قداسة الصحابة ، وهذا ما تؤمن به الشيعة .

في رحاب السنّة

وأعلنت كوكبة من الأحاديث النبويّة ارتداد بعض الصحابة ومروقهم من الدين، وهذه بعضها:

١ ـ روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**وَيُؤْخَذُ مِنْ أَصْحابي بِرِجالٍ ذاتَ الْيَمينِ وَذاتَ الشِّمالِ، فَأَقُولُ: يا رَبِّ، أَصْحابي، فَيُقالُ: إِنَّكَ لَا تَدْري ما أَحْدَثوا بَعْدَكَ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَزالوا مُرْتَدِّينَ عَلىٰ أَعْقابِهِمْ مُنْذُ فارَقْتَهُمْ، فَأَقولُ كما قالَ الْعَبْدُ الصّالِحُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ﴾**[١]»[٢].

٢ ـ أخرج أحمد في مسنده عن عبدالله بن مسعود، عن النبيّ ﷺ أنّه قال لأصحابه: «**أَنا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَأُنازَعَنَّ أَقْواماً ثُمَّ لَأُغْلَبَنَّ عَلَيْهِمْ فَأَقولُ: يا رَبِّي، أَصْحابي، فَيَقولُ: إِنَّكَ لَا تَدْري ما أَحْدَثوا بَعْدَكَ**»[٣].

٣ ـ وأخرج مسلم عن طريق عائشة، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**إِنّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللهِ! لَيُقْتَطَعَنَّ دوني رِجالٌ، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ مِنّي وَمِنْ أُمَّتي، فَيَقولُ: إِنَّكَ ما تَدْري ما عَمِلوا بَعْدَكَ، ما زالوا يَرْجِعونَ عَلىٰ أَعْقابِهِمْ**»[٤].

٤ ـ روى الإمام الباقر عليه السلام بسنده عن جدّه الرسول ﷺ أنّه قال: «**يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ**

---

(١) المائدة ٥: ١١٨.

(٢) صحيح الترمذي: ٢: ٦٨. صحيح مسلم: ٧: ٩٦. صحيح البخاري: ٩: ٥٨. مسند أحمد بن حنبل: ٥: ٣٣٣.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ٥: ٢٣١.

(٤) صحيح مسلم: ٤: ٦٥. كنز العمّال: ١١: ٢٤١٦.

الْقِيامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحابي فَيُحَلَّونَ عَنِ الْحَوْضِ ، فَأَقولُ : يا رَبِّ أَصْحابي ، فَيُقالُ : إِنَّكَ لَا تَدْري ما أَحْدَثوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ ارْتَدّوا عَلىٰ أَعْقابِهِمُ الْقَهْقَرىٰ »[1].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث أُثرت عن النبيّ ﷺ ، وهي تدلّ بـوضوح عـلى وجود المنحرفين والضالّين من الصحابة الذين آثروا الدنيا على الآخرة ، وطبع الله على قلوبهم ، واتّبعوا أهواءهم .

(١) صحيح البخاري : ٨: ١٥٠.

منافقون و مرتدّون

ذكر الرواة طائفة من الذين صحبوا النبيّ ﷺ وهم مرتدّون على أعقابهم، ولا رصيد لهم من التقوى والإيمان، ونشير إلى بعضهم:

١ ـ الوليد بن عقبة

ابن أبي معيط. من ألدّ أعداء رسول الله ﷺ. روت عائشة عن رسول الله ﷺ، قال: «كنت بين شرّ جارين: بين أبي لهب وبين عقبة بن أبي معيط، إن كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي حتّى إنّهم ليأتون ببعض ما يطرحونه من الأذى فيطرحونه على بابي»(١).

وسمّاه الله تعالى في كتابه فاسقاً، وذلك حينما أرسله النبيّ ﷺ على صدقات بني المصطلق، فعاد وأخبر النبيّ ﷺ أنّهم خرجوا لقتاله، فأراد أن يجهّز لهم جيشاً لقتالهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ** ﴾(٢)(٣).

يقول حسّان بن ثابت فيه:

أَنــزَلَ اللهُ وَالكِـتابُ عَـزيزٌ ... فـي عَـلِيٍّ وَفـي الوَلـيدِ قُـرانـا
فَـتَبَوّا الوَلـيدُ مِـنْ ذاكَ فِسْـقاً ... وَعَـلِـيٌّ مُـبَوَّءٌ إيـمانا
لَيسَ مَنْ كانَ مُؤْمِناً عَـرَفَ اللهَ ... كَـمَنْ كـانَ فـاسِقاً خَـوّانـا

---

(١) الطبقات الكبرى: ١: ١٨٦.

(٢) الحجرات ٤٩: ٦.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤: ٢١٢.

فَعَلِيٌّ يَلقىٰ لَدى اللهِ عِزّاً وَوَليدٌ يَلقىٰ هُناكَ هَوانا
سَوفَ يُجْزى الوَليدُ خِزْياً وَناراً وَعَلِيٌّ لَا شَكَّ يُجْزىٰ جِنانا[١]

وفي شربه الخمر وأدائه للصلاة عندما كان والياً على الكوفة قال الحطيئة جرول بن أوس العبسي:

شَهِدَ الحُطَيئَةُ يَومَ يَلْقىٰ رَبَّهُ إنَّ الوَليدَ أَحَقُّ بِالعُذْرِ
نادىٰ وَقَدْ تَمَّتْ صَلاتُهُمُ أأزيدُكُمْ ؟ ثَمِلاً وَلَا يَدْري
لِيَزيدَهُمْ خَيراً وَلَوْ قَبِلوا مِنْهُ لَزادَهُمُ عَلىٰ عَشْرِ
فَأَبوا أَبا وَهَبٍ وَلَوْ فَعَلوا لَقَرَنْتَ بَينَ الشَّفْعِ وَالوَتْرِ
حَبَسوا عِنانَكَ إذْ جَرَيْتَ وَلَو خَلَّوا عِنانَكَ لَمْ تَزَلْ تَجْري[٢]

وقال الحطيئة فيه أيضاً:

تَكَلَّمَ في الصَّلاةِ وَزادَ فيها عَلانِيَةً وَجاهَرَ بِالنِّفاقِ
وَمَجَّ الخَمْرَ في سنَنِ المُصَلّي وَنادىٰ وَالجَميعُ إلى افْتِراقِ
أَزيدُكُمُ عَلىٰ أَنْ تَحمَدوني فَما لَكُمُ وَما لي مِنْ خَلاقِ[٣]

٢ ـ خذام وجماعته

من المنافقين والضالّين خذام بن خالد ومعتب بن قشير وأبو حبيبة بن أبي الأزعر وجماعتهم، وهم الذين بنوا مسجداً يتظاهرون فيه بإقامة الصلاة في أوقات لا يسعهم الوصول إلى النبيّ ﷺ حسب زعمهم، ولكنّ الله فضح سرّهم، وأنزل

---

(١) تذكرة الخواص: ١١٥. الغدير: ٢: ٤٥.
(٢) الأغاني: ٤: ١٧٨ و ١٧٩.
(٣) الأغاني: ٤: ١٧٨. الاستيعاب: ١: ٤٩٣.

فيهم الآية: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[١].

وقد فضحتهم الآية، وكشفت زيف ما يقولون[٢].

٣ـ ذو الثدية

هو حرقوص بن زهير المعروف بذي الثدية[٣]، من جملة الصحابة الذين رأوا

---

(١) التوبة ٩: ١٠٧.

(٢) السيرة النبويّة: ١: ٢٤١.

(٣) جاء في الإصابة: ١: ٨٤ في ترجمته عن أنس أنّه قال: كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يعجبنا تعبّده، وقد ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فلم يعرفه، فبينما نحن في ذكره إذ طلع علينا الرجل، فقلنا له: يا رسول الله، هو هذا؟

فلمّا نظر إليه قال ﷺ: **إِنَّكُمْ لَتُخْبِروني عَنْ رَجُلٍ إِنَّ في وَجْهَهُ لَسَفْعَةٌ** ـ السفعة العلامة ـ **مِنَ الشَّيْطانِ**.

فأقبل حتى وقف ولم يسلّم، فقال له رسول الله ﷺ: **أَنْشُدُكَ اللهَ! هَلْ قُلْتَ حينَ وَقَفْتَ عَلَى الْمَجْلِسِ: ما في الْقَوْمِ أَحَدٌ أَفْضَلُ مِنّي أَوْ خَيْرٌ مِنّي؟**

قال: نعم، ثمّ دخل يصلّي.

فقال رسول الله ﷺ: **مَنْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ؟**

فقال أبو بكر: أنا، فمضى إليه فوجده يصلّي، فقال: سبحان الله! أقتل رجلاً يصلّي، وقد نهى رسول الله عن قتل المصلّين، فخرج، فقال له رسول الله: **ما فَعَلْتَ؟**

فقال: كرهت أن أقتله وهو يصلّي، وأنت قد نهيت عن قتل المصلّين.

فقال ﷺ لأصحابه: **مَنْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ؟**

فقال عمر: أنا، فمضى إليه فوجده يصلّي، وقد وضع جبهته على الأرض، فقال عمر: أبوبكر أفضل منّي، ثمّ خرج فقال له رسول الله: **ما فَعَلْتَ؟** »

النبيّ ﷺ ، وكان يظهر النسك والعبادة ، إلّا أنّه لم يكن عن معرفة وإيمان ، علم النبيّ ﷺ بضلاله ، وإنّه من عناصر السوء والشرّ ، فأمر بقتله ، فانبرى أبو بكر ليقتله فرآه يصلّي فكفّ عنه ، وسارع عمر كذلك ، فلم يفعل ، وبادر الإمام عليّ عليه السلام ليقتله فلم يدركه[1] ، وهو الذي تزعّم الخوارج يوم النهروان فقتله الإمام عليه السلام .

٤ ـ الحكم بن أبي العاص

خبيث دنس من رؤوس المنافقين كان من ألدّ أعداء رسول الله ﷺ ، ومن أحقدهم عليه ، فكان يمرّ خلفه فيغمز به ويحكيه ويخلج بأنفه وفمه[2] .

والتفت النبيّ ﷺ فرآه يفعل ذلك ، فقال : «**كَذلِكَ فَلْتَكُنْ**» .

فكان الحكم مختلجاً يرتعش حتّى هلك ، وكان يثبّط الناس عن الدخول في دين الإسلام ، وقد قال مروان لحويطب تأخّر إسلامك أيّها الشيخ حتّى سبقك الأحداث .

فقال له حويطب : والله لقد هممت بالإسلام غير مرّة ، كلّ ذلك يعوّقني أبوك ، يقول : تضيّع شرفك ، وتدع دين آبائك لدين محدث ، وتصير تابعاً[3] .

واستأذن الخبيث على النبيّ فقال ﷺ : **ائْذَنوا لَهُ لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلىٰ مَنْ يَخْرُجُ**

» فقال عمر : وجدته واضعاً وجهه لله فكرهت أن أقتله .

فقال ﷺ : **مَنْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ ؟**

فقال الإمام عليّ عليه السلام : **أنا** .

فقال رسول الله ﷺ : **أَنْتَ لَهُ إِنْ أَدْرَكْتَهُ** ، فمضى الإمام فوجده قد خرج ، فجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بالأمر .

فقال ﷺ : **لَوْ قُتِلَ ما اخْتَلَفَ مِنْ أُمَّتي رَجُلانِ كانَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمْ سَواءً** .

(١) الإصابة : ٣ : ٨٣.

(٢) أنساب الأشراف : ٥ : ٢٧.

(٣) البداية والنهاية : ٨ : ٧٠.

مِنْ صُلْبِهِ إلّا المُؤْمِنينَ ، وَقَليلٌ ما هُمْ ، ذَوو مَكْرٍ وَخَديعَةٍ ، يُعْطَونَ الدُّنيا ، وما لَهُمْ في الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ[١].

وقال ﷺ : إنَّ هٰذا سَيُخالِفُ كِتابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ، وَسَتَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ فِتَنٌ يَبْلُغُ دُخانُها السَّماءَ.

فقال له قوم : هو أقلّ وأذلّ من أن يكون هذا منه .

فقال ﷺ : بَلىٰ وَبَعْضُكُمْ يَوْمَئِذٍ شيعَتُهُ[٢].

ونفاه النبيّ ﷺ إلى الطائف ، ولم يسمح له بالدخول إلى عاصمته[٣].

ولمّا آل الأمر إلى عثمان أصدر عنه العفو فقدم إلى يثرب ، وعليه فزر خلق وهو يسوق تيساً والناس ينظرون إلى رثّة ثيابه ، وسوء حاله ، فدخل دار عثمان ثمّ خرج وعليه جبّة خزّ وطيلسان[٤] ووصله بمائة ألف[٥] ، وقد ولّاه عثمان على صدقات قضاعة ، فبلغت ثلاثمائة ألف درهم ، فوهبها له[٦]. وهذا الرجس معدود من الصحابة !

٥ ـ قزمان بن الحرث

شهد أُحُداً ، وقاتل مع النبيّ ﷺ قتال الأبطال ، فقال النبيّ ﷺ : «إنَّهُ مِنْ أَهْلِ النّارِ» ، وأصابته جراحات وسقط فقيل له : هنيئاً لك بالجنّة يا أبا الغيداق ، فسخر

---

(١) السيرة الحلبيّة : ١ : ٣٣٧.

(٢) كنز العمّال : ٦ : ٣٩.

(٣) أنساب الأشراف : ٥ : ٢٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٤١.

(٥) المعارف : ٨٤.

(٦) أنساب الأشراف : ٥ : ٢٨.

منه ، وقال : جنّة من حرمل ، والله ما قاتلنا إلّا على الأحساب[١].

فهل هذا يعدّ من الصحابة ؟!

٦ ـ أبو سفيان

ألدّ أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن أخبث الحاقدين عليه ، حاول جاهداً أن يردّ صوت التوحيد لمصدره ، ويلفّ لواء الإسلام ، ويطفئ نور الله ، فجيّش الجيوش ، وقاد الكتائب تلو الكتائب في واقعة بدر وأُحُد وغيرهما ، ولكنّ الله ردّ كيده ، ودمّر جيوشه ، وسحق عدوانه ، ونصر نبيّه ، وباءت جميع محاولاته بالفشل ، وانتصر الإسلام ، وخفقت راياته ، وفتحت مكّة التي هي معقل القبائل القرشيّة المعادية لله ، والتي جرّعت الرسول الغصص والآلام ، ولولا فيض عارم من رحمات الرسول صلى الله عليه وآله لسبى ذراريهم ، وقتل رجالهم ، ولكنّه عفا عنهم ، وأطلق سراحهم ، وقال لهم : « **اذهَبوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقاءُ** ».

وممّن عفا عنه الرسول صلى الله عليه وآله أبا سفيان ، فقد دخل في دين الإسلام حفظاً لدمه ، وظلّت نفسه مترعة بأفكار الجاهليّة وأوثانها ، وهو الذي ركل قبر حمزة برجله ، وقال له : « إنّ هذا الأمر الذي كنّا نقاتل عليه أصبح بأيدي صبياننا » ، وأحاديثه في الكفر مشهورة تقضي بإلحاده وجاهليّته ، فكيف يُعدّ صحابيّاً ؟

٧ ـ معاوية بن أبي سفيان

صاحب الأحداث والموبقات في الإسلام ، وهو الذي حارب وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقتل خيار الصحابة ، كحجر بن عدي وجماعته المؤمنين ، واستخلف ابنه يزيد من بعده ، فاقترف كلّ ما حرّم الله ، فقتل ريحانة

---

(١) الإصابة : ٣ : ٢٣٥.

رسول الله ﷺ الإمام الحسين عليه السلام وسبى حرائر النبوّة والرسالة ، وأباح مدينة الرسول ﷺ ، وهدم الكعبة ، إلى غير ذلك من جرائمه .

إنّ معاوية في جميع مراحل حياته لم يؤمن بالله طرفة عين ، وهو من أعمدة الجاهليّة وأركانها ، فقد فرض سبّ العترة الطاهرة على المنابر والمآذن ، وموبقاته ومنكراته لا تحصى ، فكيف يعدّ هذا الذئب الجاهلي من الصحابة ؟

٨ـ أبو العادية

الجهني ، واسمه يسار ، وهو ممّن سمع النبيّ ﷺ وروى عنه ، ومن رواياته عنه قوله ﷺ : « **إِنَّ دِماءَكُمْ وَأَمْوالَكُمْ حَرامٌ** » .

وهو قاتل الصحابي العظيم عمّار بن ياسر الذي قال فيه النبيّ ﷺ : « **يا عَمّارُ ، تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ** » .

وكان إذا أراد الدخول على معاوية يقول لحاجبه قل له : « قاتل عمّار بالباب »(١) .

وفي الحديث : « **لَوْ أَنَّ عَمّاراً قَتَلَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ لَدَخلوا النّارَ** »(٢) .

وعلى أي حال ، فكيف يُعدّ مثل هذا المجرم الوضيع صحابيّاً ويحكم بعدالته .

٩ـ قدامة بن مظعون

كان من السابقين الأوّلين إلى الإسلام ، وهاجر الهجرتين ، استعمله عمر بن الخطّاب والياً على البحرين ، شرب الخمر وأقام عليه عمر الحدّ ، فكيف يحكم بعدالته لأنّه من الصحابة ؟

ونكتفي بهذه النماذج اليسيرة من الصحابة الذين اقترفوا ما حرّم الله ، وابتعدوا

---

(١) أُسد الغابة : ٥ : ٢٦٧ .

(٢) أُسد الغابة : ٥ : ٢٦٧ .

عن الطريق القويم ، وفارقوا ما سنّه الرسول ﷺ من أحكام ، فكيف يحكم بعدالة جميع الصحابة أجمعين ؟

روايات موضوعة

من موبقات معاوية أنّه أقام لجاناً من الوضّاعين لافتعال الأحاديث ونسبتها إلى الرسول ﷺ في فضل الصحابة، وجعلهم بمنزلة أهل البيت عليهم السلام، ومن المؤسف أنّها خفيت على مدوّني الصحاح والسنن فدوّنوها، وصارت جزء من العقيدة الإسلاميّة، وهي لا واقع لها، ونلمّح إلى بعضها:

١ ـ عن ابن عبّاس، قال: «قال رسول الله ﷺ: ما في الجنّة شجرة إلّا مكتوب على كلّ ورقة منها لا إلـه إلّا الله، محمّد رسول الله، أبو بكر الصدّيق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين»[(١)].

قال المحقّق الأميني: «هذا الحديث من موضوعات عليّ بن جميل الرقي، أخرجه الطبراني وقال: موضوع»، وذكر الأميني مصادر أُخرى نصّت على وضعه[(٢)].

٢ ـ عن أنس مرفوعاً عن النبيّ ﷺ: «لا أفتقد أحداً من أصحابي غير معاوية بن أبي سفيان، لا أراه ثمانين عاماً ـ أو سبعين عاماً ـ فإذا كان بعد ثمانين عاماً ـ أو سبعين عاماً ـ يُقبل إليّ على ناقة من المسك الأذفر، حشوها من رحمة الله، قوائمها من الزبرجد، فأقول: معاوية.

فيقول: لبّيك يا محمّد.

فأقول: أين كنت حينئذٍ من ثمانين عاماً؟

---

(١) تاريخ بغداد: ٥: ٤.

(٢) الغدير: ٥: ٢٩٧.

فيقول: كنت في روضة تحت عرش ربّي يناجيني ويحيّيني وأُحيّيه، ويقول: هذا عوض ممّا كنت تُشتم في دار الدنيا».

وهذا الحديث من موضوعات عبدالله بن حفص الوكيل، وعلّق عليه ابن عدي بقوله: «موضوع لا أشكّ فيه، وأنّه واضعه.

وقال الخطيب: باطل سنداً ومتناً.

وقال ابن عساكر: هذا حديث منكر»[١].

لماذا يفتقد النبيّ ﷺ معاوية وهو الذي حارب وصيّه وباب مدينة علمه، وسمّ ريحانته الإمام الزكيّ الحسن عليه السلام، وقتل خيار الصحابة، واستخلف ولده المجرم الأثيم على المسلمين.

بمثل هذه الأخبار الموضوعة يتمسّك الجهلة والأوباش في فضل معاوية.

٣ ـ عن أنس مرفوعاً: أنّ النبيّ ﷺ قال: «لمّا أُسري بي دخلت الجنّة فإذا أنا بتفاحة تعلّقت بيد حوراء، قالت: أنا للمقتول ظلماً عثمان».

أخرجه الذهبي في ميزانه عن طريق عبّاس بن محمّد العدوي الوضّاع، وقال: «خبر موضوع»[٢].

٤ ـ روى عبدالله بن عمر مرفوعاً عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لمّا ولد أبو بكر اطّلع الله على جنّة عدن فقال: وعزّتي وجلالي، لا أُدخلك إلّا من أحبّ هذا المولود».

علّق الخطيب البغدادي عليه فقال: «إنّه باطل، وفي إسناده غير واحد من المجهولين»[٣].

---

(١) الغدير: ٥: ٢٩٩.

(٢) ميزان الاعتدال: ٢: ٢٠.

(٣) تاريخ بغداد: ٣: ٣٠٩.

٥ ـ روى أبو هريرة مرفوعاً عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إنّ في السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحبّ أبا بكر وعمر، وفي السماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر».

علّق عليه الخطيب البغدادي بقوله: «هذا الحديث وضعه العدوي على كامل ابن طلحة»(١).

٦ ـ روى البراء مرفوعاً عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إنّ الله اتّخذ لأبي بكر في أعلى علّيّين قبّة من ياقوتة بيضاء معلّقة بالقدرة تخترقها رياح الرحمة، للقبّة أربعة آلاف باب، كلّما اشتاق أبو بكر إلى الله انفتح منها باب ينظر إلى الله عزّ وجلّ..».

من موضوعات محمّد بن عبدالله أبي بكر الأشناني، عدّه الذهبي من طامّات الأشناني(٢).

٧ ـ روى أبو هريرة عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لمّا عرج بي إلى السماء فما مررت بسماء إلّا وجدت فيها مكتوباً محمّد رسول الله، وأبو بكر الصدّيق من خلفي..».

قال ابن حجر: «هذا خبر باطل، نقله عن ابن حبّان»(٣).

٨ ـ عن أنس، قال: «آخى النبيّ ﷺ بين كتفي أبي بكر وعمر، فقال لهما: أنتما وزيراي في الدنيا والآخرة، ما مثلي ومثلكما في الجنّة إلّا كمثل طائر يطير في الجنّة، فأنا جؤجؤ الطائر وأنتما جناحاه، وأنا وأنتما نسرح في الجنّة، وأنا وأنتما نزور ربّ العالمين، وأنا وأنتما نقعد في مجالس الجنّة...».

فقال: وفي الجنّة مجالس؟

---

(١) الغدير: ٥: ٣٠٠.

(٢) الغدير: ٥: ٣٠١.

(٣) تهذيب التهذيب: ٥: ١٣٨.

قال : نعم مجالس ولهو .

فقال : أي شيء لهو الجنّة ؟

قال : آجام من قصب من كبريت أحمر ، رحلها الدرّ الرطب ، فيخرج ريح من تحت ساق العرش يقال لها الطيبة فتثور تلك الآجام فيخرج صوت ينسي أهل الجنّة أيّام الدنيا وما كان فيها . . .

هذا الحديث من موضوعات زكريا بن دريد الكندي ، أخرجه ابن حبّان ، وقال : « موضوع آفته زكريا »[(١)].

٩ ـ عن أنس مرفوعاً عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « الأُمناء سبعة : اللّوح ، والقلم ، وإسرافيل ، وميكائيل ، وجبرئيل ، ومحمّد ، ومعاوية »[(٢)].

ذكره ابن كثير وجعله من الأحاديث المنكرة[(٣)].

وعلّق عليه المحقّق الأميني : « تعساً لأُمّة تروي مثل هذه المخازي ولم تند منها جبهتها حياءاً . أليس عاراً على الإسلام وأهله أن يجعل معاوية الخؤون لدة نبيّه وأُمناء الله المعصومين في الأمانة ؟ »[(٤)].

١٠ ـ عن زيد بن ثابت ، قال : « قال رسول الله ﷺ : أوّل من يُعطى كتابه بيمينه من هذه الأُمّة عمر بن الخطّاب ، وله شعاع كشعاع الشمس ، قيل : فأين أبو بكر ؟

قال : تزفّه الملائكة إلى الجنان » .

عدّه السيوطي من الموضوعات[(٥)].

---

(١) الغدير : ٥ : ٣٠٣ .

(٢) ميزان الاعتدال : ١ : ٣٢١ .

(٣) تاريخ ابن كثير : ٨ : ١٢٠ .

(٤) الغدير : ٥ : ٣٠٨ .

(٥) اللئالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : ١ : ١٥٦ .

١١ ـ «كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا اشتاق إلى الجنّة قبّل شيبة أبي بكر».

عدّه الفيروزآبادي في خاتمة سفر السعادة، والعجلوني في كشف الخفاء[1] من الموضوعات، ومن المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل[2].

وقد ذكر المحقّق الأميني نضّر الله مثواه مائة حديث من الموضوعات[3].

ومن الجدر بالذكر أنّ الإمام الباقر عليه السلام أشار في حديث له مع جماعة من أعلام أصحابه إلى أنّ معظم الأحاديث التي وردت في فضل بعض الصحابة من الموضوعات، وقد افتعلت أيّام حكومة معاوية بإيعاز منه للحطّ من شأن العلويّين، والتقليل من أهمّيّتهم، وطلب منه أبان ـ وهو من العلماء الذين تتلمذوا على يد الإمام عليه السلام ـ أن يذكر له بعض تلك الأخبار الموضوعة.

فقال عليه السلام:

١ ـ إنّ سيّدي كهول أهل الجنّة أبو بكر وعمر[4].

٢ ـ إنّ السكينة تنطق على لسان عمر.

٣ ـ إنّ عمر يلقّنه المَلك.

٤ ـ إنّ الملائكة لتستحي من عثمان[5].

---

(١) كشف الخفاء: ٢: ٤١٩.

(٢) الغدير: ٥: ٣١٧.

(٣) الغدير: ٥: ٣١٧.

(٤) وضع هذا الحديث لمعارضة الخبر المتواتر عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّ السبطين الحسن والحسين عليهما السلام سيّدي شباب أهل الجنّة. عرض هذا الحديث على الإمام الجواد عليه السلام فأنكره، وقال: **«لَيسَ في الْجَنَّةِ كُهولٌ، وَإِنَّما كُلُّهُمْ شَبابٌ مُرْدٌ»**.

(٥) لا نعلم الوجه في حياء الملائكة من عثمان عميد الأُسرة الأمويّة، فهل الملائكة تعمل القبيح حتّى تستحي منه أو بالعكس.

واسترسل الإمام أبو جعفر عليه السلام في عرض الأخبار المفتعلة عن أكثر من مائة رواية ـ أو أكثر من مائتين ـ يحسبها الناس أنّها حقّ وهي كذب وزور[١].

لقد افتعلت الأحاديث الكثيرة في أيّام الأمويّين والعبّاسيّين في فضل الصحابة ، وأخذها الجمهور بعين الرضا ، فقدّسوا جميع الصحابة ، وأغمضوا النظر عمّا صدر من بعضهم من الأعمال التي تتنافى مع روح الإسلام وهديه .

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ٢ : ١٨ ، نقله عن شرح النهج لابن أبي الحديد .

رأي الشيعة في الصحابة

وأجمعت الشيعة على تعظيم الصحابة وتبجيلهم، والإقرار لهم بالفضل، لأنّهم أبلوا البلاء الحسن في نصرة الدين، وممّا يدعم ذلك:

دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام

ومن أدعية الإمام زين العابدين، وإمام المتّقين للصحابة هذا الدعاء:

اللّٰهُمَّ وَأَصْحابُ مُحَمَّدٍ خاصَّةً الَّذينَ أَحْسَنُوا الصَّحابَةَ، وَالَّذينَ أَبْلَوُا الْبَلاءَ الْحَسَنَ في نَصْرِهِ، وَكانَفُوهُ وَأَسْرَعُوا إِلىٰ وِفادَتِهِ، وَسابَقُوا إِلىٰ دَعْوَتِهِ، وَاسْتَجابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حُجَّةَ رسالاتِهِ، وَفارَقُوا الْأَزْواجَ وَالْأَوْلادَ في إِظْهارِ كَلِمَتِهِ، وَقاتَلُوا الْآباءَ وَالْأَبْناءَ في تَثْبيتِ نُبُوَّتِهِ، وَانْتَصَرُوا بِهِ، وَمَنْ كانُوا مُنْطَوينَ عَلىٰ مَحَبَّتِهِ يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ في مَوَدَّتِهِ، وَالَّذينَ هَجَرَتْهُمُ الْعَشائِرُ إِذْ تَعَلَّقُوا بِعُرْوَتِهِ وَانْتَفَتْ مِنْهُمُ الْقَراباتُ إِذْ سَكَنُوا في ظِلِّ قَرابَتِهِ.

فَلا تَنْسَ لَهُمُ اللّٰهُمَّ ما تَرَكُوا لَكَ وَفيكَ، وَارْضِهِمْ مِنْ رِضْوانِكَ وَبِما حاشُوا الْخَلْقَ عَلَيْكَ وَكانُوا مَعَ رَسُولِكَ دُعاةً لَكَ إِلَيْكَ وَاشْكُرْهُمْ عَلىٰ هَجْرِهِمْ فيكَ دِيارَ قَوْمِهِمْ، وَخُرُوجِهِمْ مِنْ سَعَةِ الْمَعاشِ إِلىٰ ضيقِهِ، وَمَنْ كَثَّرْتَ في إِعْزازِ دينِكَ مِنْ مَظْلُومِهِمْ[١].

(١) الصحيفة السجّادية الجامعة: ٤٤، الدعاء ١٤.

إنّ دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام للصحابة ، وترحّمه عليهم لا يشمل المنافقين والمرتابين في دينهم ، الذين كادوا الرسول صلى الله عليه وآله في وضح النهار وفي غلس الليل ، وإنّما هو للمتّقين والصالحين والمتحرّجين في دينهم ، أمثال الصحابي العظيم عمّار بن ياسر ، والثائر على الظلم والطغيان أبي ذرّ الغفاري ، ونظرائهما من الصالحين الأخيار.

رأي السيّد علي خان

وللإمام السيّد عليّ خان المدني رأي أصيل في الصحابة يساير الفكر والمنطق .

قال رحمه الله :

« وحكم الصحابة عندنا في العدالة حكم غيرهم ، ولا يتحتّم الحكم بالإيمان والعدالة بمجرّد الصحبة ، ولا يحصل بها النجاة من عقاب النّار ، وغضب الجبّار ، إلّا أن يكون مع يقين الإيمان ، وخلوص الجنان ، فمن علمنا عدالته وإيمانه وحفظ وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته وأنّه مات على ذلك ، كسلمان الفارسي وأبي ذرّ وعمّار ، واليناه وتقرّبنا إلى الله بحبّه ، ومن علمنا أنّه انقلب على عقبه ، وأظهر العداوة لأهل البيت عاديناه وتبرّأنا منه ، ونسكت عن المجهول حاله »(١).

وهذا الرأي وثيق للغاية ، فإنّ الحبّ لخيار الصحابة إنّما هو حبّ الله تعالى وتقرّب إليه ، والبغض للمنحرفين والمنافقين إنّما هو بغض للباطل وتقرّب إليه ، والبغض للمنحرفين والمنافقين إنّما هو بغض للباطل ، وتقرّب إلى الله تعالى الذي أمر بمعاداة الباطل ومجافاة المنكر.

---

(١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة : ١١.

رأي الإمام شرف الدين

قال الإمام شرف الدين نضّر الله مثواه :

« إنّ من وقف على رأينا في الصحابة علم أنّه من أوسط الآراء؛ إذ لم نفرّط فيه تفريط الغلاة الذين كفّروهم جميعاً ، ولا أفرطنا إفراط الجمهور الذين وثّقوهم جميعاً ، فإنّ الكاهلية ومن كان في الغلوّ على شاكلتهم قالوا بكفر الصحابة كافّة ، وقال أهل السنّة بعدالة كلّ فرد ممّن سمع النبيّ أو رآه من المسلمين مطلقاً ، واحتجّوا بحديث « كلّ من دبّ ودرج منهم أجمعين أكتعين » .

أمّا نحن فإنّ الصحبة بمجرّدها وإن كانت عندنا فضيلة جليلة ، لكنّها بما هي من حيث هي غير عاصمة ، فالصحابة كغيرهم من الرجال فيهم العدول وهم عظماؤنا وعلماؤنا ، وفيهم البغاة ، وفيهم أهل الجرائم من المنافقين ، وفيهم مجهول الحال .

فنحن نحتجّ بعدولهم ونتولّاهم في الدنيا والآخرة .

أمّا البغاة على الوصيّ وأخي النبيّ ﷺ ، وسائر أهل الجرائم كابن هند ، وابن النابغة ، وابن الزرقاء ، وابن عقبة ، وابن أرطأة وأمثالهم ، فلاكرامة لهم ، ولا وزن لحديثهم ، ومجهول الحال نتوقّف فيه حتّى نتبيّن أمره .

هذا رأينا في حملة الحديث من الصحابة ، والكتاب والسنّة بيّنا هذا الرأي كما هو مفصّل في مظانّه من أُصول الفقه ، لكن الجمهور بالغوا في تقديس كلّ من يسمّونه صحابياً حتّى خرجوا عن الاعتدال ، فاحتجّوا بالغثّ منهم والسمين ، واقتدوا بكلّ مسلم سمع من النبيّ ﷺ أو رآه اقتداءً أعمى ، وأنكروا على من يخالفهم في هذا الغلو ، وخرجوا من الإنكار على كلّ حدّ من الحدود ، وما أشدّ إنكارهم علينا حتّى يروننا نردّ حديث كثير من الصحابة مصرّحين بجرحهم أو بكونهم مجهولي الحال

عملاً بالواجب الشرعي في تمحيص الحقائق الدينيّة ، والبحث عن الصحيح من الآثار النبويّة ، وبهذا ظنّوا بنا الظنون فاتّهمونا بما اتّهمونا رجماً بالغيب ، وتهافتاً على الجهل ، ولو ثابت إليهم أحلامهم ، ورجعوا إلى قواعد العلم لعلموا أنّ أصالة العدالة في الصحابة ممّا لا دليل عليها ، ولو تدبّروا القرآن الكريم لوجدوه مشحوناً بذكر المنافقين منهم ، وحسبك منه سورة التوبة والأحزاب »[١].

ويمثّل رأي الإمام شرف الدين عمق الفكر وأصالة الدليل ، فإنّ الشيعة لم تقف مع الصحابة موقفاً عاطفيّاً ، وإنّما اتّبعت فيهم المناهج العلميّة والأدلّة الشرعيّة ، فأكبرت وقدّست كلّ صحابي ساهم في بناء الإسلام ، وبقي صامداً أمام الأحداث الجسام التي ابتلي بها المسلمون وامتحنوا امتحاناً عسيراً ، كما لم تقم أي وزن لمن كان متّهماً في دينه ، كمروان بن الحكم ، وأبيه ، والوليد بن عقبة ـ الذي سمّاه الله فاسقاً ـ وذي الثدية ، وثعلبة بن حاطب ، وأمثالهم ممّن عادوا الله ورسوله ، وانحرفوا عن الإسلام[٢].

رأي عالم من الزيديّة

لعلّ من أروع ما كتب في هذا الموضوع أصالة وعمقاً ، استناداً لأوثق الأدلّة من الكتاب والسنّة ، هو ما أجاب به عالم كبير متضلّع في البحوث الإسلاميّة ألمع علماء الزيديّة ، قد بحث هذه المسألة من جميع جوانبها على ضوء الكتاب والسنّة ، وقد تصدّى في كلامه للردّ على الحسن البصري الذي توقّف في مؤاخذة وانتقاص مثيري حرب الجمل وصفّين ، ومن الخير أن نذكر رأي البصري وردّ الزيدي عليه .

---

(١) أجوبة مسائل جار الله : ١٦١.

(٢) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ٢ : ١١٦ و ١١٧.

رأي الحسن البصري

قال الحسن البصري حينما ذكرت عنده حرب الجمل وصفّين:

« تلك دماء طهّر الله منها أسيافنا، فلا نلطّخ بها ألسنتنا، ثمّ إنّ تلك الأحوال قد غابت عنّا، وبعُدت أخبارها على حقائقها، فلا يليق بنا أن نخوض فيها، ولو كان واحد من هؤلاء قد أخطأ لوجب أن يحفظ رسول الله ﷺ فيه، فمن المروءة أن يحفظ رسول الله ﷺ في عائشة زوجته، وفي الزبير ابن عمّته، وفي طلحة الذي وقاه بيده.

ثمّ ما الذي ألزمنا، وأوجب علينا أن نلعن أحداً من المسلمين، أو نبرأ منه، وأي ثواب في اللعنة والبراءة. إنّ الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلّف لِمَ لَمْ تلعن؟ بل يقول له: لِمَ لعنت؟

ولو أنّ إنساناً عاش عمره كلّه لم يلعن إبليس لم يكن عاصياً ولا آثماً، ولو جعل الإنسان عوض اللعنة استغفر الله كان خيراً له، ثمّ كيف يجوز للعامّة أن تدخل نفسها في أُمور الخاصّة؟ وأُولئك قوم كانوا أُمراء هذه الأُمّة وقادتها، ونحن اليوم في طبقة سافلة جدّاً عنهم، فكيف يحسن بنا التعرّض لذكرهم؟

أليس بقبيح من الرعيّة أن تخوض في دقائق أُمور الملك وأحواله وشؤونه التي ترى بينه وبين أهله وبني عمّه ونسائه وسراريه؟ وقد كان رسول الله ﷺ صهراً لمعاوية، وأُخته أُمّ حبيبة تحته، فالأدب أن تحفظ أُمّ حبيبة، وهي أُمّ المؤمنين في أخيها، وكيف يجوز أن يلعن من جعل بينه وبين رسول الله ﷺ مودّة.

أليس المفسّرون كلّهم قالوا: هذه الآية نزلت في أبي سفيان وهي قوله تعالى: ﴿ **عَسَى اللهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُم**

مَوَدَّةً﴾[١] وكان ذلك مصاهرة رسول الله ﷺ أبا سفيان وتزوّجه ابنته.. على أنّ جميع ما تنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاجرة لم يثبت، ولم يكن القوم إلّا كبني أُمّ واحدة، ولم يتكدّر باطن أحد منهم على صاحبه قطّ، ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع»، انتهى كلام البصري.

جواب العالم الزيدي

استمعوا واقرأوا بدقّة هذا الجواب الحاسم، قال ما نصّه:

«لولا أنّ الله تعالى أوجب معاداة أعدائه، كما أوجب موالاة أوليائه، وضيّق على المسلمين تركها، إذ دلّ العقل عليها، وأوضح الخبر عنها.

يقول سبحانه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[٤].

ولإجماع المسلمين على أنّ الله تعالى فرض عداوة أعدائه، وولاية

---

(١) الممتحنة ٦٠: ٧.

(٢) المجادلة ٥٨: ٢٢.

(٣) الممتحنة ٦٠: ١٣.

(٤) المائدة ٥: ٨١.

أوليائه ، وأنّ البغض في الله واجب ، والحبّ في الله واجب .. لما تعرّضنا لمعاداة أحد من النّاس في الدين ، ولا البراءة منه ، ولكانت عداوتنا للقوم تكلّفاً ، ولو قلنا : إنّ الله عزّ وجلّ يعذرنا إذا قلنا : يا ربّ ، غاب أمرهم عنّا فلم يكن لخوضنا في أمر غاب عنّا معنى لاعتمدنا على هذا العذر وواليناهم ، ولكنّا نخاف أن يقول سبحانه لنا : إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم فلم يغب عن قلوبكم وأسماعكم ، قد أتتكم به الأخبار الصحيحة التي بمثلها ألزمتم أنفسكم الإقرار بالنبيّ ﷺ ، وموالاة من صدّقه ، ومعاداة من عصاه وجحده ، وأمرتم بتدبّر القرآن ، وما جاء به الرسول ، فهلّا حذرتم من أن تكونوا من أهل هذه الآية القائلين غداً :

﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا ﴾[١] .

فأمّا لفظة اللعن فقد أمر الله بها وأوجبها ، ألا ترى قوله تعالى :

﴿ أُولَـٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾[٢] ، فهو إخبار معناه الأمر ، كقوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[٣] .

وقد لعن الله تعالى الغاصبين بقوله : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ ﴾[٤] .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

---

(١) الأحزاب ٣٣ : ٦٧.

(٢) البقرة ٢ : ١٥٩.

(٣) البقرة ٢ : ٢٢٨.

(٤) المائدة ٥ : ٧٨.

وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾[١].

وقوله : ﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴾[٢].

وقال الله لإبليس : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[٣].

وقال : ﴿ إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً ﴾[٤].

فأمّا قول من يقول : أي ثواب في اللعن ؟ وأنّ الله تعالى لا يقول للمكلّف : لِمَ لَمْ تلعن ؟ بل قد يقول له : لِمَ لعنت ؟ وأنّه لو جعل مكان لعن الله فلاناً اللّهمّ اغفر لي لكان خيراً له ، ولو أنّ إنساناً عاش عمره كلّه ولم يلعن إبليس لم يؤاخذ بذلك... فكلام جاهل لا يدري ما يقول : اللعن طاعة لله ، ويستحقّ عليها الثواب إذا فعلت على وجهها ، وهو أن يلعن مستحقّ اللعنة لله وفي الله ، لا في العصبة والهوى؛ لأنّ الشرع قد ورد بها في نفي الولد ، ونطق بها القرآن ، وهو أن يقول الزوج في الخامسة ﴿ أَنَّ لَعْنَتَ اللهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[٥].

فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفّظ عباده بهذه اللفظة لما جعلها من معالم الشرع ، ولما كرّرها في كثير من كتابه العزيز » .

ودعم كلامه بكثير من الحجج القاطعة ، وأضاف بعد ذلك يقول :

« وقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة ، منهم عائشة

---

(١) الأحزاب ٣٣ : ٥٧.
(٢) الأحزاب ٣٣ : ٦١.
(٣) سورة ص ٣٨ : ٧٨.
(٤) الأحزاب ٣٣ : ٦٤.
(٥) النور ٢٤ : ٧.

كانت تقول: اقتلوا نعثلاً[1] لعن الله نعثلاً، ومنهم عبدالله بن مسعود، وقد لعن معاوية عليّ بن أبي طالب، وابنيه حسناً وحسيناً وهم أحياء يرزقون في العراق، وهو يلعنهم في الشام على المنابر، ويقنت عليهم في الصلوات، وقد لعن أبو بكر وعمر سعد بن عبادة وهو حيّ، وبرئا منه، وأخرجاه من المدينة إلى الشام، ولعن عمر خالد بن الوليد لمّا قتل مالك بن نويرة، وما زال اللعن ماشياً في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضي اللعن والبراءة.

ولو كان حفظ شخص معتبراً من أجل أبيه لوجب أن يحفظ الصحابة في أولادهم فلا يلعنوا، فيجب أن لا يلعن عمر بن سعد قاتل الحسين من أجل أبيه سعد، ولا يلعن يزيد من أجل أبيه معاوية، ويزيد هو صاحب واقعة الحرّة، وقاتل الحسين، وأن يحفظ عمر بن الخطّاب في عبيدالله ابنه قاتل الهرمزان، والمحارب عليّاً في صفّين.

ولو كان الإمساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب محمّد رسول الله من حفظ رسول الله في أصحابه، ورعاية عهده وعقده لم نعادهم ولو ضربت رقابنا بالسيوف، ولكنّ محبّة رسول الله ﷺ لأصحابه ليست كمحبّة الجهّال الذين يضع أحدهم حجّته لصاحبه مع المعصية، وإنّما أوجب رسول الله محبّة أصحابه لطاعة الله، فإذا عصوا الله، وتركوا ما أوجب محبّتهم فليس عند رسول الله محاباة في ترك لزوم ما كان عليه في محبّتهم.

لقد كان رسول الله ﷺ يحبّ أن يعادي أعداء الله ولو كانوا عترته،

---

(١) تاريخ الطبري: ٤: ٤٥٩. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٠٦. النهاية لابن الأثير: ٥: ٨٠. تذكرة الخواص: ٦٤ ـ ٦٦. الفتوح: ٢: ٢٤٩ ـ ٢٥٥.

كما يحبّ أن يوالي أولياء الله ولو كانوا أبعد الخلق نسباً منه ، والشاهد على ذلك إجماع الأُمّة على أنّ الله تعالى أوجب عداوة من ارتدّ بعد الإسلام ، وعداوة من نافق ، وإن كان من أصحاب رسول الله ، وإنّ رسول الله هو الذي أمر بذلك ودعا إليه ، فقد أوجب قطع يد السارق ، وضرب القاذف ، وجلد البكر إذا زنت ، وإن كان من المهاجرين والأنصار.

ألا ترى أنّه قال : **لَوْ سَرَقَتْ فاطِمَةُ لَقَطَعْتُ يَدَها** وهي ابنته الجارية مجرى نفسه ، لم يحابها في دين الله ، ولا راقبها في حدود الله ، وجلد أصحاب الإفك وفيهم مسطح بن أُثاثة ، وكان من أهل بدر ، فلو كان محلّ أصحاب رسول الله ﷺ أن لا يعادون إذا عصوا الله ولا يذكرون بالقبيح لأجل اسم الصحبة لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثناءه في القرآن لمّا اتّبع هواه فانسلخ عمّا أُوتي من الآيات . قال سبحانه : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾(١).

ولكان ينبغي أن يكون محلّ عبدة العجل من أصحاب موسى عليه السلام هذا المحل؛ لأنّ هؤلاء كلّهم قد صحبوا موسى رسولاً جليلاً من رسل الله تعالى ، ولو كانت الصحابة تعرف هذه المنزلة لالتزمت به ، مع أنّ الأمر على خلاف ذلك.

فهذا عليّ وعمّار وأبو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت وجميع من كان مع عليّ من المهاجرين والأنصار لم يروا ذلك ، فلم يتغافلوا عن طلحة والزبير حتّى فعلوا بهما وبمن معهما ما يفعل بالشراة في

---

(١) الأعراف ٧: ١٧٥.

عصرنا ، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن عليّ حتّى قصدوا له وحاربوه . وهذا معاوية وعمرو لم يريا عليّاً بالعين التي يرى بها العامّي صديقه أو جاره ، ولم يقصّرا دون ضرب وجهه بالسيف ، ولعنه ولعن أولاده ، وكلّ من كان حيّاً من أهله ، وقتل أصحابه ، وقد لعنهما هو أيضاً في الصلاة المفروضة ، ولعن معهما أبا الأعور السلمي وأبا موسى الأشعري ، وكلاهما من الصحابة .

وهذا سعد بن أبي وقّاص ومحمّد بن مسلمة وأُسامة بن زيد وسعد بن عمرو بن نفيل وعبدالله بن عمر ، وحسّان بن ثابت وأنس بن مالك لم يروا أن يقلّدوا عليّاً في حرب طلحة ، ولا طلحة في حرب عليّ ، وطلحة والزبير بإجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين؛ لأنّهم زعموا أنّهم قد خافوا أن يكون عليّ قد غلط وزلّ في حربهما ، وخافا أن يكونا قد زلّا وغلطا في حرب عليّ .

وهذا عثمان قد نفى أبا ذرّ إلى الربذة كما يفعل بأهل الخنا والريب .

وهذا عمّار وابن مسعود تلقّيا عثمان بما تلقّياه به لما ظهر لهما بزعمهما منه ما وعظاه لأجله ، ثمّ فعل عثمان ما تناهى إليكم ، ثمّ فعل القوم بعثمان ما قد علمتم وعلم النّاس كلّهم .

وهذا عمر يقول في قصّة الزبير بن العوّام لمّا استأذنه في الغزو : إنّي ممسك بباب هذا الشّعب أن يتفرّق أصحاب محمّد في النّاس فيضلّوهم .. ولا أنكر النّاس على عمر هذا القول ولا أنكروا على عثمان دوس بطن عمّار ، ولا كسر ضلع ابن مسعود ، ولا على عمّار وابن مسعود ما تلقّيا به عثمان كإنكار العامّة اليوم الخوض في حديث

الصحابة ، ولا اعتقدت الصحابة في أنفسها ما تعتقده العامّة فيها ، اللّهمّ إلّا أن يزعموا أنّهم أعرف بحقّ القوم منهم .

وهذا عليّ والعبّاس ما زالا على كلمة واحدة يكذّبان الرواية « نحن معاشر الأنبياء لا نورّث » ويقولان : إنّها مختلقة ، قالا : وكيف كان النبيّ ﷺ يعرّف هذا الحكم غيرنا ويكتمه عنّا ونحن الورثة ، ونحن أوْلى النّاس بأن يؤدّي هذا الحكم إلينا .

وهذا عمر بن الخطّاب يشهد لأهل الشورى أنّهم النفر الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، ثمّ يأمر بضرب أعناقهم إن أخّروا فصل حال الإمامة بعد أن ثلبهم ، وقال في حقّهم ما لو سمعه العامّة اليوم من قائل لوضعت ثوبه في عنقه سحباً إلى السلطان ، ثمّ شهدت عليه بالرفض واستحلّت دمه ، فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضاً فعمر بن الخطّاب أرفض النّاس ، وإمام الروافض كلّهم ، وقد شاع واشتهر قول عمر : «كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها ، فمن عاد لمثلها فاقتلوه » ، وهذا طعن في العقد وقدح في البيعة الأصليّة .

ثمّ ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في خلواته قوله عن عبدالرحمن ابنه : « إنّه دويبة سوء ، وهو خير من أبيه » ، ثمّ عمر القائل في سعد بن عبادة وهو رئيس الأنصار وسيّدها : « اقتلوا سعداً ، قتل الله سعداً ، اقتلوه فإنّه منافق » ، وقد شتم أبا هريرة وطعن في روايته ، وشتم خالد بن الوليد ، وطعن في دينه ، وحكم بفسقه ، وبوجوب قتله ، وخوّن عمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ونسبهما إلى سرقة مال الفيء واقتطاعه ، وكان سريعاً إلى المسألة ،كثير الجبه والشتم والسبّ لكلّ أحد ، وقلّ أن يكون في الصحابة من سلم من معرّة لسانه ويده ،

ولذلك أبغضوه ، وملّوا أيّامه مع كثرة الفتوح فيها ، فهلّا احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامّة ، أمّا أن يكون عمر مخطئاً ، وأمّا أن تكون العامّة على خطأ .

إنّ عرضنا الذي يجري بكلامنا أن نوضّح أنّ الصحابة قوم من النّاس لهم ما للنّاس ، وعليهم ما عليهم ، من أساء منهم ذممناه ، ومن أحسن منهم حمدناه ، وليس لهم على غيرهم من المسلمين كثير فضل إلّا بمشاهدة الرسول ﷺ ومعاصرته لا غير ، بل ربّما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم؛ لأنّهم شاهدوا الأعلام والمعجزات ، وقد قرب اعتقادهم من الضرورة ، ونحن لم نشاهد ذلك ، فكانت عقائدنا محض النظر والفكر ، وهي معرّضة للشكوك والشبه ، فمعاصينا أخفّ لأنّنا أعذر .

ثمّ نعود إلى ما كنّا فيه فنقول : هذه عائشة أُمّ المؤمنين خرجت بقميص رسول الله ﷺ وهي تقول : هذا قميص رسول الله ﷺ لم يبل ، وعثمان قد أبلى سنّته . اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً » ، ثمّ لم ترض بذلك حتّى قالت : أشهد أنّ عثمان جيفة على الصراط غداً .. فمن النّاس من يقول : روت بذلك خبراً ، ومن النّاس من يقول : موقوف عليها ، وبدون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامّة زنديقاً ، ثمّ قد حصر عثمان ، حصره أعيان الصحابة ، فما كان أحد ينكر ذلك ولا يعظّمه ، ولا يسعى في إزالته ، وإنّما أنكر على المحاصرين رجل كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله ﷺ ، ثمّ من أشرافهم ، ثمّ أقرب إليه من أبي بكر وعمر ، وهو مع ذلك إمام المسلمين ، والمختار منهم للخلافة ، وهو الإمام عليّ .

فإن كان القوم قد أصابوا فإذن ليست الصحابة في الموضع الذي

وضعتهم به العامّة ، وإن كان ما أصابوا فهذا هو الذي نقول : من أنّ الخطأ جائز على آحاد الصحابة كما يجوز على آحادنا ، ولسنا نقدح في الإجماع ولسنا ندّعي إجماعاً حقيقيّاً على قتل عثمان ، وإنّما نقول : إنّ كثيراً من المسلمين فعلوا ذلك ، والخصم يسلّم أنّ ذلك كان خطأً ومعصية ، فقد سلّم أنّ الصحابي يجوز أن يخطئ ويعصي وهو المطلوب .

وهذا المغيرة بن شعبة ، وهو من الصحابة ، ادّعي عليه الزنا ، وشهد عليه قوم بذلك ، فلم ينكر ذلك عمر ، ولا قال : هذا محال وباطل؛ لأنّ هذا صحابي من صحابة رسول الله ﷺ ولا يجوز عليه الزنا ، وهلّا أنكر عمر على الشهود ، وقال لهم : ويحكم ! هلّا تغافلتم عنه ، فإنّ الله قد أوجب الإمساك عن مساوئ أصحاب رسول الله ﷺ وأوجب الستر عليهم ، وهلّا تركتموه لرسول الله ﷺ في قوله : « **دَعُوا إِلَيَّ أَصْحابي** » ما رأينا عمر إلّا قد انصت لسماع الدعوى ، وإقامة الشهادة ، وأقبل يقول : « يا مغيرة ، ذهب ربعك ، ذهب نصفك . يا مغيرة ، ذهب ثلاثة أرباعك حتّى اضطرب الرابع فجلد الثلاثة ، وهلّا قال المغيرة لعمر : «كيف تسمع قول هؤلاء ، وليسوا من الصحابة ، وأنا من الصحابة ، ورسول الله ﷺ قد قال : « أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم » ، ما رأيناه قال ذلك ، بل استسلم لحكم الله تعالى .

وهاهنا من هو أمثل من المغيرة وأفضل : قدامة بن مظعون لمّا شرب الخمر في أيّام عمر ، فأقام عليه الحدّ ، وهو رجل من علية الصحابة ومن أهل بدر المشهود لهم بالجنّة ، فلم يردّ عمر الشهادة ، ولا درأ عنه الحدّ لعلمه أنّه بدري ، ولا قال : نهى رسول الله عن ذكر مساوئ أصحابه .

وقد ضرب عمر أيضاً ابنه الحدّ فمات، وكان ممّن عاصر رسول الله، ولم تمنعه معاصرته له من إقامة الحدّ عليه.. وهذا عليّ عليه السلام قال: «**ما حَدَّثَني أَحَدٌ بِحَديثٍ عَنْ رَسولِ اللهِ إِلَّا اسْتَحْلَفْتُهُ عَلَيْهِ**».

أليس هذا اتّهاماً لهم بالكذب، وما استثنى أحداً من المسلمين إلّا أبا بكر ـ على ما ورد في الخبر ـ وقد صرّح غير مرّة بتكذيب أبي هريرة.

وقال: «**لَا أَحَدٌ أَكْذَبُ مِنْ هذا الدُّوسِيُّ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله**»، وقال أبو بكر في مرضه الذي توفّي فيه: «وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة ولو كان أغلق على حرب»، فندم والندم لا يكون إلّا عن ذنب، ثمّ ينبغي للعاقل أن يفكّر في تأخّر عليّ عن بيعة أبي بكر ستّة أشهر إلى أن ماتت فاطمة سلام الله عليها، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في اغتصابه للخلافة، وإن كان مصيباً فعليّ على الخطأ في تأخّره عن البيعة وحضور المسجد.

وقال أبو بكر في مرضه للصحابة: «فلمّا استخلفت عليكم خيركم في نفسي ـ يعني عمر ـ فكلّكم ورم أنفه، يريد أن يكون الأمر له، لما رأيتم الدنيا قد جاءت، أما والله لتتّخذن ستائر الديباج ونضائد الحرير.. أليس هذا طعناً في الصحابة وتصريحاً بنسبتهم إلى الحسد لعمر لمّا نصّ عليه بالعهد، وقال له طلحة لما ذكر عمر للأمر: «ماذا تقول لربّك إذا سألك عن عباده، وقد ولّيت عليهم فظّاً غليظاً»، فقال أبو بكر: «اجلسوني أبالله تخوّفني إذا سألني قلت ولّيت عليهم خير أهلي»، ثمّ شتمه، واتّهمه بكلام كثير منقول، فهل قول طلحة إلّا طعن في عمر، وهل قول أبي بكر إلّا طعن في طلحة».

ويستعرض العالم الزيدي إلى تأييد ما ذهب إليه بكثير من الأحداث التاريخيّة

التي عرضت لطعن بعض الصحابة لبعضهم وتجريحهم لبعض منهم ، الأمر الذي يدلّ بوضوح على ضحالة ما قيل من عدالة الصحابة أجمعين أكتعين ، وأضاف الزيدي قائلاً :

« وكيف يصحّ أن يقول رسول الله ﷺ : أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم ، ولا شبهة أنّ هذا يوجب أن أهل الشام وصفّين على هدى ، وأن يكون أهل العراق أيضاً على هدى ، وأن يكون قاتل عمّار بن ياسر مهتدياً ، وقد صحّ الخبر الصحيح أنّه ﷺ قال له : « **تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ** » .

وقال الله في القرآن : ﴿ **فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ** ﴾[١] ، ومن يفارق أمر الله تعالى لا يكون مهتدياً ، وكان يجب أن يكون بسر بن أرطاة الذي ذبح ولدي عبيدالله بن العبّاس الصغيرين مهتدياً؛ لأنّ بسراً من الصحابة ، وكان يجب أن يكون عمرو بن العاص ومعاوية اللذين كانا يلعنان عليّاً في أدبار الصلاة وولديه مهتديين ، وقد شذّ بعض الصحابة فشرب الخمر وزنى كابن محجن الثقفي ، فمن اقتدى به يكون مهتدياً ، ولا شبهة أنّ هذا الحديث موضوع من موضوعات العصابة الأمويّة التي نصرت الأمويّين بوضعها للأحاديث » .

وذكر الزيدي بعض الأحاديث الموضوعة ثمّ قال :

« فأمّا ما ورد في القرآن من قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[٢] .

---

(١) الحجرات : ٤٩ : ٩.

(٢) الفتح ٤٨ : ١٨.

وقوله سبحانه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾[(١)].

وقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ الله اطّلع على أهل بدر» إن كان الخبر صحيحاً، فإنّه مشروط بسلامة العاقبة، ولا يجوز أن يجبر الحكيم مكلّفاً غير معصوم بأن لا عقاب له فليفعل ما شاء.

ومن أنصف وتأمّل أحوال الصحابة وجدهم مثلنا يجوز عليهم ما يجوز علينا، ولا فرق بيننا وبينهم إلّا الصحبة لا غير، فإنّ لها منزلة وشرفاً، ولكن لا إلى أحد يمتنع على كلّ من رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه يوماً أو شهراً أو أكثر من ذلك أن لا يخطئ ويزلّ».

وأضاف الزيدي قائلاً:

«ومن الذي يجترئ على القول بأنّ أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله لا تجوز البراءة من أحدهم وإن أساء وعصى بعد قول الله تعالى لنبيّه: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[(٢)].

وبعد قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[(٣)].

وبعد قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾[(٤)][(٥)].

---

(١) الفتح ٤٨: ٢٩.

(٢) الزمر ٣٩: ٦٥.

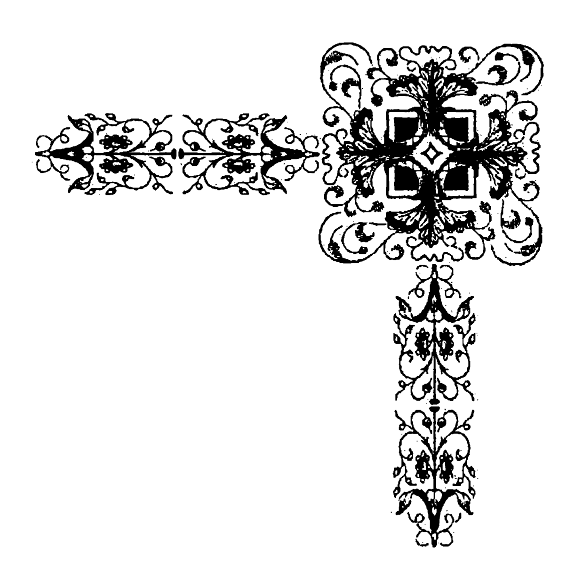
(٣) الأنعام ٦: ١٥.

(٤) سورة ص ٣٨: ٢٦.

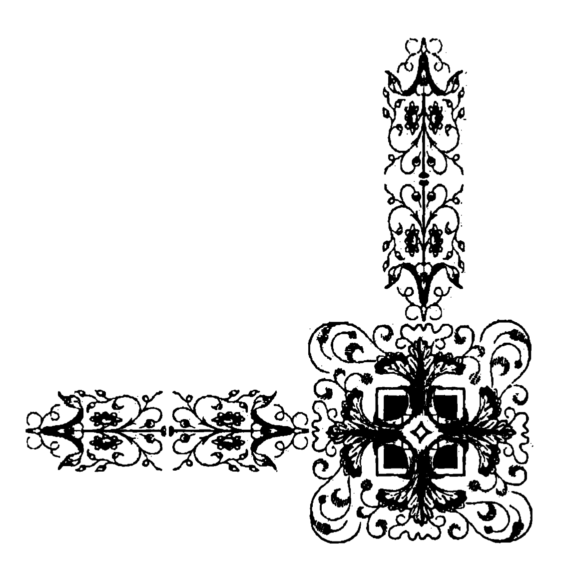
(٥) الدرجات الرفيعة: ١١ ـ ٣٢.

ثمّ ذكر العالم الزيدي الكثير من الأدلّة على ما ذهب إليه من أنّ الصحابة كبقيّة المسلمين يصيبون ويخطئون ، وفيهم العدول والمجروحين ، وأنّ الحكم بعدالة جميعهم لا تساعد عليه الأدلّة العلميّة ، والوثائق التاريخيّة ، وبحثه في هذا الموضوع بحث علمي ودقيق ، وقد عرضته على سماحة شيخنا المعظّم آية الله الشيخ محمّد طاهر آل الشيخ راضي فأكبره وأثنى عليه ، وأطرى على أدلّته .

وعلى أي حال ، فرأي الشيعة في الصحابة يتّسم بالواقعيّة وعدم التحيّز ، ولا علاقة له مطلقاً بالطائفيّة . كما أنّ عرض هذا البحث ليس فيه حسّاسيّة ولا إثارة لنعرة طائفيّة ، وإنّما كان بحثاً علميّاً لا نبتغي فيه إلّا إنارة الفكر ، والتدليل على أصالة ما تذهب إليه الشيعة في هذا الموضوع .



أدوار رهيبة



إنّ الأعياد الإسلاميّة التي يفرح بها المسلمون كعيد الفطر والأضحى قد عادت مأتماً على أهل البيت عليهم السلام وأحزاناً، وذلك لشدّة ما لاقوه من حكّام عصورهم من القتل والسجن والتنكيل.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «**وَقُتِلَتْ شيعَتُنا بِكُلِّ بَلْدَةٍ، وَقُطِعَتِ الْأَيْدي وَالْأَرْجُلُ عَلَى الظِّنَّةِ، وَكانَ مَنْ يُذْكَرُ بِحُبِّنا وَالْإِنْقطاعِ إِلَيْنا سُجِنَ، أَوْ نُهِبَ مالُهُ، أَوْ هُدِّمَتْ دارُهُ**»[١].

وصوّر الطغرائي في هذه الأبيات الرقيقة مدى محنة الشيعة يقول:

حُبُّ اليَهودِ لآلِ مُوسىٰ ظاهِرٌ ... وَوَلاؤُهُمْ لِبَني أَخيهِ بادِي
وَإِمامُهُمْ مِنْ نَسْلِ هارونَ الأُوْلىٰ ... بِهِمْ اهْتَدَوا وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادِ
وَكَذا النَّصارىٰ يُكرِمونَ مَحَبَّةً ... لِنَبِيِّهِمْ نَجْراً مِنَ الأَعْوادِ
وَمَتىٰ تَوَلّىٰ آلَ أَحْمَدَ مُسْلِمٌ ... قَتَلوهُ أَوْ وَصَموهُ بِالإِلْحادِ
هٰذا هُوَ الدّاءُ العُضالُ لِمِثْلِهِ ... ضَلَّتْ عُقولُ حَواضِرٍ وَبَوادِ
لَمْ يَحفَظوا حَقَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... فِي آلِهِ وَاللهُ بِالْمِرْصادِ[٢]

يعرض الطغرائي إلى ولاء اليهود وحبّهم العارم لأعقاب نبيّهم موسى وأعقاب أخيه هارون عليهما السلام، وكذلك تقديس النصارى وموالاتهم كلّ مَن اتّصل بنبيّهم السيّد

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١: ٤٣.

(٢) الروض الأزهر: ٣٥٩.

المسيح عليه السلام ، حتّى أنّهم يقدّسون الأعواد التي جلس عليها وغيرها ، وأمّا المسلمون فهم على العكس من ذلك ، فقد تتبّعوا ذرّيّة نبيّهم ، ومن أحبّهم ، فأمعنوا في قتلهم وتعذيبهم ومطاردتهم .

وصوّر شاعر آخر ما عانته شيعة أهل البيت عليهم السلام من التنكيل ، يقول :

إنَّ الْــيَهودَ بِــحُبِّها لِـنَبِيِّها ... أَمِـنَتْ مَـعَرَّةَ دَهْـرِها الخَـوّانِ
وَذَوو الصَّليبِ بِحُبِّ عِيسىٰ أَصْبَحوا ... يَـمْشونَ زَهْـواً فـي قُـرىٰ نَـجْرانِ
وَالْـمُؤْمِنونَ بِـحُبِّ آلِ مُـحَمَّدٍ ... يُـرْمَونَ فـي الآفـاقِ بِـالنِّيرانِ(١)

وحكت هذه الأبيات ما تتمتّع به النصارى واليهود ، بل وغيرهم من بقيّة الأديان من الأمن والطمأنينة ، أمّا الذين يوالون آل محمّد صلى الله عليه وآله ، فإنّهم يعانون أشقّ ألوان العذاب وأقساه وأمرّه .

وروى المؤرّخون أنّ الفضل بن دكين كان يتشيّع فجاءته ابنته وهي تبكي ، فقال لها : ما لك ؟

- يا أبتي ، إنّ الناس يقولون إنّك تتشيّع ؟

فأجابه الفضل :

وَمــا زالَ كِـتْمانيكَ حَـتّىٰ كَـأَنَّني ... بِرَجعِ جَـوابِ السّائِلي عَـنْكَ أَعْـجَمُ
لِأَسـلَمَ مِـنْ قَـولِ الوُشـاةِ وَتَسـلَمي ... سَلِمْتِ وَهَلْ حَيٌّ عَلَى النّاسِ يَسلَمُ(٢)

لقد كان الاتّهام بالتشيّع في العصر الأموي ممّا يستوجب النقمة والبطش من المسؤولين ، فقد روى المؤرّخون أنّ الاتّهام بالكفر والزندقة والمروق من الدين أهون من الاتّهام بالتشيّع ، وبلغ الأمر أنّ مَن يسلّم من العلويّين على شخص يعرّضه

---

(١) روضة الواعظين : ٢٥١ . النصائح الكافية : ١١٨ .

(٢) تاريخ بغداد : ١٢ : ٣٥١ .

إلى التنكيل والبطش من قِبل السلطة ، ويحدّثنا الرواة أنّ إبراهيم بن هرثمة دخل المدينة ، فأتاه علويّ فسلّم عليه ، فقال له إبراهيم : تنحّ عنّي لا تشط بدمي[١] .

وبلغ من عداء الأمويّين للعلويّين أنّهم عهدوا إلى ولاتهم وعمّالهم بقتل كلّ مولود يسمّى عليّاً ، ومن طريف ما ينقل أنّ عليّ بن رباح لمّا سمع ذلك خاف من القتل ، وجعل يقول : لا أجعل في حلّ من سمّاني عليّاً ، فإنّ اسمي عُليّ -بضمّ العين-[٢] .

لقد كانت محنة الشيعة في العصر الأموي شاقّة وعسيرة ، فقد واجهت أعنف المشاكل وأقساها ، وكذلك واجهت الدور نفسه في العصر العبّاسي ، ومن تلك الصور المفجعة أنّه إذا أراد شخص الكيد لأحد والانتقام منه دسّ إليه مَن يرميه بالتشيّع ، فتصادر أملاكه ، وتنهال عليه العقوبات حتّى يظهر البراءة من الرفض[٣] .

وعلى أي حال ، فقد أمعنت السلطات الحاكمة في العصر الأموي والعبّاسى في قتل شيعة أهل البيت والتنكيل بهم ، فزياد بن أبيه تتبّع الأبرار من الشيعة فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر ، فقطع أرجلهم وأيديهم ، وسمل عيونهم ، وصلبهم على جذوع النخل .

والسفّاح الإرهابي الحجّاج بن يوسف الممسوخ قتل في أيّام حكمه من الشيعة مائة وعشرون ألفاً ، وتوفّي وفي سجونه خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة ، منهنّ ستّة عشر ألف امرأة عارية مجرّدة من الثياب .

وقال فيه عمر بن عبدالعزيز :

« لو جاءت كلّ اُمّة بخبيثها ، وجئنا بالحجّاج لغلبناهم »[٤] .

---

(١) تاريخ بغداد : ٦ : ١٢٧ .

(٢) تهذيب التهذيب : ٧ : ٣١٩ .

(٣) الدرر الكامنة : ٢ : ٤٣ .

(٤) نهاية الإرب : ٢١ : ٣٣٤ . تاريخ مدينة دمشق : ١٢ : ١٨٥ .

وفي العصور المتأخّرة واجهت الشيعة أعنف المشاكل وأقسى الضربات ، فقد أشاع المجرم السلطان سليم القتل في شيعه أهل البيت بواسطة فتوى أحد فقهاء الضلال والفساد(١).

ويقول الإمام شرف الدين :

« إنّ الشيخ نوح الحنفي أفتى بكفر الشيعة ووجوب قتلهم ، فقُتل من جرّاء ذلك عشرات الأُلوف من شيعة حلب وغيرهم ، وتشرّد مَن سلم من شيعة حلب حتّى لم يبق بها شيعي واحد ، وكان التشيّع فيها راسخاً ومنتشراً »(٢).

وفي أيّام السلطان بيبرس سنة ٦٦٥هـ صدرت أوامره باتّباع المذاهب السنّيّة الأربعة ، وتحريم ما عداها ، كما صدرت أوامره بأن لا يولّى قاض ، ولا تقبل شهادة شاهد ، ولا يرشّح لوظيفة الخطابة أو الإمامة إلّا مَن كان مقلّداً لإحدى تلك المذاهب(٣).

وعلى أي حال ، فقد أمعن الحكّام الظالمون باضطهاد الشيعة والتنكيل بهم لأنّهم كانوا الجبهة المعارضة لسياستهم التي ليس فيها بصيص من العدل والحقّ .

الالتجاء إلى التقيّة

ولمّا أمعنت السلطات الأمويّة والعبّاسيّة في ظلم الشيعة وتصفيتهم جسديّاً ومصادرة أموالهم ، فقد شرع أئمّة الهدى عليهم السلام التقيّة ، وألزموا بها شيعتهم ، أمّا تعريف التقيّة فهي : « كتمان الحقّ ، وستر الاعتقاد ، ومكاتمة المخالفين ، وترك مظاهرتهم

---

(١) البلاد العربيّة والدولة العثمانيّة : ٤٠.

(٢) الشيعة والحاكمون : ١٨٧.

(٣) خطط المقريزي : ٤: ٣٤٤.

بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا »[١].

وعرّفها ابن حجر : « ومعنى التقيّة الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير »[٢].

وعرّفها الشيخ الأنصاري ﷺ : « الحفظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل مخالف للحقّ »[٣].

لقد شرّع أئمّة الشيعة التقيّة ، وألزموا بها شيعتهم حفظاً على دمائهم التي استحلّها أُولئك الجلّادون الذين تجرّدوا عن روح الإنسانيّة والإساءة إلى الناس ، ولولا التقيّة لما بقي للشيعة اسم ولا رسم نظراً لقسوة العذاب الذي لاقوه في تلك العهود السود .

لقد شدّد الأئمّة الطاهرون على شيعتهم بكتمان مودّتهم وإخفاء عقيدتهم حفظاً لدمائهم وإبقاءاً على وجودهم ، وكان ممّن ألزم من الأئمّة بالتقيّة الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام ، فقد أعلن أمام شيعته : « **لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ** »[٤].

وعنه عليه السلام أيضاً : « **التَّقِيَّةُ دِينِي وَدِينُ آبَائِي ، وَلَا إِيْمانَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ** »[٥].

ومن المؤكّد أنّه لولا هذه الخطّة الحكيمة لذهب ذكر أهل البيت عليهم السلام وانطمس مذهبهم ، وما بقي لهم اسم على وجه الأرض ، فقد جهدت الحكومة الأمويّة والعبّاسيّة على إزالة آثار أهل البيت ومحو ذكرهم ، وإطفاء نورهم .

يقول الشيخ الطوسي ﷺ :

« ولم تلق فرقة ولا بلي مذهب بما بليت به الشيعة من التتبّع والقصد ،

---

(١) تصحيح الاعتقاد : ١٣٦ .

(٢) فتح الباري لابن حجر : ١٢ : ٢٧٩ .

(٣) التقيّة للشيخ الأنصاري ﷺ : ٣٧ .

(٤) وسائل الشيعة : ١١ : ٢٤ ، الحديث ٢١٣٧٣ .

(٥) وسائل الشيعة : ١٦ : ٢٠٤ ، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الحديث ١١٣٥٩ .

وظهور كلمة أهل الخلاف ، حتّى لا نكاد نعرف زماناً تقدّم سلمت فيه الشيعة من الخوف ولزوم التقيّة ، ولا حالاً عريت فيه من قصد السلطان وعصبته وميله وانحرافه »[١].

إنّ التجاء الشيعة إلى التقيّة ، والتزامهم في تلك العصور بإخفاء عقائدهم إنّما هو دليل على مدى النضوج الفكري عندهم ، فقد حفظوا أرواحهم وعقائدهم من خصومهم الممسوخين الذين لا يخافون الله ، ولا حريجة لهم في استحلال دماء المسلمين وأموالهم .

وقد بالغ خصومهم في نقدهم والتزامهم بهذه الظاهرة ، إلّا أنّ نقدهم لم يكن موضوعيّاً ، ولا متّفقاً مع الأُصول الشرعيّة التي ألزمت بالتقيّة عند خوف الضرر ، ولا حزازة عليهم في ذلك .

---

(١) تلخيص الشافي : ١ : ٥٩ .

رسالة الخوارزمي لأهالي نيسابور

ويجدر بنا أن نذكر رسالة أبي بكر الخوارزمي التي بعثها إلى أهالي نيسابور يعزّيهم فيها على ما جرى عليهم من الظلم والجور لتشيّعهم ، وقد حكت هذه الرسالة بصدق وأمانة المظالم الفظيعة التي عانتها الشيعة منذ أقدم العصور.

وهذه بعض فصولها :

سمعتم أرشد الله سعيكم ، وجمع على التقوى أمركم ، ما تكلّم به السلطان الذي لا يتحامل إلّا على العدل ، ولا يميل إلّا على جانب الفضل ، ولا يبالي أن يمزّق دينه إذا رقا دنياه ، ولا يفكّر أن يقدّم رضا الله إذا وجد رضاه.

وأنتم ونحن أصلحنا الله وإيّاكم عصابة لم يرض الله لنا الدنيا ، فذخرنا أخّرنا للدار الآخرة ، ورغب بنا عن ثواب العاجل ، فأعدّ لنا ثواب الآجل ، وقسّمنا قسمين : قسم مات شهيداً ، وقسم عاش شريداً ، فالحيّ يحسد الميّت على ما صار إليه ، ولا يرغب بنفسه عمّا جرى عليه . قال أمير المؤمنين ويعسوب الدين : **الْمِحَنُ إِلىٰ شيعَتِنا أَسْرَعُ مِنَ الْماءِ إلى الْحَدورِ**.

وهذه مقالة أُسّست على المحن ، وولد أهلها في طالع الهزاهز والفتن ، فحياة أهلها نغص ، وقلوبهم حشوها غصص ، والأيّام عليهم متحاملة ، والدنيا عنهم مائلة ، فإذا كنّا شيعة أئمّتنا في الفرائض والسنن ، ومتّبعي آثارهم في كلّ قبيح وحسن ، فينبغي أن نتّبع آثارهم في المحن.

وحكى هذا المقطع ما تعانيه شيعة أهل البيت عليهم السلام من صنوف البلاء والمحن من حكّام الجور، وأنّ الله تعالى ادّخر لهم أعظم المنازل في الدار الآخرة.

واستمرّ أبو بكر الخوارزمي في رسالته قائلاً:

وغصبت سيّدتنا فاطمة صلوات الله عليها وعلى آلها ميراث أبيها صلوات الله عليه وعلى آله يوم السقيفة، وأُخّر أمير المؤمنين عن الخلافة، وسُمّ الحسن سلام الله عليه سرّاً، وقُتل أخوه كرّم الله وجهه جهراً، وصُلب زيد بن عليّ بالكناسة، وقُطع رأس زيد بن عليّ في المعركة[1]، وقتل ابناه محمّد وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العبّاسي، وقُتل موسى بن جعفر في حبس هارون، وسُمّ عليّ بن موسى بيد المأمون، وهُزم إدريس بفخّ حتّى وقع إلى الأندلس، وقُتل يحيى بن عبدالله بعد الأمان والأيمان، وبعد تأكيد العهود والضمان.

عرض الخوارزمي في هذا المقطع إلى المآسي التي حلّت بأهل بيت النبوّة عليهم السلام، وكان من أفجعها ما جرى على زهراء الرسول عليها السلام من المحن والخطوب من منعها من ميراث أبيها، وإقصاء زوجها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلافة.

ومن المآسي سُمّ الإمام الحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته، وإبادة العترة الطاهرة على صعيد كربلاء، إلى غير ذلك من الخطوب التي حلّت بالعترة الطاهرة.

ويمضي الخوارزمي في تعداد ما جرى على آل البيت من الظلم، فيقول:

هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلويّة طبرستان، وغير قتل محمّد بن زيد، والحسن بن القاسم الداعي على أيدي آل ساسان، وغير ما صنعه أبو الساج في علويّة المدينة حملهم بلا غطاء ولا وطاء

(١) احتزّ رأس الشهيد الخالد زيد بعدما أُخرج من قبره وصُلب.

من الحجاز إلى سامرّاء، وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلي لابن عمر بن عليّ حين أخذه بأبويه، وقد ستر نفسه، ووارى شخصه، يصانع حياته، ويدافع وفاته، ولا كما فعل الحسين بن إسماعيل المصعبي بيحيى بن عمر الزيدي خاصّة، وما فعله مزاحم بن خاقان بعلويّة الكوفة كافّة، وبحسبكم أنّه ليس في بيضة الإسلام بلدة إلّا وفيها قتيل طالبي تربه تشارك في قتلهم الأموي والعبّاسي، وأطبق عليهم العدناني والقحطاني:

فَلَيْسَ حَيٌّ مِنَ الأَحْياءِ نَعرِفُهُ ... مِنْ ذي يَمانٍ وَمِنْ بَكرٍ وَمِنْ مُضَرِ

إلّا وَهُمْ شُرَكاءٌ في دِمائِهِمُ ... كَما تَشارَكَ أَيْسارٌ عَلىٰ جَزَرِ

وحكت هذه الكلمات ما عاناه السادة العلويّون من صنوف القتل من الأمويّين والعبّاسيّين.

ويستمرّ الخوارزمي في ذكر النكبات التي لاقتها الشيعة وأسيادهم العلويّون:

قادتهم ـ أي العلويّين ـ الحميّة إلى المنيّة، وكرهوا عيش الذلّة، فماتوا موت العزّة، ووثقوا بما لهم في الدار الباقية، فسخت نفوسهم من هذه الدار الفانية، ثمّ لم يشربوا كأساً من الموت إلّا شربها شيعتهم وأولياؤهم، ولا قاسوا لوناً من الشدائد إلّا قاساه أنصارهم وأتباعهم.

وحكت هذه الجمل عزّة العلويّين وكرامتهم، فقد أبوا أن يعيشوا أذلّاء صاغرين في حكم الأمويّين والعبّاسيّين، فرفعوا راية الثورة عليهم وماتوا أحراراً، وما جرى عليهم جرى على شيعتهم الذين تمرّدوا على الظلم والطغيان.

ويمضي الخوارزمي في رسالته قائلاً:

داس عثمان بن عفّان بطن عمّار بن ياسر بالمدينة، ونفى أبا ذرّ الغفاري، وأشخص عامر بن عبدالقيس التميمي، وضرب الأشتر

النخعي ، وعدي بن حاتم الطائي ، وسيّر عمر بن زرارة إلى الشام ، ونفى كميل بن زياد إلى العراق ، وجفا أُبيّ بن كعب ، وعادى محمّد بن أبي حذيفة وناواه ، وعمل في دم ابن سالم ما عمل ، وفعل مع كعب ذي الحطبة ما فعل .

عرض الخوارزمي إلى ما اقترفه عثمان في حقّ خيار الصحابة الذين نقموا على سياسته ، أمثال الصحابي العظيم عمّار بن ياسر ، والصحابي الثائر أبي ذرّ ، وأمثالهم من عيون المسلمين ، فقد نكّل بهم أشرّ ما يكون التنكيل .

ويمضي الخوارزمي في ذكر المآسي التي عاناها العلويّون وشيعتهم فيقول :

واتّبعه في سيرته ـ أي سيرة عثمان ـ بنو أُميّة يقتلون من حاربهم ، ويغدرون بمن سالمهم ، لا يحفلون بالمهاجرين ، ولا يصونون الأنصاريّين ، ولا يخافون الله ، ولا يحتشمون الناس ، قد اتّخذوا عباد الله خولاً ، ومال الله دولاً ، يهدمون الكعبة ، ويستعبدون الصحابة ، ويعطّلون الصلاة الموقوتة ، ويخنقون أعناق الأحرار ، ويسيرون في حرم المسلمين سيرتهم في حرم الكفّار ، وإذا فسق الأموي فلم يأت بالضلالة عن كلالة .

وحكى هذا المقطع الجرائم والموبقات التي اقترفها الأمويّون ، فقد ساسوا الناس سياسة سوداء خرقاء لا ظلّ فيها للرحمة والعدل .

ويقول الخوارزمي :

قتل معاوية حجر بن عدي الكندي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي بعد الأيمان المؤكّدة ، والمواثيق المغلّظة ، وقتل زياد بن سميّة الأُلوف من شيعة الكوفة وشيعة البصرة صبراً ، وأوسعهم حبساً وأسراً ، حتّى قبض الله معاوية على أسوأ أعماله ، وختم عمره بشرّ أحواله ، فأتبعه ابنه

يجهز على جرحاه ، ويقتل أبناء قتلاه ، إلى أن قتل هانيء بن عروة المرادي ، ومسلم بن عقيل الهاشمي ، وعقّب بالحارث بن زياد الرياحي ، وبأبي موسى عمرو بن قرظة الأنصاري ، وحبيب بن مظهر الأسدي ، وسعيد بن عبدالله الحنفي ، ونافع بن هلال الجملي ، وحنظلة بن أسعد الشبامي ، وعابس بن أبي شبيب الشاكري في نيّف وسبعين من جماعة شيعة الحسين عليه‌السلام يوم كربلاء .

ثمّ سلّط عليهم الدعي ابن الدعي عبيدالله بن زياد يصلبهم على جذوع النخل ، ويقتلهم ألوان القتل حتّى اجتثّ الله دابره ، ثقيل الظهر بدمائهم التي سفك ، عظيم التبعة بتحريمهم الذي انتهك .

فانتبهت لنصرة أهل البيت طائفة أراد الله أن يخرجهم من عهدة ما صنعوا ، ويغسل عنهم وضر ما اجترحوا ، فصمدوا ضدّ الفئة الباغية ، وطلبوا بدم الشهيد الدعي ابن الدعي ، لا يزيدهم قلّة عددهم وانقطاع مددهم ، وكثرة سواد أهل الكوفة بازائهم ، إلّا إقداماً على القتل والقتال ، وسخاء بالنفوس والأموال ، حتّى قتل سليمان بن صرد الخزاعي ، والمسيّب بن نجبة الفزاري ، وعبيدالله بن وال التميمي في رجال من خيار المؤمنين وعلية التابعين ، ومصابيح الأنام ، وفرسان الإسلام .

عرض الخوارزمي في هذا المقطع إلى ما عانته شيعة أهل البيت في عهد الطاغية معاوية من صنوف القتل والتنكيل ، فقد سلّط عليهم الإرهابي المجرم زياد بن أبيه ، فأمعن في قتلهم ومطاردتهم ، ولمّا انتهت أيّام معاوية أعقبه ابنه يزيد ، فاقترف من الجرائم ما سوّد به وجه التاريخ ، فأباد العترة الطاهرة في وحشيّة قاسية لا مثيل لفظاعتها في التاريخ ، وذلك على يد اللقيط ابن مرجانة الذي ارتكب كلّ جريمة وكلّ إثم ، ولم يرع لله إلاًّ ولا ذمّة ، فقتل خيار الشيعة ، أمثال الورع التقيّ ميثم التمّار ،

ورشيد الهجري ، وبعد هلاك المجرم يزيد انتفضت خيار الشيعة وهم المعروفون بالتوّابين فطالبوا بدم ريحانة رسول الله ﷺ أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام ، وقد استشهد أعلامهم أمثال سليمان بن صرد الخزاعي وغيره .

ويستمرّ الخوارزمي في عرض مآسي العلويّين وشيعتهم فيقول :

ثمّ تسلّط ابن الزبير على الحجاز والعراق ، فقتل المختار بعد أن شفى الأوتار ، وأدرك الثار ، وأفنى الأشرار ، وطلب بدم المظلوم الغريب فقتل قاتله ، ونفى خاذله ، وأتبعوه أبا عمر بن كيسان ، وأحمر بن شميط ، ورفاعة بن يزيد ، والسائب بن مالك ، وعبدالله بن كامل ، وتلقّطوا بقايا الشيعة يمثّلون بهم كلّ مثلة ، ويقتلونهم شرّ قتلة ، حتّى طهّر الله البلاد من عبدالله بن الزبير ، وأراح العباد من أخيه مصعب فقتلهما عبدالملك بن مروان ﴿ **وَكَذٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[1] بعد ما حبس ابن الزبير محمّد بن الحنفيّة ، وأراد إحراقه ، ونفى عبدالله بن عبّاس .

وحكت هذه الكلمات ثورة القائد الملهم العظيم المختار بن يوسف الثقفي نضّر الله مثواه الذي طهّر الأرض من أرجاسها الخونة المجرمين قتلة سيّد شباب أهل الجنّة أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام ، فقد قتلهم المختار وأبادهم تحت كلّ حجر ومدر ، فما أعظم عائدته على أهل البيت .

ولكن من المؤسف أنّ عبدالله بن الزبير وأخاه مصعب زحفا بجيوشهم صوب العراق فاحتلّوه ، وأبادا بصورة جماعيّة شيعة أهل البيت ، وفي طليعتهم حاكم العراق المختار وجماعته المؤمنين الأخيار ، ولكنّ الأمر لم يستقم لمصعب وأخيه ، فقد زحف عبدالملك بجيوشه فاحتلّ الحجاز والعراق ، وقتل مصعباً وأخاه وأراح

---

(١) الأنعام ٦ : ١٢٩ .

الله العباد والبلد منهما.

ويتحدّث الخوارزمي عمّا عانته الشيعة في أيّام الطاغية عبدالملك، فيقول:

فلمّا خلت البلاد لآل مروان سلّطوا الحجّاج على الحجازيّن، ثمّ على العراقيّين، فتلعّب بالهاشميّين، وأخاف الفاطميّين، وقتل شيعة عليّ، ومحا آثار بيت النبوّة، وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعي، واتّصل البلاء مدّة ملك المروانيّة إلى الأيّام العبّاسيّة، حتّى إذا أراد الله أن يختم مدّتهم بأكثر آثامهم، ويجعل أعظم ذنوبهم في آخر أيّامهم بعث على بقيّة الحقّ المهمل، والدين المعطّل زيد بن عليّ فخذله منافقو أهل العراق، وقتله أحزاب أهل الشام، وقُتل معه من شيعته نصر بن خزيمة الأسدي، ومعاوية بن إسحاق الأنصاري، وجماعة ممّن شايعه وتابعه، وحتّى مَن زوّجه وأدناه، وحتّى من كلّمه وماشاه.

عرض الخوارزمي في هذا المقطع إلى حكم المروانيّين، وما اقترفوه من الجرائم والموبقات، وكان من أفظع جرائمهم أنّهم سلّطوا الارهابي المجرم الحجّاج بن يوسف الثقفي، فأمعن في قتل الأخيار والمصلحين من شيعة أهل البيت عليهم السلام، وقد انبرى لإنقاذ المسلمين من الجور الشهيد الخالد زيد بن عليّ، ففجّر ثورته الكبرى التي هي من الثورات الخالدة في دنيا الإسلام، وقد غدر به أهل الكوفة كما غدروا بجدّه الإمام الحسين عليه السلام، فاستشهد نقي الثوب مجاهداً في سبيل الله، وبعد شهادته تتبّع الأمويّون شيعته، فأبادوهم ونكّلوا بهم.

ويعرض الخوارزمي إلى بعض مآسي العلويّين وشيعتهم فيقول:

فلمّا انتهكوا ذلك الحريم، واقترفوا ذلك الإثم العظيم غضب الله عليهم، وانتزع الملك منهم، فبعث عليهم أبا مجرم ـ لا أبا مسلم ـ

فنظر لا نظر الله إليه إلى صلابة العلويّة ، وإلى لين العبّاسيّين ، فترك تقاه ، واتّبع هواه ، وباع آخرته بدنياه ، وافتتح عمله بقتل عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، وسلّط طواغيت خراسان وخوارج سجستان وأكراد أصفهان على آل أبي طالب يقتلهم تحت كلّ حجرٍ ومدر ، ويطلبهم في كلّ سهل وجبل ، حتّى سلّط عليه أحبّ الناس إليه فقتله كما قتل الناس في طاعته ، وأخذه بما أخذ الناس في بيعته ، ولم ينفعه أن أسخط الله برضاه ، وأن ركب ما لا يهواه .

وحلت من الدوانيقي الدنيا ، فخبط فيها عسفاً ، وتقضى فيها جوراً وحيفاً إلى أن مات ، وقد امتلأت سجونه بأهل بيت الرسالة ، ومعدن الطيب والطهارة ، قد تتبّع غائبهم ، وتلقّط حاضرهم ، حتّى قتل عبدالله بن محمّد بن عبدالله الحسني (بالسند) على يد عمر بن هشام النغلبي ، فما ظنّك بمن قرب متناوله عليه ، ولان مسّه على يديه ؟

وهذا قليل في جنب ما قتله هارون منهم ، وفعله موسى قبله بهم ، فقد عرفتم ما توجّه على الحسين بن عليّ بفخّ من موسى ، وما اتّفق على عليّ بن الأفطس الحسيني من هارون ، وما جرى على أحمد بن عليّ الزيدي ، وعلى القاسم بن عليّ الحسني من حبسه ، وعلى عليّ بن غسّان بن حاضر الخزاعي حين أخذ من قبله .

وبالجملة أنّ هارون مات وقد حصد شجرة النبوّة ، واقتلع غرس الإمامة وأنتم أصلحكم الله أعظم نصيباً في الدين من الأعمش ، فقد شتموه ، ومن شريك فقد عزلوه ، ومن هشام بن الحكم فقد أخافوه ، ومن عليّ بن يقطين فقد اتّهموه .

وحكى هذا المقطع المآسي والنكبات التي جرت على السادة العلويّين وعلى

شيعتهم في عهد العبّاسيّين ، فقد أسرفوا إلى حدّ بعيد في ظلمهم وقتلهم ، وقد صوّر هذا المقطع قائمة بأسماء السادة العلويّين الذين نفّذ فيهم حكم الإعدام المجرم أبومسلم الخراساني الذي انتقم الله منه على يد المنصور الدوانيقي الذي أخلص له ، وأراق أنهاراً من الدماء في سبيل توطيد الملك له ولأخيه السفّاح .

وعرض الخوارزمي إلى ما اقترفه موسى الهادي وهارون من القتل والتنكيل بالعلويّين وشيعتهم .

ويستمرّ الخوارزمي في ذكر المآسي التي حلّت بالعلويّين وشيعتهم يقول :

فأمّا في الصدر الأوّل ، فقد قتل زيد بن صوحان العبدي ، وعوقب عثمان بن حنيف الأنصاري ، وخفي جارية بن قدامة السعدي ، وجندب بن زهير الأزدي ، وشريح بن هانيء المرادي ، ومالك بن كعب الأرحبي ، ومعقل بن قيس الرياحي ، والحارث الأعور الهمداني ، وأبو الطفيل الكناني ، وما فيهم إلّا من خرّ على وجهه قتيلاً ، أو عاش في بيته ذليلاً ، يسمع شتمة الوصيّ فلا ينكر ، ويرى قتلة الأوصياء وأولادهم فلا يغيّر ، ولا يخفى عليكم حرج عامّتهم وحيرتهم ، كجابر الجعفي ، ورشيد الهجري ، وزرارة بن أعين ، وكفلان ، وأبي فلان ، ليس إلّا إنّهم رحمهم الله كانوا يتولّون أولياء الله ، ويتبرّأون من أعدائه ، وكفى به جرماً عظيماً عندهم ، وعيباً كبيراً بينهم .

وحكت هذه الكلمات ما جرى على أعلام الشيعة من صنوف القتل والاضطهاد أيّام الحكم الأمويّ .

وعرّج الخوارزمي بعد ذلك إلى ما عانوه أيّام الحكم العبّاسي من الاضطهاد ، فيقول :

وقل في بني العبّاس فإنّك ستجد ـ بحمد الله ـ مقالاً ، وجل في عجائبهم فإنّك ترى ما شئت مجالاً .. يجيء فيئهم فيفرّق على الديلمي والتركي ويحمل إلى المغربي والفرغاني ويموت إمام من أئمّة الهدى ، وسيّد من سادات بني المصطفى ، فلا تتبع جنازته ، ولا تجصّص مقبرته ، ويموت (ضراط) لهم أو لاعب أو مسخرة أو ضارب ، فتحضر جنازته العدول والقضاة ، ويعمر مسجد التعزية عليه القواد والولاة ، ويسلم فيهم من يعرفونه دهريّاً أو سوفسطائيّاً ، ولا يتعرّضون لمن يدرس كتاباً فلسفيّاً ومانويّاً ، ويقتلون من عرفوه شيعيّاً ، ويسفكون دم من سمّى ابنه عليّاً ، ولو لم يقتل من شيعة أهل البيت غير المعلّى بن خنيس قتيل داود بن عليّ ، ولو لم يحبس فيهم غير أبي تراب المروزي لكان ذلك جرحاً لا يبرأ ، ونائرة لا تطفأ ، وصدعاً لا يلتئم ، وجرحاً لا يلتحم .

وكفاهم أنّ شعراء قريش قالوا في الجاهليّة أشعاراً يهجون بها أمير المؤمنين عليه السلام ، ويعارضون فيها أشعار المسلمين ، فحملت أشعارهم ودوّنت أخبارهم ، ورواها الرواة ، أمثال الواقدي ووهب بن منبّه التميمي ، ومثل الكلبي والشرقي بن القطامي ، والهيثم بن عدي ، وابن داب الكناني .

وإنّ بعض شعراء الشيعة يتكلّم في ذكر مناقب الوصيّ وفي ذكر معجزات النبيّ صلى الله عليه وآله فيقطع لسانه ، ويمزّق ديوانه ، كما فعل بعبدالله بن عمّار البرقي ، وكما أُريد بالكميت بن زيد الأسدي ، وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمري ، وكما دمّر على دعبل بن عليّ الخزاعي ، مع رفقتهم من مروان بن أبي حفصة اليمامي ، ومن عليّ بن الجهم الشامي ليس إلّا لغلوّهما في النصب واستيجابهما مقت الربّ ،

حتّى أنّ هارون ابن الخيزران وجعفر المتوكّل على الشيطان ـ لا على الرحمن ـ كانا لا يعطيان مالاً ، ولا يبذلان نوالاً إلّا لمن شتم آل أبي طالب ، ونصر مذهب النواصب مثل عبدالله بن مصعب الزبيري ، ووهب بن وهب أبي البختري ، ومن الشعراء مثل مروان بن أبي حفصة الأموي ، ومن الأُدباء مثل عبدالملك بن قريب الأصمعي ، فأمّا في أيّام جعفر فمثل بكّار بن عبدالله الزبيري ، وأبي السمط بن أبي الجون الأموي ، وابن أبي الشوارب العبشمي .

عرض الخوارزمي في هذا المقطع إلى المحن الشاقّة والعسيرة التي واجهتها الشيعة أيّام الحكم العبّاسي الذي جهد على ظلم الشيعة وإرهاقهم ، والأعلام الذين أُعدموا منهم ، وغير ذلك من صنوف الجور الذي عانوه .

ومن بنود هذه الوثيقة قوله :

ونحن أرشدكم الله قد تمسّكنا بالعروة الوثقى ، وآثرنا الدين على الدنيا ، وليس يزيدنا بصيرة زيادة مَن زاد فينا ، ولن يحلّ لنا عقدة نقصان مَن نقص منّا ، فإنّ الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود كما بدأ .

كلمة من الله ، ووصيّة من رسول الله ﷺ يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتّقين ، ومع اليوم غد ، وبعد السبت أحد ، قال عمّار بن ياسر رضي الله عنه يوم صفّين : « لو ضربونا حتّى نبلغ سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ ، وأنّهم على الباطل ، ولقد هُزم رسول الله ﷺ ثمّ هَزم ، ولقد تأخّر الإسلام ثمّ تقدّم ﴿ **الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾[1] .

ولولا محنة المؤمنين وقلّتهم ، ودولة الكافرين وكثرتهم لما امتلأت

(١) العنكبوت ٢٩ : ١ و ٢ .

جهنّم حتّى تقول: ﴿هَلْ مِن مَزِيدٍ﴾[1] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ولمّا تبيّن الجزوع من الصبور، ولا عرف الشكور من الكفور، ولما استحقّ المطيع الأجر، ولا احتقب العاصي الوزر.. فإنّ أصابتنا نكبة فذلك ما تعوّدناه، وإن رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه، وعندنا ـ بحمد الله تعالى ـ لكلّ حالة آلة، فعند المحن الصبر، وعند النعم الشكر، ولقد شُتم أمير المؤمنين عليه‌السلام على المنابر ألف شهر، فما شككنا في وصيّته، وكُذّب محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله بضع عشرة سنة فما اتّهمناه في نبوّته.

وحكت هذه الكلمات صمود الشيعة أمام الضربات القاسية التي عانتها من أعداء أهل البيت عليهم‌السلام من أمويّين وعبّاسيّين، فلم تصرفها عن ولائها وحبّها لعترة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله، وقد أثبتت الشيعة في مواقفها الصلبة أيّام الحكم الأمويّ والعبّاسيّ أنّها من أصلب المدافعين عن الإسلام والمناهضين للجور والطغيان، ولم تحفل بالكوارث والخطوب التي صبّها عليها اللصوص من حكّام الأمويّين والعبّاسيّين.

ويستمرّ الخوارزمي في رسالته فيقول:

اعلموا رحمكم الله أنّ بني أُميّة الشجرة الملعونة في القرآن، وأتباع الطاغوت والشيطان، جهدوا في دفن محاسن الوصيّ، واستأجروا مَن يكذّب على النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ويضع الأحاديث وحوّلوا الجوار إلى بيت المقدس عن المدينة، وبذلوا في طمس هذا الأمر الأموال، وقلّدوا عليه الأعمال، واصطنعوا فيه الرجال، فما قدروا على دفن حديث من أحاديث رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله، ولا على تحريف آية من كتاب الله، ولا على دسّ أحد من أعداء الله في أولياء الله، ولقد كان ينادى على

---

(١) ق ٥٠: ٣٠.

رؤوسهم بفضائل العترة ، ويبكت بعضهم بعضاً بالدليل والحجّة .

والحقّ عزيز وإن استذلّ أهله ، والباطل ذليل ، وإن رصّع بالشبهة ، وقبيح وإن غطّي وجهه بكلّ مليح .

قال عبدالرحمن بن الحكم وهو من أنفس بني اُميّة :

سُمَيَّةُ أَمْسى نَسْلُها عَدَدَ الْحَصىٰ　　وَبِنتُ رَسولِ اللهِ لَيسَ لَها نَسْلُ

وقال غيره :

لَعَنَ اللهُ مَنْ يَسُبُّ عَلِيّاً　　وَحُسَيناً مِنْ سُوقَةٍ وَإِمامِ

وقال أبو دهبل الجمحي في سمة سلطان بني اُميّة ، وولاية آل بني سفيان :

تَبيتُ السُّكارىٰ مِنْ اُمَيَّةَ نُوَّماً　　وَبِالطَّفِّ قَتْلى ما يَنامُ حَميمُها

وقال سليمان بن قتة :

وَإِنَّ قَتيلَ الطَّفِّ مِنْ آلِ هاشِمٍ　　أَذَلَّ رِقابَ الْمُسْلِمينَ فَذَلَّتِ

وقال الكميت بن زيد وهو جار خالد بن عبدالله القسري :

فَقُلْ لِبَني اُمَيَّةَ حَيْثُ حَلُّوا　　وَإِنْ خِفْتَ الْمُهَنَّدَ وَالْقَطيعا

أَجاعَ اللهُ مَنْ أَشْبَعْتُموهُ　　وَأَشْبَعَ مَنْ بِجَورِكُمْ اُجيعا

عرض الخوارزمي في هذا المقطع إلى ما بذله الأمويّون من جهود جبّارة لطمس فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، فقد سخّروا جميع إمكانيّاتهم الاقتصاديّة والإعلاميّة ، واستعلموا جميع وسائل الخوف والإرهاب لمحو ذكره ، وستر مناقبه ، إلّا أنّهم لم يفلحوا فقد برزت مناقبه ومآثره كأسمى صورة عرفتها الإنسانيّة ، كما ظهرت للعيان صور أعدائه من اللصوص وقطّاع الطرق ، وافتضح أمرهم ، وخاب سعيهم .

ويقول الخوارزمي في رسالته :

« ما هذا بأعجب من صياح شعراء بني العبّاس على رؤوسهم بالحقّ ، وإن كرهوه ، وبتفضيل من نقصوه وقتلوه . قال منصور بن الزبرقان على بساط هارون :

آلُ النَّبيِّ وَمَنْ يُحِبُّهُمْ يَتَطامَنونَ مَخافَةَ الْقَتْلِ
أَمِنَ النَّصارىٰ وَاليَهودُ وَهُمْ مِنْ أُمَّةِ التَّوحيدِ في أَزْلِ[1]

وقال عليّ بن العبّاس الرومي ، وهو مولى المعتصم :

بِكُلِّ أَوانٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ قَتيلٌ زَكِيٌّ بِالدِّماءِ مُضَرَّجُ

وقال إبراهيم بن العبّاس الصولي ، وهو كاتب القوم وعاملهم في الرضا لما قرّبه المأمون :

يُمَنُّ عَلَيكُمْ بِأَموالِكُمْ وَتُعطَونَ مِنْ مائَةٍ واحِدا

وكيف لا ينتقصون قوماً يقتلون بني عمّهم جوعاً وسغباً ، ويملأون ديار الترك والديلم فضّة وذهباً ، يستنصرون المغربي والفرغاني ، ويجفون المهاجري والأنصاري ، ويولّون أنباط السواد وزاراتهم ، وتلف العجم قيادتهم ، ويمنعون آل أبي طالب ميراث أُمّهم ، وفيء جدّهم ، يشتهي العلوي الأكلة فيحرمها ، ويقترح على الأيّام الشهوة فلا يطعمها ، وخراج مصر والأهواز ، وصدقات الحرمين والحجاز تصرف إلى ابن أبي مريم المديني ، وإلى إبراهيم الموصلي ، وإسماعيل جامع السهمي ، وإلى زلزل الضارب ، وبرصوما الزامر ، وإقطاع بختيشوع النصراني قوت أهل بلد ، وجاري بغا التركي ،

---

(١) **الأزل** : الضيق والشدّة .

والأفشين الأسروشني كفاية أُمّة ذات عدد.

والمتوكّل يتسرّى باثني عشر ألف سريّة، والسيّد من سادات أهل البيت يتعفّف بزنجيّة أو سنديّة، وصفوة مال الخراج مقصور على أرزاق الأفاغنة، وعلى موائد المخانثة، وعلى طعمة الكلابين، ورسوم القرّادين، وعلى مخارق وعلوية المغنّي، وعلى زرزر، وعمر بن بانة الملهي، ويبخلون على الفاطمي بأكلة أو شربة، يصارفونه على دانق وحبّة، ويشترون العوادة بالبدر، ويجرون لها ما يفي برزق عسكر، والقوم الذين أحلّ لهم الخمس، وحرّمت عليهم الصدقة، وفرضت لهم الكرامة والمحبّة، يتكفّفون ضرّاً، ويهلكون فقراً، ويرهن أحدهم سيفه، ويبيع ثوبه، وينظر إلى فيئه بعين مريضة، ويشتدّ على دهره بنفس ضعيفة ليس له ذنب إلّا أنّ جدّه النبيّ، وأباه الوصيّ، وأُمّه فاطمة، وجدّته خديجة، ومذهبه الإيمان، وإمامه القرآن.

وحفل المقطع الأخير من هذه الرسالة بما عاناه السادة العلويّون من الحصار الاقتصادي الذي فرض عليهم من قِبل الطغمة العبّاسيّة، فقد ضيّقوا عليهم غاية التضييق حتّى لم يجد العلويّ ثوباً يستر بدنه ولا طعاماً يسدّ رمقه، في حين أنّ واردات الدولة تنفق بسخاء على الماجنين والعابثين والمغنّين.

ومن بنود هذه الرسالة:

ولقد كانت في بني أُميّة مخازي ومعائب.. كان **معاوية** قاتل الصحابة والتابعين، وأُمّه آكلة أكباد الشهداء الطاهرين، وابنه **يزيد** القرود ومربّي الفهود، وهادم الكعبة، ومنهب المدينة، وقاتل العترة، وصاحب يوم الحرّة، وكان **مروان** الوزغ ابن الوزغ قد لعن النبيّ ﷺ أباه وهو في

صلبه ، فلحقته لعنة الله ، وكان عبدالملك صاحب الخطيئة التي طبّقت الأرض ، وهي توليته الحجّاج بن يوسف الثقفي ، فاتك العباد ، وقاتل العباد ، ومبيد الأوتاد ، ومخرّب البلاد ، وخبيث اُمّة محمّد ﷺ الذين جاءت به النذر وورد فيه الأثر ، وكان **الوليد** جبّار بني اُميّة ، وولّى الحجّاج على المشرق ، وقرّة بن شريك على المغرب ، وإنّ **سليمان** صاحب البطن الذي قتلته بطنه ، ومات بشماً [١] ، وكان **يزيد** صاحب سلامة وحبابة ، الذي نسخ الجهاد بالخمر ، وقصر أيّام خلافته على العود والزمر ، وأوّل مَن أغلى سعر المغنّيات ، وأعلن بالفاحشات ، وماذا أقول فيمن أغرق فيه مروان من جانب ، ويزيد بن معاوية من جانب ، فهو ملعون بين ملعونين ، وعريق في الكفر بين كافرين .

وكان **هشام** قاتل زيد بن عليّ ، وكان الوليد بن يزيد خليع بني مروان الكافر بالرحمن ، الممزّق بالسهام القرآن ، وأوّل مَن قال الشعر في نفي الإيمان ، وجاهر بالفسوق والعصيان .

حكى هذا المقطع ما أُثر عن ملوك بني اُميّة من الموبقات والجرائم التي سوّدوا بها وجه التاريخ .

ثمّ عرض بعد ذلك إلى ملوك بني العبّاس ، وختم بهم رسالته قائلاً :

وهذه المثالب مع عظمها وكثرتها ، ومع قبحها وشنعتها ، صغيرة وقليلة في جنب مثالب بني العبّاس الذين بنوا مدينة الجبّارين ، وفرّقوا في الملاهي والمعاصي أموال المسلمين ، هؤلاء أرشدكم الله الأئمّة المهديّون الراشدون ، الذين قضوا بالحقّ وبه يعدلون ، بذلك يقف

(١) البشم : التخمة في الطعام .

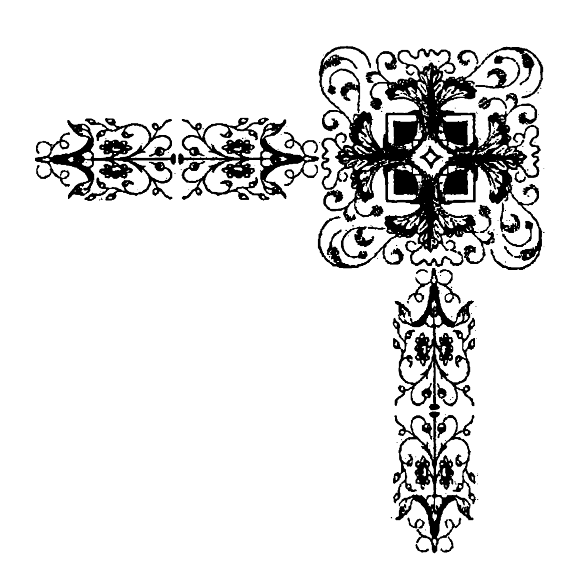
خطيب جمعتهم ، وبذلك تقوم صلاة جماعتهم[١] .

وأعرب الخوارزمي بهذه الكلمات عن بعض مثالب بني العبّاس الذين هم شرّ من بني أُميّة ، فقدأنفقوا أموال المسلمين على شهواتهم ولياليهم الحمراء في حين كانت الأكثريّة الساحقة من الشعوب الإسلاميّة ينهشها الجوع والحرمان ، ومن المؤسف أنّ وعّاظ السلاطين وبعض المؤرّخين قد أضفوا عليهم النعوت الحسنة والألقاب الكريمة ، وهم في الواقع لا نصيب لهم من أي صفة كريمة أو نزعة شريفة .

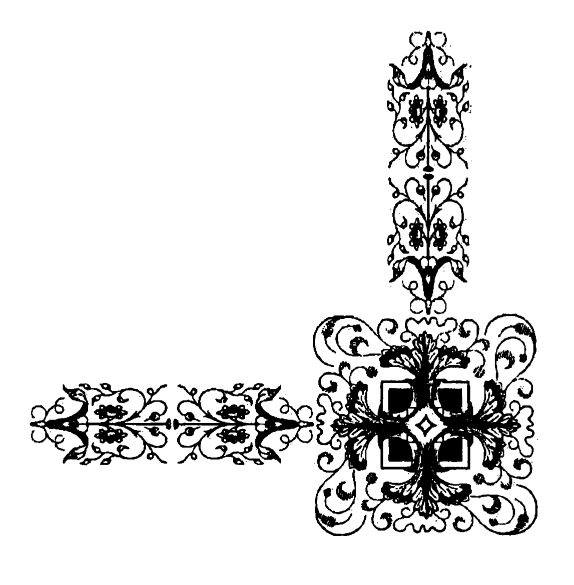
وبهذا ينتهي بنا المطاف عن رسالة الخوارزمي التي عرضت بصورة مفصّلة ما عاناه السادة العلويّون وشيعتهم من المآسي المفزعة والكوارث المدمّرة من حكّام الأمويّين والعبّاسيّين . وبهذه الرسالة ينتهي بنا الحديث عن الأدوار الرهيبة التي عانت فيها الشيعة أقسى ألوان المحن والاضطهاد .

---

(١) رسائل الخوارزمي : ١٣٠ ـ ١٤٠ ، ط . القسطنطينيّة / ١٢٩٧ .



المناهج السياسيّة
عند الشيعة



وتبنّت الشيعة منذ فجر تاريخها جميع المناهج السياسيّة العادلة التي رفع شعارها الإسلام، ونادت بحقوق الإنسان وبجميع قضاياه المصيريّة.

لقد عرفت الشيعة بالتمرّد على الظلم والطغيان، ومقاومة حكّام الجور، وكان موقفها مع ملوك الأمويّين والعبّاسيّين متّسماً بالشدّة والصرامة، وعدم مشروعيّة خلافتهم الأمر الذي أوجب نقمة الحكّام عليهم ومقابلتهم بجميع ألوان القسوة والعذاب.

ونلمّح بإيجاز إلى بعض المناهج السياسيّة التي آمنت بها الشيعة، وهي:

بسط العدل

أمّا بسط العدل بجميع رحابه ومناهجه فهو من أهمّ ما عنى به الإسلام في جميع تشريعاته. قال تعالى:

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾[1].

﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُو أَوْ تُعْرِضُوا ﴾[2]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ

(١) النساء ٤: ٥٨.

(٢) النساء ٤: ١٣٥.

أَلَّا تَعْدِلُوا إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[١].

﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾[٢].

وما بعث الله أنبياءه الممجّدين إلّا لنشر العدل وإشاعته بين الناس، قال تعالى مخاطباً نبيّه العظيم: ﴿ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾[٣].

قال الرسول الأعظم ﷺ: **«عَدْلُ ساعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبادَةِ سَبْعينَ سَنَةً قيامُ لَيْلِها، وَصيامُ نَهارِها»**[٤].

وقال ﷺ **«لَعَمَلُ الْإمامِ الْعادِلِ في رَعِيَّتِهِ يَوْماً واحِداً أَفْضَلُ مِنْ عِبادَةِ الْعابِدِ في أَهْلِهِ مائَةَ عامٍ ـ أَوْ خَمْسينَ عاماً ـ»**[٥].

إنّ العدل من العناصر الأساسيّة في الفكر الشيعي السياسي، فقد طالبت الشيعة الحكّام الأمويّين والعبّاسيّين بإقامة العدل السياسي والاجتماعي، وناضلت أشدّ ما يكون النضال وأقساه في سبيل إشاعته بين الناس، وقد سنّ لهم ذلك الإمام أمير المؤمنين رائد العدالة الكبرى في الأرض.

يقول عليه السلام: **«عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَبِالْعَدْلِ عَلَى الصَّديقِ وَالْعَدُوِّ»**[٦].

وقد رأى الناس في عهد حكومته عليه السلام من صنوف العدل ما لم يشاهدوه في جميع مراحل التاريخ، فقد حفل عهده بصور رائعة من العدل، كان من العوامل الأصيلة في ازدهار الوعي السياسي والاجتماعي في العالم الإسلامي.

---

(١) المائدة ٥: ٨.

(٢) النحل ١٦: ٩٠.

(٣) الشورى ٤٢: ١٥.

(٤) جامع السعادات: ٢: ٢١٩.

(٥) الأموال لأبي عبيدة: ٦.

(٦) تحف العقول: ٨٨.

ولننظر إلى فقرة في عهده إلى مالك الأشتر واليه على مصر، يقول عليه السلام :

« أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمِنْ خاصَّةِ أَهْلِكَ ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبادَ اللهِ كانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبادِهِ ، وَمَنْ خاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ ، وَكانَ لِلّهِ حَرْباً حَتَّىٰ يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَىٰ إِلَىٰ تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقامَةٍ عَلَىٰ ظُلْمٍ ، فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ ، وَهُوَ لِلظّالِمِينَ بِالْمِرْصادِ »[1].

أرأيتم هذا العدل الخالص الذي تنعم به الشعوب ، وتقام فيه الروابط الاجتماعيّة على أساس الإنصاف واجتناب ظلم الولاة والمسؤولين .

إنّ للحكم إغراءً لا يفلت من ربقته إلّا ذوو النفوس الزكيّة التي تربّت على هدي الإسلام ، وآمنت باليوم الآخر ، فإنّ الحكم يجعل بيد الحاكم إمكانيّات البلاد ، فإذا شذّ عن سنن العدل تعرّضت الأُمّة إلى الأزمات والنكبات .

التمرّد على الظلم

من المبادئ التي آمنت بها الشيعة التمرّد على الظلم ومناجزة الظالمين ، فقد انطلق أعلام هذه الطائفة أيّام الحكم الأموي والعبّاسي إلى مقارعة الظلم ، وكان أوّل من أعلن التمرّد على الطغيان والاستبداد الصحابي العظيم أبو ذرّ الغفاري المتفاني في ولائه لأهل البيت عليهم السلام ، فهو الذي صرخ بوجه السلطة الأمويّة حينما زاغت عن طريق الحقّ ، وطالبها بالعدل والاستقامة ، وعدم التلاعب بأموال المسلمين .

وثار الزعيم العظيم حجر بن عدي مع الثوّار من إخوانه الأحرار في وجه الطاغية

---

(١) نهج البلاغة : ٣ : ٨٥.

معاوية الذئب الجاهلي الذي حوّل البلاد الإسلاميّة إلى مزرعة له ولبني أُميّة ، وسائر عملائهم وأذنابهم ، وقد ألقت الحكومة المركزيّة في الكوفة القبض عليهم وسيّرتهم إلى الشام فأُعدموا في مرج عذراء .

لقد استشهد هؤلاء الأحرار الذين وهبوا حياتهم لله من أجل رفع راية الإسلام ، ومناهضة الجور والطغيان .

ولم تمض أيّام حتّى رفع علم الثورة الإمام الحسين عليه‌السلام في وجه حفيد أبي سفيان العدوّ الأوّل للإسلام يزيد بن معاوية ، فقد نقم عليه الإمام عليه‌السلام لتجرّده من كلّ نزعة إصلاحيّة وولوغه في الجريمة والآثام .

ومضى الإمام مجاهداً من أجل إحقاق الحقّ وإزاحة الظلم ، وإعادة الحياة الكريمة للمسلمين ، لقد استشهد الإمام مع السادة الممجّدين من أهل بيته ، والصفوة الطاهرة من أصحابه من أجل الغايات النبيلة ، ومن أجل كرامة الإنسان وحرّيّته وإرادته .

وقد غيّر أبو الأحرار بثورته الخالدة مجرى التاريخ ، فقد أخرج المسلمين من حياة الذلّ والبؤس إلى حياة كريمة ، وفتح لهم أبواب المجد والكفاح ، فقد انطلقت الثورات المتلاحقة من أحفاده وأحفاد أخيه الإمام الحسن عليه‌السلام ، وهي تدكّ حصون الظالمين من بني أُميّة ، حتّى نسفت معاقلهم وطوت ملكهم وسلطانهم .

وعلى أي حال ، فإنّه لم تمض سوى ثلاثة أيّام على شهادة أبي الأحرار الإمام الحسين عليه‌السلام حتّى ثار عبدالله بن عفيف الأزدي في وجه الارهابي المجرم ابن مرجانة حينما خطب في جامع الكوفة ، وهو يظهر فرحته الكبرى بنصره المزعوم في قتله لسيّد الشهداء ، ولم ينه إلّا ببعض الكلمات حتّى انبرى إليه هذا البطل قائلاً : « إنّما الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك ، ومَن استعملك وأبوه . يا عبد بني علاج ، أتقتلون أبناء النبيّين وتصعدون على منابر المسلمين .

أين أبناء المهاجرين والأنصار لينتقموا منك ومن طاغيتك اللعين ابن اللعين ـ مشيراً إلى يزيد وأبيه معاوية ـ على لسان النبيّ الأمين »[١].

وكانت هذه الكلمات كالصاعقة على رأس ابن مرجانة وقد ترجمت ما في عواطف الناس من الأسى والحزن على قتل سيّد الشهداء عليه السلام ، كما أبرزت للحضور واقع هذا الإنسان الممسوخ وأنّه أقذر إنسان وأشرّ مخلوق على وجه الأرض .

ومن أعلام الشيعة الذين تمرّدوا على الظلم الكميت بن زيد الأسدي ، فقد أعلن سخطه على الحكم الأموي بأدبه الفيّاض الذي هو من أروع ما قيل في أدب الثورة على الأمويّين ، قال :

فَقُلْ لِبَني أُمَيَّةَ حَيْثُ حَلُّوا ... وَإِنْ خِفْتَ الْمُهَنَّدَ وَالْقَطِيعا[٢]

أَلا أُفٍّ لِدَهْرٍ كُنْتُ فيهِ ... هِداناً طائِعاً لَكُمُ مُطِيعا[٣]

أَجاعَ اللهُ مَنْ أَشْبَعْتُموهُ ... وَأَشْبَعَ مَنْ بِجَوْرِكُمُ أُجِيعا

وَيَلْعَنُ فَذَّ أُمَّتِهِ جِهاراً[٤] ... إذا ساسَ الْبَرِيَّةَ وَالْخَلِيعا[٥]

بِمَرْضِيِّ السِّياسَةِ هاشِمِيٍّ ... يَكُونُ حَياً لأُمَّتِهِ رَبِيعا[٦]

وَلَيْثاً في الْمَشاهِدِ غَيْرَ نِكْسٍ[٧] ... لِتَقْويمِ الْبَرِيَّةِ مُسْتَطِيعا

---

(١) اللهوف : ٩٦ . أنساب الأشراف : ٣ : ٤١٣ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٥٣ . الفتوح : ٥ : ١٢٤ .

(٢) **المهنّد** : السيف الهندي . **القطيع** : السوط .

(٣) **الهدان** : الجبان .

(٤) **الفذّ** : الفرد ، وهو أوّل القداح يريد به قاتل عليّ .

(٥) **الخليع** : الوليد بن عبدالملك .

(٦) **الحَيَا** : الخصب ، وربيع أي كالربيع يعمّ الرعيّة بالخيرات .

(٧) **النكس** : الدنيء المقصّر ، وأصل ذلك في السهام ، وذلك أنّ السهم إذا ارتدع أو نالته »

يُـقيمُ أُمـورَها وَيَـذُبُّ عَـنْها ... وَيَـتْرُكُ جَـدْبَها أَبَداً مَـرِيعا (١)

لقد لعن الكميت ـ بهذه الأبيات ـ الأمويّين وتمنّى زوال حكمهم، كما تمنّى أن يلي أُمور المسلمين فذّ من الهاشميّين ليقيم ما اعوجّ من أُمور دنياهم ودينهم، ويذبّ عنهم كوارث الدهر، ويبسط فيهم العدل حتّى يترك جدب الأرض أبداً مريعاً.

وهجا الكميت الطاغية هشام بقوله:

مُصيبٌ عَلَى الْأَعْوادِ يَوْمَ رُكوبِها ... لِما قالَ فيها مُخْطِئٌ حينَ يَنزِلُ

كَـلامُ النَّـبِيِّينَ الْـهُداةِ كَـلامُنا ... وَأَفْـعالَ أَهْـلِ الْجاهِلِيَّةِ نَـفْعَلُ (٢)

واضطهده الأمويّون وبالغوا في سجنه وتعذيبه، ولكنّ ذلك لم يثنه عن جهاده وتصلّبه لعقيدته.

ومن الذين تمرّدوا على الظلم واستهانوا بالأمويّين الفرزدق، وذلك في مدحه للإمام الأعظم زين العابدين عليه السلام، وانتقاصه لهشام بن عبدالملك الذي تجاهل مكانة الإمام حينما ازدحمت عليه الجماهير متبرّكة به في طوافه حول البيت المقدّس، وقال هشام لأهل الشام ـ حين سألوه عنه ـ: إنّي لا أعرفه.

فانبرى الفرزدق منكراً على هشام، ومعرّفاً للإمام:

هٰذَا الَّذي تَعْرِفُ البَطْحاءُ وَطْأَتَهُ ... وَالبَـيْتُ يَـعْرِفُهُ وَالحِـلُّ والحَـرَمُ

هـذا ابْـنُ خَـيْرِ عِـبادِ اللهِ كُـلِّهِمُ ... هـذا التَّـقِيُّ النَّـقِيُّ الطّاهِرُ العَـلَمُ

وَلَـيسَ قَـولُكَ مَـنْ هـذا بِضائِرِهِ ... العُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ (٣)

« آفة نُكس في الكنانة ليعرف من غيره.

(١) **الجدب**: القحط. المريع: الخصب. الهاشميّات: ٧٨ و ٨٠.

(٢) معجم الشعراء: ٣٤٨.

(٣) نهاية الإرب: ٢١: ٣٢٧ ـ ٣٣١. وقد ذكرت هذه القصيدة كلّاً وبعضاً في كثير من »

وتعرّض الفرزدق لسخط هشام ونقمته فأودعه السجن ، فقال الفرزدق يهجوه :

أَيَحْبِسُني بَيْنَ المَدينَةِ وَالَّتي ... إِلَيْها قُلوبُ النّاسِ يَهْوي مُنيبُها
يُقَلِّبُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ ... وَعينٌ لَهُ حَوْلاءَ بادٍ عُيوبُها[(١)]

أجل لم يكن رأس هشام رأس سيّد ، وإنّما هو رأس صعلوك قد ولغ في دماء المسلمين ، وأرغمهم على ما يكرهون ، وهو الذي ألجأ الشهيد العظيم زيد بن عليّ إلى إعلان الثورة على حكومته حتّى استشهد في سبيل الله .

وظهر في العصر العبّاسي شاعر من ألمع شعراء العربيّة ، وهو دعبل الخزاعي ، فتمرّد على الظلم وأعلن سخطه على الحكم العبّاسي الذي لا يقلّ في جوره وانحرافه عن الحقّ عن الحكم الأموي ، وقد هجا هذا الشاعر الكبير الرشيد والأمين والمأمون وإبراهيم بن المهدي ، وقال في هجاء المعتصم :

وَقامَ إِمامٌ لَمْ يَكُنْ ذا هِدايَةٍ ... فَلَيسَ لَهُ دينٌ وَلَيسَ لَهُ لُبُّ
مُلوكُ بَني العَبّاسِ في الكُتْبِ سَبْعَةٌ ... وَلَمْ تَأْتِنا عَنْ ثامِنٍ لَهُمْ كُتْبُ
كَذلِكَ أَهلُ الكَهْفِ في الكَهْفِ سَبعَةٌ ... خِيارٌ إذا عُدّوا وَثامِنُهُمْ كَلْبُ
وَإِنّي لَأُعْلي كَلْبَهُمْ عَنكَ رِفْعَةً ... لِأَنَّكَ ذو ذَنْبٍ وَلَيسَ لهُ ذَنْبُ[(٢)]

» مصادر الأدب والتاريخ والتراجم ، نشير إلى بعضها :

زهر الآداب : ١ : ١٠٣ . سرح العيون لابن نباتة : ٣٩٠ . الفصول المهمّة لابن الصبّاغ : ١٨٩ . الاتحاف بحبّ الأشراف : ٥١ . أخبار الدول للقرماني : ١١٠ . تاريخ مدينة دمشق : ٤١ : ٤٠٢ . روضة الواعظين : ١ : ٢٣٩ . دائرة المعارف للبستاني : ٩ : ٣٥٦ . أنوار الربيع : ٤ : ٣٥ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(١) نهاية الإرب : ٢١ : ٣٢٧ ـ ٣٣١ . بشارة المصطفى : ٣٧٧ ، وفيه : « أتحبسني » .

(٢) ديوان دعبل : ١٢٩ و ١٣٠ .

وهذا الهجاء المقذع من صور مقارعة الظلم التي هي دفعة من دفعات الروح الإسلامي ، إنّ اندفاع دعبل إلى هجاء العبّاسيّين كان مبعثه الحفاظ على القيم الإسلاميّة ، والدفاع عن حقوق المظلومين والمضطهدين الذين استهانت بهم الحكومات العبّاسيّة .

وكان من مواقفه البطوليّة هجاؤه للرشيد حينما جاء المأمون بجثمان الإمام الرضا عليه‌السلام فدفنه بجوار أبيه ، وقد سئل عن ذلك فقال : ليغفر الله لهارون بجواره للإمام الرضا عليه‌السلام .

فقال دعبل رادّاً عليه :

أَربِعْ بِطُوسٍ عَلىٰ قَبرِ الزَّكِيِّ بِها ... إِنْ كُنتَ تَرِبعُ مِنْ دِينٍ عَلىٰ وَطَرِ [١]

ما يَنفَعُ الرِّجسَ مِنْ قُرْبِ الزَّكِيِّ وَلا ... عَلى الزَّكِيِّ بِقُرْبِ الرِّجسِ مِنْ ضَرَرِ

هَيهاتَ كُلُّ امْرِىءٍ رَهنٌ بِما كَسَبَتْ ... لَهُ يَداهُ ، فَخُذْ ما شِئْتَ أَوْ فَذَرِ

قَبْرانِ في طوسٍ خَيرُ النّاسِ كُلِّهِمُ ... وَقَبرُ شَرِّهِمُ هذا مِنَ العِبَرِ

ولمّا بويع إبراهيم بن شكلة شيخ المغنّين بالخلافة ، وعجز عن تسديد رواتب الموظّفين خرج إليهم رسوله ، وقال لهم : إنّه لا مال عنده .

فانبرى بعض الظرفاء فقال : بدلاً من المال فليخرج الخليفة فيغنّي لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ، ولأهل ذاك الجانب ثلاثة أصوات [٢] .

ونظم ذلك دعبل بقوله :

يا مَعْشَرَ الأَجْنادِ لَا تَقْنَطوا ... خُذوا عَطاياكُمْ وَلَا تَسْخَطوا

---

(١) أي قف وانتظر .

(٢) وفيات الأعيان : ١ : ٢١ .

فَسَــــوف تُــعْطَون حُـنَينِيَّةً يَـلتَذُّها الأَمـرَدُ وَالأَشْـمَطُ[١]
وَالمَـــعبَدِيّاتُ لِـــقُوّادِكُـم لَا تَدخُلُ الكيسَ وَلا تُربَطُ[٢]
وَهـٰكَـــــذا يَـرْزُقُ أَجـنادَهُ خَـليفَةٌ مُـصْحَفُهُ البَـربَـطُ[٣]
قَـدْ خَـتَمَ الصَّكَّ بِـأَرْزاقِكُـمْ وَصَـحَّحَ الْعَزْمَ فَـلا تَسْـخَطوا
بَـــيعَةُ إِبْـــراهـيمَ مَشْـؤُومَةٌ يُقْتَلُ فيها الْخَلْقُ أَوْ يُقْحَطوا[٤]

إنّ تاريخ الشيعة حافل بالبطولات والكفاح ضدّ الظالمين والمستبدّين.

يقول الوردي:

«الشيعة أوّل مَن حمل الثورة الفكريّة في الإسلام ضدّ الطغيان، وفي نظريّاتها تكمن روح الثورة، وإنّ عقيدة الإمامة التي آمنت بها الشيعة حملتهم على إنقاذ الطبقة الحاكمة ومعارضتها في جميع مراحل تاريخهم، وجعلتهم يرون كلّ حكومة غاصبة ظالمة مهما كان نوعها، إلّا إذا تولّى أمرها إمام معصوم، لذلك كانوا في ثورة مستمرّة لا يهدأون ولا يفترون»[٥].

إنّ الثورات التي فجّرتها الشيعة أيّام الحكم الأموي والعبّاسي، والانتقادات الصارمة التي وجّهها أعلام الشيعة لأُولئك الملوك إنّما هي صدى لفكرتهم التي آمنوا بها من تحقيق العدالة الاجتماعيّة، والقضاء على الغبن الاجتماعي، وإزاحة الظلم

---

(١) **الأمرد**: الذي لا لحية له. **الأشمط**: الذي له لحية.

(٢) **المعبديات**: من أصوات الغناء تنسب إلى معبد المغنّي.

(٣) **البربط**: الطبل.

(٤) عصر المأمون: ٣: ٢٥٥ و ٢٥٦.

(٥) وعّاظ السلاطين: ٢٩٣.

وضروب الفساد من الأرض ، ومن الحقّ أن يقال : إنّ الشيعة من أعظم الفرق والمذاهب الاجتماعيّة دفاعاً عن كلمة الحقّ والعدل في الأرض[١].

المساواة

أمّا فكرة المساواة فهي من الأفكار الأصيلة التي تبنّتها الشيعة اقتداءاً بأئمتهم العظام الذين جسّدوا المثل الإسلاميّة في سلوكهم وسيرتهم ، وضربوا للناس أمثلة عمليّة على ذلك ، فهذا الإمام زين العابدين عليه السلام أعتق جارية له ، ثمّ تزوّج بها ، وقد انتهز ذلك عبدالملك بن مروان فراح يندّد بالإمام ، وكتب له رسالة يعيب عليه ذلك ، وهذا نصّها :

« أمّا بعد .. فقد بلغني تزويجك مولاتك ، وقد علمت أنّه كان في أكفائك من قريش من تمجّد به في الصهر وتستنجبه في الولد ، فلا لنفسك نظرت ، ولا على ولدك أبقيت ، والسلام ».

ولمّا قرأ الإمام الرسالة رأى فيها روح الجاهليّة وعاداتها ، فردّ عليه بهذه الرسالة التي بيّن فيها مبادئ الإسلام في موضوع العلاقة الزوجيّة ، وهذه نصّها :

« أَمّا بَعْدُ .. فَقَدْ بَلَغَني كِتابُكَ تُعَنِّفُني بِتَزْويجي مَوْلاتي ، وَتَزْعُمُ أَنَّهُ كانَ في نِساءِ قُرَيْشٍ مَنْ أُمَجَّدُ بِهِ في الصِّهْرِ ، وَأَسْتَنْجِبُهُ في الْوَلَدِ ، وَإِنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مُرْتَقىً في مَجْدٍ ، وَلا مُسْتَزادَ في كَرَمٍ ، وَإِنَّما كانَتْ مِلْكَ يَميني ، خَرَجَتْ مِنّي بِأَمْرٍ أَرادَهُ اللهُ تَعالَى الْتَمَسْتُ فيهِ ثَوابَهُ ، ثُمَّ ارْتَجَعْتُها عَلىٰ سُنَّتِهِ ، وَمَنْ كانَ زَكِيّاً في دينِهِ فَلَيْسَ يَخِلُّ بِهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ ، وَقَدْ رَفَعَ اللهُ تَعالىٰ بِالْإِسْلامِ الْخَسيسةَ وَأَتَمَّ بِهِ النَّقيصَةَ ، وَأَذْهَبَ اللُّؤْمَ فَلا لُؤْمَ عَلَى امْرِئٍ مُسْلِمٍ ، إِنَّما اللُّؤْمُ لُؤْمُ الْجاهِلِيَّةِ »[٢].

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ٢ : ١٢٧ و ١٢٨.

(٢) أعيان الشيعة ـ القسم الثاني : ٤ : ٤٧٩ ، وقريب منها في العقد الفريد : ٧ : ١٢١.

ودلّ الإمام عليه السلام خصمه الأموي على الشرف الواقعي الذي ينشده الإسلام وهو تقوى الله والتمسّك بطاعته ، وأي نقص على الإمام حينما تزوّج بأمة مسلمة عفيفة زكيّة بعد ما أعتقها ، فإنّه لم يخالف بذلك كتاب الله وسنّة نبيّه ، فقد جعل الإسلام المسلم كفؤ المسلمة لا يفضل عليها ، ولا هي تفضل عليه ، مهما كان انتسابهما ، وقد زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله بنت عمّته زينب وأُمّها بنت عبدالمطّلب سيّد قريش من غلامه ومملوكه وعتيقه زيد بن حارثة ، وقد قضى بذلك على سيّئات التعالي بالأنساب .

وقد أعلن صلى الله عليه وآله أنّ التفاخر بالأنساب إنّما هو من عادات الجاهليّة التي حطّمها الإسلام .

قال صلى الله عليه وآله : « **كُلُّكُمْ لآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرابٍ ، وَلَيَنْتَهِيَنَّ قَوْمٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبائِهِمْ ، أَوْ لَيَكونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الجِعْلانِ** »(١) .

وقال صلى الله عليه وآله : « **إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عَيْبَةَ الْجاهِلِيَّةِ وَتَعاظُمَها بِآبائِها ، فَالنّاسُ رَجُلانِ : رَجُلٌ بَرٌّ تَقِيٌّ كَريمٌ عَلَى اللهِ تَعالىٰ ، وَرَجُلٌ فاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ تَعالىٰ** »(٢) .

لقد وضع الإسلام قواعد المساواة على أساس الفطرة الإنسانيّة ، فلم يميّز قوماً على آخرين ، وجعل التمايز بالتقوى والعمل الصالح .

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام : « . **إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطاعَهُ وَلَوْ كانَ عَبْداً حَبَشِيّاً ، وَخَلَقَ النّارَ لِمَنْ عَصاهُ وَلَوْ كانَ سَيِّداً قُرَشِيّاً** »(٣) .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٤ : ٢٣٣ ، سورة الحجرات . السنن الكبرى للنسائي : ١٠ : ٢٣٢ . الجامع الصغير : ٢ : ٢٨٨ . كنز العمّال : ٣ : ٥٢٧ . مجمع الزوائد : ٨ : ٨٦ .

(٢) فتح الباري : ٦ : ٣٨٢ . تفسير القرطبي : ١٦ : ٣٤١ . تفسير ابن كثير : ٤ : ٢٣٣ .

(٣) روضات الجنّات : ٥ : ١٦١ .

ومن الجدير بالذكر أنّ من الأسباب التي أدّت إلى خذلان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حربه مع الجاهلي معاوية بن أبي سفيان مساواته العادلة بين المسلمين وعدم تقديمه للعرب على غيرهم ، وقد طلب منه ابن عبّاس أن يميّز العرب على الموالي ، ويفضّل قريشاً على العرب في العطاء وسائر الامتيازات .

فلم يقبل الإمام وقال له : « **أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! واللهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً! لَوْ كَانَ الْمالُ لي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ ، فَكَيْفَ وَإِنَّما الْمالُ مالُ اللهِ! أَلَا وَإِنَّ إِعْطاءَ الْمالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ ، وَهُوَ يَرْفَعُ صاحِبَهُ فِي الدُّنْيا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَيُكْرِمُهُ فِي النّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ. وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ وَكانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ. فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَىٰ مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ وَأَلْأَمُ خَدِينٍ** »[1] .

وعلى أي حال ، فالمساواة التي هي من المناهج السياسيّة عند الشيعة والتي هي من صميم السياسة الإسلاميّة تشمل المساواة الاجتماعيّة ، والمساواة أمام القانون ، والمساواة في الواجبات ، والمساواة في الضرائب ، والمساواة في التوظيف .

وقد بحثنا عن هذه المناهج بالتفصيل في كتابنا (النظام السياسي في الإسلام) .

الوحدة الإسلاميّة

وتؤمن الشيعة بضرورة الوحدة الإسلاميّة وتضامن المسلمين في جميع مجالاتهم ليكونوا قوّة ضاربة لا يطمع فيهم طامع ، ولا يغزوهم مستعمر ، ولا يعتدي عليهم ظالم ، وما أُصيب المسلمون بنكسة أعظم ولا أقسى من تصدّع شملهم ، واختلاف كلمتهم .

---

(١) نهج البلاغة : ٢ : ٦.

إنّ الوحدة الإسلاميّة من أوليات المبادئ التي تؤمن بها الشيعة ، فقد حثّ عليها أئمّة الهدى عليهم السلام ، واعتبروها من أهمّ العناصر في الحياة الإسلاميّة .

فهذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو أوْلى المسلمين برسول الله صلى الله عليه وآله ، فهو أخوه ، وناصره ، وباب مدينة علمه ، وختنه على ابنته ، وأبو سبطيه ، وأحقّ بخلافته من غيره لمّا بويع أبو بكر وأُخذت الخلافة منه صبر وسالم القوم ، وقال :

« فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرىٰ فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً ، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمُ الَّتي إِنَّما هِيَ مَتاعُ أَيّامٍ قَلَائِلَ ، يَزُولُ مِنْها ما كانَ ، كَما يَزُولُ السَّرابُ ، أَوْ كَما يَتَقَشَّعُ السَّحابُ ؛ فَنَهَضْتُ في تِلْكَ الْأَحْداثِ حَتَّىٰ زاحَ الْباطِلُ وَزَهَقَ ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ »(١) .

لقد صبر الإمام عليه السلام على سلب حقّه وفي العين قذى ، وفي الحلق شجا ـ كما كان يقول ـ من أجل أن لا يرى في الإسلام ثلماً أو هدماً .

وهذا الإمام الحسن عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله قد صالح معاوية الذي هو العدوّ الألدّ للإسلام حفظاً على الوحدة الإسلاميّة ، ولولا صلحه عليه السلام لما بقي للإسلام اسم ولا رسم .

وهذا الإمام زين العابدين عليه السلام الذي وتره الأمويّون بأهل بيته وتتبّعوا شيعته تحت كلّ حجر ومدر ، وأعلنوا سبّ العترة الطاهرة على المنابر ، واستخدموا جميع وسائل إعلامهم لانتقاصهم ، فإنّه سلام الله عليه أعرض عن ذلك ، فكان يدعو لجيوش المسلمين بالنصر والعزّة وهم تحت إمرة أعدائه .

استمعوا إلى هذه الفقرة من دعائه :

« اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ ، وَاشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ ، وَاحْرُسْ حَوْزَتَهُمْ

---

(١) نهج البلاغة : ٣ : ١١٩ .

وَامْنَعْ حَوْمَتَهُمْ ، وَأَلِّفْ جَمْعَهُمْ ، وَدَبِّرْ أَمْرَهُمْ ، وَواتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ ، وَتَوَحَّدْ بِكِفايَةِ مُؤَنِهِمْ ، وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ ، وَأَعِنْهُمْ بِالصَّبْرِ ، وَالْطُفْ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ ».

وأضاف يقول :

«اللّٰهُمَّ وَقَوِّ بِذٰلِكَ مِحالَّ أَهْلِ الْإِسْلامِ ، وَحَصِّنْ بِهِ دِيارَهُمْ ، وَثَمِّرْ بِهِ أَمْوالَهُمْ ، وَفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحارَبَتِهِمْ لِعِبادَتِكَ ، وَعَنْ مُنابَذَتِهِمْ لِلْخَلْوَةِ بِكَ ، حَتّىٰ لا يُعْبَدَ فِي بِقاعِ الْأَرْضِ غَيْرُكَ »[١].

لقد دعا للجيوش الإسلاميّة الخاضعة للحكم الأموي حرصاً على الوحدة الإسلاميّة ، وحفظاً لمنعة المسلمين وقوتهم ، وأعرض عمّا اقترفته تلك الجيوش من الفظائع والتنكيل بأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ،كلّ ذلك من أجل المصلحة العامّة للعالم الإسلامي .

أمّا ثورة أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام على حكومة الطاغية يزيد بن معاوية ، فإنّما كانت من أجل الإسلام ووحدة المسلمين ، فقد أسرف هذا الخليع الماكر في اقتراف الآثام والموبقات ، وأعلن كفره الصريح بقوله :

لَعِبَتْ هاشِمُ بِالمُلْكِ فَلاَ خَبَرٌ جاءَ وَلاَ وَحيٌ نَزَلْ

فكان الواجب الديني يحتّم على ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله مناهضة هذا الحكم ومناجزته بجميع ما يملك من الوسائل لإنقاذ المسلمين من ويلات هذا الظالم الذي امتحن به المسلمون وبأبيه وجدّه وسائر أُسرته .

وعلى أي حال ، فإنّ الشيعة من أحرص المسلمين على وحدة العالم الإسلامي وتضامنه ، وعدم إشاعة الفرقة والاختلاف بين أبنائه .

---

(١) الصحيفة السجّاديّة : ١٤٤ ، الدعاء رقم ٢٧.

نزاهة الجهاز الحاكم

ومن أوليات المناهج السياسيّة عند الشيعة، نزاهة الجهاز الحاكم وطهارته وسلامته من الخونة واللصوص الذين لا يرجون لله وقاراً، ويجب أن يحتوي على خيرة الرجال في كفاءتهم وقدرتهم وأمانتهم حتّى لا تحدث الفجوات والأزمات بين الشعب والحكومة.

وقد أكّد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر على ضرورة اختيار الصلحاء والأشراف والمتحرّجين في دينهم لمناصب الدولة.

يقول عليه السلام: « **ثُمَّ انْظُرْ في أُمُورِ عُمّالِكَ فاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِباراً، وَلَا تُوَلِّهِمْ مُحاباةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ** »[١].

إنّ اختيار الموظّف وعدم استعماله اثرة ومحاباة شرط أساسي في سلامة الدولة، فإذا لم يخضع لذلك ومنحت الوظائف والمناصب للشفاعات والوساطات ولذوي الأرحام والأقرباء تعرّضت البلاد إلى أقسى ألوان الاضطراب والفساد.

يقول الإمام عليه السلام في عهده لمالك: « **وَلَا تَقْبَلَنَّ فـي اسْتِعْمالِ عُـمّالِكَ وَأُمَرائِكَ شَفاعَةً إِلّا شَفاعَةَ الْكَفاءَةِ وَالْأَمانَةِ** »[٢].

ومعنى ذلك أنّ التوظيف يناط بالكفاءة والأمانة لا بغيرها من الوسائل العاطفيّة التي لا تمّت بصلة للصالح العامّ، وقد أُثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: « **مَنْ تَقَدَّمَ عَلىٰ قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمينَ وَهُوَ يَرىٰ أَنَّ فيهِمْ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ فَقَدْ خانَ اللهَ وَرَسولَهُ وَالْمُسْلِمينَ** »[٣].

---

(١) نهج البلاغة: ٣: ٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠: ٢٧٦.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي: ١٠: ١١.

إنّ رزيّة المجتمع في جميع مراحل التاريخ تستند ـ على الأكثر ـ إلى الذين استأثروا بالحكم عن طريق الغلبة والقهر وتقدّموا على ذوي المواهب والكفاءات والخبرة في شؤون الحكم والإدارة، كاستيلاء الأمويّين والعبّاسيّين على الحكم وإقصاء السادة العلويّين دعاة العدل الاجتماعي في الإسلام.

على أي حال، فإنّ من الاحتياط على سلامة الأُمّة أن لا تمنح الوظائف المهمّة في الدولة لمن سألها أو حرص عليها، وذلك لئلّا يستغلّ منصبه وسيلة للإثراء.

يقول النبيّ صلى الله عليه وآله: **«إنّا وَاللهِ لا نُوَلّي هٰذا الْعَمَلَ أَحداً سأَلَهُ، أَوْ أَحداً أَحْرَصَ عَلَيْهِ»**[1].

وقد طبّق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذلك في دور حكومته، فلم يولّ أحداً كان حريصاً على الولاية والحكم، وكان ذلك هو السبب في تمرّد طلحة والزبير على حكومته لمّا سألاه أن يولّيهما على البصرة والكوفة، فلم يجبهما إلى ذلك، فأظهرا البغي عليه، فاستدعى عليه السلام وزيره ومستشاره عبدالله بن عبّاس فقال: **بَلَغَكَ قَوْلُ هـٰذَيْنِ الرجُلَيْنِ؟**

- نعم.
- **ما تَرىٰ؟**
- أرى أنّهما أحبّا الولاية، فولّ الزبير البصرة، وولّ طلحة الكوفة.

فردّ عليه الإمام عليه السلام قائلاً: **وَيْحَكَ! إنَّ الْعِراقِيِّينَ بِهِما الرِّجالُ وَالْأَمْوالُ، وَمَتىٰ تَمَلَّكا رِقابَ النّاسِ يَسْتَميلا السَّفيهَ بِالطَّمَعِ، وَيَضْرِبا الضَّعيفَ بِالْبَلاءِ، وَيَقْوَيا عَلىٰ الْقَوِيِّ بِالسُّلْطانِ، وَلَوْ كُنْتَ مُسْتَعْمِلاً أَحَداً لِضُرِّهِ وَنَفْعِهِ لَاسْتَعْمَلْتُ مُعاوِيَةَ عَلَى الشّامِ، وَلَوْلا ما ظَهَرَ لي مِنْ حِرْصِهِما عَلَى الْوِلايَةِ لَكانَ لي فيهِما رَأْيٌ**[2].

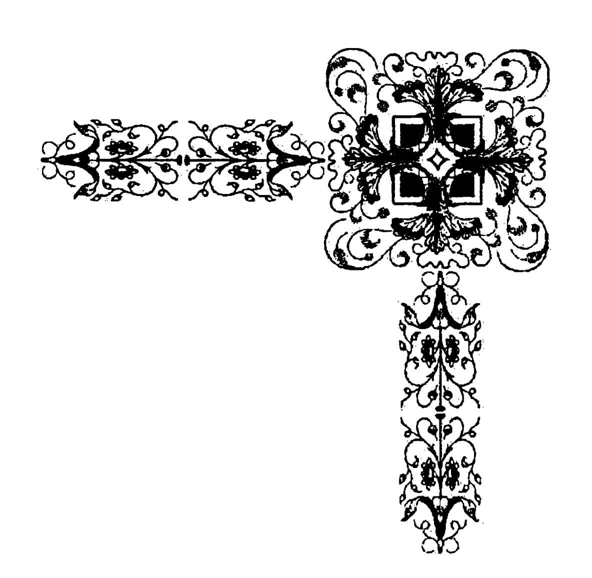
---

(١) صحيح البخاري: ٨: ١٠٧.

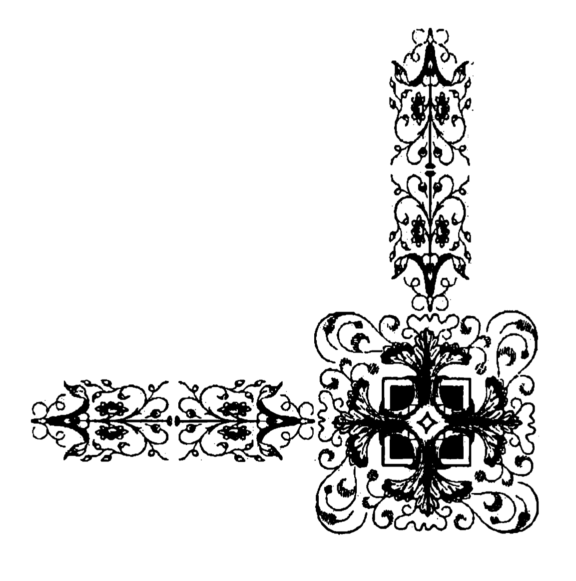
(٢) الإمامة والسياسة: ١: ٥١.

لقد احتاط الإمام عليه السلام أشدّ ما يكون الاحتياط في أُمور الولاة والموظّفين ، ممّا أدّى إلى مناجزة الأمويّين والقرشيّين لحكومته الذين لا يخضعون إلّا لمنافعهم الخاصّة ، وإعلان الحرب عليه .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض المناهج السياسيّة التي تبنّتها الشيعة ، وهي تنمّ عن مدى النضوج الفكري لهذه الطائفة التي ناهضت الجور ، وقاومت الظلم ، وعملت على إشاعة العدل بين الناس .



الأرصدة
التربويّة والأخلاقيّة
عند الشيعة



وتملك الشيعة أرصدة مشرقة من المناهج التربويّة والأخلاقيّة أمدّه بها أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ليكونوا قدوة حسنة في سلوكهم وآدابهم إلى أبناء الفِرق الإسلاميّة وغيرهم.

إنّ التشيّع بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة هو الإقتداء بالأئمّة الطاهرين عليهم السلام في تقواهم وورعهم، وشدّة تحرّجهم في الدين، فإذا شاء مَن يدّعي موالاتهم عن سلوكه، وانحرف عن الطريق القويم، وخالف أوامر الله تعالى، واقترف معاصيه، فإنّ إطلاق التشيّع عليه مسامحة، والصحيح أن يقال: إنّه من محبّي أهل البيت عليهم السلام، ويدعم ذلك:

١ ـ ما أُثر عن الإمام الحسن عليه السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وفد عليه شخص فقال له: يابن رسول الله، إنّي من شيعتكم.

فانبرى الإمام عليه السلام قائلاً: **يا عَبْدَ اللهِ، إنْ كُنْتَ لَنا في أَوامِرِنا وَزَواجِرِنا مُطيعاً فَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنْ كُنْتَ بِخِلافِ ذلِكَ فَلا تَزِدْ في ذُنوبِكَ بِدَعْواكَ مَرْتَبَةً شَريفَةً لَسْتَ مِنْ أَهْلِها، لا تَقُلْ: أَنا مِنْ شيعَتِكَ، وَلكِنْ قُلْ: أَنا مِنْ مَوالِيكُمْ وَمُحِبِّيكُمْ، وَمُعادِي أَعْدائِكُمْ، وَأَنْتَ في خَيْرٍ وَإِلىٰ خَيْرٍ**[1].

٢ ـ وقال الإمام زين العابدين عليه السلام لبعض شيعته: «**أَبْلِغْ شيعَتَنا أَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَ عَنْهُمْ**

---

(١) بحار الأنوار: ٦٥: ١٥٥.

مِنَ اللهِ شَيْءٌ، وَأَنَّ وَلايَتَنا لَا تُنالُ إِلَّا بِالْوَرَعِ»[١].

إنّ الورع عن محارم الله من أهمّ الوسائل التي يجب أن يتحلّى بها شيعة أهل البيت، ليكونوا قرّة عين لهم يوم يفدون على الله تعالى ويكونون زيناً لهم في الدنيا.

إنّ من أوثق الصلة بأهل البيت عليهم السلام اتّباع مناهجهم، والسير على ضوء تعاليمهم، وما أُثر عنهم من الزهد في الدنيا.

٣ ـ وقال الإمام الباقر عليه السلام «**إِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذا وَرِعَ في دِينِهِ، وَصَدَقَ الْحَديثَ، وَأَدّى الْأَمانَةَ، وَحَسَّنَ خُلُقَهُ مَعَ النّاسِ، قِيلَ هٰذا جَعْفَرِيٌّ، وَيَسُرُّني ذٰلِكَ، وَيَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْهُ السُّرورُ، وَقيلَ هٰذا أَدَبُ جَعْفَرٍ، وَإِذا كانَ عَلىٰ غَيْرِ ذٰلِكَ دَخَلَ عَلَيَّ بَلاؤُهُ وَعارُهُ، وَقيلَ هٰذا أَدَبُ جَعْفَرٍ...**»[٢].

٤ ـ أوصى الإمام الرضا عليه السلام شيعته قائلاً: «**اتَّقوا اللهَ أَيُّها النّاسُ في نِعَمِ اللهِ عَلَيْكُمْ، فَلا تُنَفِّروها عَنْكُمْ بِمَعاصِيهِ، وَاعْلَموا أَنَّكُمْ لَا تَشْكرونَ اللهَ بِشَيْءٍ بَعْدَ الْإِيمانِ بِاللهِ وَرَسولِهِ، وَبَعْدَ الْإِعْتِرافِ بِحُقوقِ أَوْلِياءِ اللهِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صلّى الله عليه وآله، أَحَبَّ مِنْ مُعاوَنَتِكُمْ لِإِخْوانِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ عَلىٰ دُنْياهُمُ الَّتي هِيَ مَعْبَرٌ لَكُمْ إِلىٰ جِنانِ رَبِّهِمْ، فَإِنَّ مَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ كانَ مِنْ خاصَّةِ اللهِ**»[٣].

إنّ تقوى الله من أهمّ الأرصدة الروحيّة التي تصدّ الإنسان عن معاصي الله واقتراف الآثام.

٥ ـ أمّا وصيّة الإمام الصادق عليه السلام إلى عمرو بن سعيد، فقد قال له: «**أُوصيكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَالْوَرَعِ وَالْإِجْتِهادِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ اجْتِهادٌ لَا وَرَعَ فيهِ.**

---

(١) الدرّ النظيم: ٥٨٧.

(٢) أُصول الكافي ـ كتاب العِشرة: ٢: ٦٣٦، الحديث ٥.

(٣) الدرّ النظيم: ٦٩٠ و ٦٩١.

وَإِيّاكَ أَنْ تَطْمَحَ نَفْسُكَ إِلىٰ مَنْ فَوْقَكَ ، وَكَفىٰ بِما قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسولِهِ صلى الله عليه وآله : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ﴾[١] ، وَقالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسولِهِ: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[٢] ، فَإِنْ خِفْتَ شَيْئاً مِنْ ذٰلِكَ فَاذْكُرْ عَيْشَ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، فَإِنَّما كانَ قُوتُهُ الشَّعيرَ ، وَحَلْواهُ التَّمْرَ ، وَوَقودُهُ السَّعْفَ إذا وَجَدَهُ ، وَإِذا أُصِبْتَ بِمُصيبَةٍ فَاذْكُرْ مُصابَكَ بِرَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، فَإِنَّ الْخَلْقَ لَمْ يُصابوا بِمِثْلِهِ قَطُّ »[٣].

وحفلت هذه الوصيّة بغرر النصائح التي يسعد بها الإنسان وتطيب بها حياته ، ويكون على اتّصال وثيق بخالقه .

وعلى أي حال ، فإنّا نعرض بصورة موجزة بعض النماذج من قضايا التربية والأخلاق التي أوْلى لها أئمّة أهل البيت عليهم السلام اهتماماً ، وهي من صميم التعاليم الإسلاميّة التي وضعت جميع المناهج الحيّة لإصلاح الإنسان وسعادته ، وفيما يلي ذلك :

١ ـ التراحم والتعاطف

وحثّ أئمّة الهدى عليهم السلام الشيعة وغيرهم على التعاطف والتراحم فيما بينهم :

١ ـ يقول الإمام الصادق عليه السلام : « **اتَّقوا اللهَ ، وَكونوا إِخْوَةً بَرَرَةً ، مُتَحابّينَ في اللهِ ، مُتَواصِلينَ ، مُتَواضِعينَ ، مُتَراحِمينَ ، تَزاوَروا ، وَتَلاقَوا وَتَذاكَروا وَأَحْيوا أَمْرَنا** »[٤].

إنّ من أرقى ما شرّعه الإسلام هو شيوع المودّة وإذاعة المحبّة بين المسلمين

---

(١) التوبة ٩: ٥٥.

(٢) طه ٢٠: ١٣١.

(٣) مجموعة ورّام: ٢: ١٨٦. أُصول الكافي: ٢: ٧٨، الحديث ١٨٩.

(٤) مجموعة ورّام: ٢: ١٧٩.

ليكونوا يداً واحدة على مَن سواهم ، وقد دعا أئمّة أهل البيت عليهم السلام شيعتهم وعموم المسلمين إلى تطبيق ذلك على حياتهم .

٢ ـ يقول الإمام الصادق عليه السلام : « **يَحِقُّ عَلَى الْمُسْلِمينَ الْإِجْتِهادُ في التَّواصُلِ وَالتَّعاونُ عَلَى التَّعاطُفِ وَالْمُواساةُ لِأَهْلِ الْحاجَةِ ، حَتّىٰ تَكُونُوا كَما أَمَرَكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ، مُتراحِمينَ ، مُغْتَمّينَ لِما غابَ عَنْكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ عَلىٰ ما مَضىٰ عَلَيهِ مَعْشَرُ الْأَنْصارِ عَلىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله** »[١] .

٣ ـ أكّد الإمام الصادق عليه السلام على ضرورة ذلك فقال : « **تَواصَلوا ، وَتَبارّوا ، وَتَراحَموا ، وَتَعاطَفوا** »[٢] .

إنّ هذه التعاليم المشرقة توجب سعادة الأُمّة وتضامنها وعزّتها .

٢ ـ التزاور

وحثّ أئمّة الهدى عليهم السلام شيعتهم على التزاور لأنّه يعقد أواصر المحبّة والإخاء فيما بينهم .

١ ـ يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **لِقاءُ الْإِخْوانِ مَغْنَمٌ جَسيمٌ وَلَوْ قَلّوا** »[٣] .

٢ ـ قال الإمام محمّد الباقر عليه السلام لخيثمة : « **بَلِّغْ شيعَتَنا السَّلامَ ، وَأَوْصِهِمْ بِتَقْوَى اللهِ الْعَظيمِ ، وَبِأَنْ يَعُودَ غَنِيُّهُمْ عَلىٰ فَقيرِهِمْ ، وَيَعُودَ صَحيحُهُمْ عَليلَهُمْ ، وَيَحْضُرَ حَيُّهُمْ جَنازَةَ مَيِّتِهِمْ ، وَيَتَلاقَوا في بُيُوتِهِمْ فَإِنَّ لِقاءَ بَعْضِهِمْ بَعْضاً حَياةٌ لِأَمْرِنا . رَحِمَ اللهُ امْرَءاً أَحْيا أَمْرَنا وَعَمِلَ بِأَحْسَنِهِ . وَقُلْ لَهُمْ إِنّا لَنْ نُغْني عَنْهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِلَّا بِعَمَلٍ صالِحٍ** ،

---

(١) أُصول الكافي : ٢ : ١٤٠ ، الحديث ٤ .

(٢) أُصول الكافي : ٢ : ١٧٥ ، الحديث ٣ .

(٣) أُصول الكافي : ٢ : ١٧٩ ، الحديث ١٦ .

وَلَنْ يَنالُوا وَلَايَتَنا إِلَّا بِالْوَرَعِ وَالْإِجْتِهادِ، وَإِنَّ أَشَدَّ النّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ لَمَنْ وَصَفَ عَمَلاً ثُمَّ خالَفَهُ إِلىٰ غَيْرِهِ»[١].

٣ ـ وقال عليه السلام أيضاً: «**إِنَّما شِيعَةُ عَلِيٍّ عليه السلام الْمُتَباذِلُونَ في وَلايَتِنا، الْمُتَحابّونَ في مَوَدَّتِنا، الْمُتَزاوِرونَ لإِحْياءِ أَمْرِنا، الَّذينَ إِذا غَضِبوا لَمْ يَظْلِموا، وَإِذا رَضُوا لَمْ يُسْرِفوا، بَرَكَةٌ عَلىٰ مَنْ جاوَرَهُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ خالَطوا»**[٢].

٤ ـ وأكّد ذلك الإمام الصادق عليه السلام في حديث له مع بعض شيعته قائلاً: «**تَزاوَرُوا، فَإِنَّ في زِيارَتِكُمْ إِحْياءً لِقُلوبِكُمْ، وَذِكْراً لأَحاديثِنا، وَأَحاديثُنا تَعْطِفُ بَعْضَكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ، فَإِنْ أَخَذْتُمْ بِها رَشَدْتُمْ وَنَجَوْتُمْ، وَإِنْ تَرَكْتُموها ضَلَلْتُمْ وَهَلَكْتُمْ، فَخُذوا بِها، وَأَنا بِنَجاتِكُمْ زَعيمٌ»**[٣].

وكثير من الأخبار التي أُثرت عن أئمّة الهدى عليهم السلام وهي تدعو شيعتهم إلى التزاور والتعاطف، لأنّها من أقوى العناصر في جمع الكلمة وشيوع المحبّة والمودّة بينهم.

٣ ـ قضاء الحوائج

من القضايا التربويّة والأخلاقيّة التي حثّ عليها أئمّة أهل البيت عليهم السلام هي قضاء حوائج الناس لأنها من أهمّ الوسائل في ربط المسلمين بعضهم ببعض.

١ ـ روى صفوان الجمّال ـ وهو من خيار الشيعة ـ قال: «كنت مع أبي عبدالله الصادق عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل مكّة يقال له ميمون، فشكا تعذّر الكراء عليه، فقال لي: **قُمْ فَأَعِنْ أَخاكَ**.

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار: ٢٢٣.

(٢) تحف العقول: ٣٠٠.

(٣) وسائل الشيعة: ١٨: ٦١.

وانطلق صفوان معه فقضى حاجته، وقفل راجعاً إلى الإمام فبادره قائلاً: **ما صَنَعْتَ في حاجَةِ أَخيكَ؟**

- قضاها الله، بأبي أنت وأمّي.

فسرّ الإمام عليه السلام بذلك وراح يقول له: **أَما إنَّكَ إنْ تُعينَ أَخاكَ الْمُسْلِمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَوافِ أُسْبُوعٍ بِالْبَيْتِ مُبْتَدِئاً.**

٢ - قال الإمام الجواد عليه السلام: «**ما عَظُمَتْ نِعَمُ اللهِ عَلىٰ أَحَدٍ إلّا عَظُمَتْ إِلَيْهِ حَوائِجُ النّاسِ، فَمَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ تِلْكَ الْمَؤونَةَ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوالِ**»[١].

وتظافرت الأخبار الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في الحثّ على قضاء حوائج المسلمين لأنّه يبعث الحبّ والوئام ويؤدّي إلى تماسك المجتمع.

٣ - الإغاثة والمواساة

من بنود التربية المشرقة التي حثّ عليها أئمّة الهدى عليهم السلام إغاثة المسلمين ومواساتهم في السرّاء والضرّاء.

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَنْ مَشىٰ في قَضاءِ حاجَةِ أَخيهِ ساعَةً في لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ وَقَضاها أَوْ لَمْ يَقْضِها كانَ خَيْراً مِنِ اعْتِكافِ شَهْرٍ**»[٢].

٢ - يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**خَيْرُ إِخْوانِكَ مَنْ واساكَ، وَخَيْرٌ مِنْهُ مَنْ كَفاكَ**»[٣].

٣ - قال الإمام الباقر عليه السلام: «**تَنافَسوا في الْمَعْروفِ لإِخْوانِكُمْ، وَكُونوا مِنْ أَهْلِهِ،**

---

(١) الفصول المهمّة: ٢٥٨.

(٢) أُصول الكافي: ٢: ١٩٤، الحديث ٩.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠: ٣٠٢.

فَإِنَّ لِلْجَنَّةِ باباً يُقالُ لَها الْمَعْروفُ ، لا يَدْخُلُهُ إِلَّا مَنِ اصْطَنَعَ الْمَعْروفَ في الْحَياةِ الدُّنْيا ، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَمْشي في حاجَةِ أَخيهِ الْمُؤْمِنِ فَيُوَكِّلُ اللهُ تَعالىٰ بِهِ مَلَكَيْنِ واحِدٌ عَنْ يَمينِهِ ، وَآخَرُ عَنْ شِمالِهِ ، يَسْتَغْفِرانِ لَهُ رَبَّهُ ، وَيَدْعُوانِ لَهُ بِقَضاءِ حاجَتِهِ »(١) .

٤ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام : « إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمالِ إِلَى اللهِ تَعالىٰ إِدْخالُ السُّرورِ عَلَى الْمُؤْمِنينَ »(٢) .

٥ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً نَفَّسَ اللهُ تَعالىٰ عَنْهُ كُرَبَ الْآخِرَةِ ، وَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ وَهُوَ ثَلِجُ الْفُؤادِ ، وَمَنْ أَطْعَمَهُ مِنْ جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللهُ تَعالىٰ مِن ثِمارِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ سَقاهُ شَرْبَةً سَقاهُ اللهُ تَعالىٰ مِنَ الرَّحيقِ الْمَخْتومِ »(٣) .

٦ ـ وأكّد الإمام الصادق عليه السلام في كثير من أحاديثه على ذلك ، قال : « أَيُّما مُؤْمِنٍ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً وَهُوَ مُعْسِرٌ يَسَّرَ اللهُ لَهُ حَوائِجَهُ في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ .

وَمَنْ سَتَرَ عَلىٰ مُؤْمِنٍ عَوْرَةً يَخافُها سَتَرَ اللهُ عَلَيْهِ سَبْعينَ عَوْرَةً مِنْ عَوْراتِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ .

وَاللهُ في عَوْنِ الْمُؤْمِنِ ما كانَ الْمُؤْمِنُ في عَوْنِ أَخيهِ ، فَانْتَفِعوا في الْعِظَةِ ، وَارْغَبوا في الْخَيْرِ »(٤) .

٧ ـ وقال الإمام الرضا عليه السلام : « مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ فَرَّجَ اللهُ تَعالىٰ عَنْ قَلْبِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ »(٥) .

---

(١) أُصول الكافي : ٢ : ١٩٥ ، الحديث ١٠ .
(٢) أُصول الكافي : ٢ : ١٨٩ ، الحديث ٤ .
(٣) أُصول الكافي : ٢ : ١٩٩ ، الحديث ٣ .
(٤) أُصول الكافي : ٢ : ٢٠٠ ، الحديث ٥ .
(٥) أُصول الكافي : ٢ : ٢٠٠ ، الحديث ٤ .

وكثير من أمثال هذه الأحاديث تظافرت عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام وهي تدعو المسلمين إلى إغاثة بعضهم بعضاً ، وإلى شيوع المواساة فيما بينهم ، ومن الطبيعي إنّ ذلك يؤدّي إلى نشر المحبّة والوئام .

النهي عن عوامل التفرقة

نهى أئمّة الهدى عليهم السلام شيعتهم عن جميع العوامل التي تؤدّي إلى التفرقة وشيوع الكراهية والبغضاء فيما بينهم، وهذه بعضها:

١ ـ التقاطع

ونهى أئمّة أهل البيت عليهم السلام شيعتهم عن التقاطع فيما بينهم.

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ**»[١].

٢ ـ خاطب الإمام الصادق عليه السلام شيعته قائلاً: «**أَيُّما مُسْلِمَيْنِ تَهاجَرا فَمَكَثا ثَلاثاً لَا يَصْطَلِحانِ إِلَّا كانا خارِجَيْنِ عَنِ الْإِسْلامِ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُما وَلايَةٌ، فَأَيُّهُما سَبَقَ الْكَلامَ لِأَخيهِ كانَ السّابِقَ إِلَى الْجَنَّةِ يَوْمَ الْحِسابِ**»[٢].

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لَا يَفْتَرِقُ رَجُلانِ عَلَى الْهِجْرانِ إِلّا اسْتَوْجَبَ أَحَدُهُما الْبَراءَةَ وَاللَّعْنَةَ، وَرُبَّما اسْتَحَقَّ ذلِكَ كِلاهُما.**

فانبرى إليه معتّب قائلاً: جعلني الله فداك، هذا للظالم، فما بال المظلوم؟

فأجابه الإمام: **لِأَنَّهُ لا يَدْعو أَخاهُ إِلىٰ صِلَتِهِ، وَلَا يَتَغامَسُ لَهُ عَنْ كَلامِهِ، سَمِعْتُ أَبي يَقولُ: إِذا تَنازَعَ اثْنانِ فَسَبَّ أَحَدُهما الْآخَرَ فَلْيَرْجِعِ الْمَظْلُومُ إِلىٰ صاحِبِهِ حَتّىٰ يَقولَ لَهُ: أَيْ أَخي، أَنا الظّالِمُ حَتّىٰ يَقْطَعَ الْهِجْرانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صاحِبِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى حَكَمٌ**

---

(١) وسائل الشيعة: ٢: ٣٤٤.

(٢) أُصول الكافي: ٢: ٣٤٥، الحديث ٥.

عَدْلٌ يَأْخُذُ لِلمَظْلُومِ مِنَ الظّالِمِ»[١].

وتظافرت الأخبار عن الأئمّة عليهم السلام ، وهي تشجب التقاطع والتباعد ، وتدعو إلى الأُلفة والمحبّة لتسود روح الاخوّة بين المسلمين .

٢ ـ عدم التعاون

وكره أئمّة أهل البيت عليهم السلام عدم التعاون بين المسلمين .

١ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام : « **ما مِنْ عَبْدٍ يَمْتَنِعُ عَنْ مَعونَةِ أَخيهِ الْمُسْلِمِ ، وَالسَّعْيِ لَهُ في حاجَتِهِ ، قُضِيَتْ لَهُ أَوْ لَمْ تُقْضَ ، إِلَّا ابْتُلِيَ بِالسَّعْيِ في حاجَةٍ فيما يَأْثَمُ عَلَيْهِ وَلَا يُؤْجَرُ وَما مِنْ عَبْدٍ يَبْخَلُ بِنَفَقَةٍ يَنْفِقُها فيما يُرضي اللهَ إِلَّا ابْتُلِيَ بِأَنْ يُنْفِقَ أَضْعافَها فيما أَسْخَطَ اللهَ** »[٢].

٢ ـ وعنه عليه السلام : «**لِيُعِنْ قَوِيُّكُم ضَعيفَكُمْ ، وَلِيَعْطِفْ غَنِيُّكُمْ عَلىٰ فَقيرِكُمْ ، وَلِيَنْصَحِ الرَّجُلُ أَخاهُ كَنَصيحَتِهِ لِنَفْسِهِ ، وَاكْتُموا أَسْرارَنا ، وَلَا تَحْمِلوا النّاسَ عَلىٰ أَعْناقِنا ، وَانْظُروا أَمْرَنا وَما جاءَكُمْ عَنّا ، فَإِنْ وَجَدْتموهُ لِلْقُرْآنِ مُوافِقاً فَخُذوا بِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَجِدوهُ مُوافِقاً فَرُدّوهُ ، وَإِنِ اشْتَبَهَ عَلَيْكُمُ الْأَمْرُ فَقِفوا عِنْدَهُ ، وَرُدُّوهُ إِلَيْنا حَتّىٰ نَشْرَحَ لَكُمْ مِنْ ذلِكَ ما شُرِحَ لَنا** »[٣].

٣ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام لأصحابه وهو متألّم مغيظ : « **ما لَكُمْ تَسْتَخِفّونَ بِنا ؟** فانبرى إليه رجل من خراسان قائلاً : معاذ الله أن نستخفّ بك أو بشيء من أمرك . فأجابه الإمام عليه السلام وهو مغيظ قائلاً له : **إِنَّكَ أَحَدُ مَنِ اسْتَخَفَّ بِنا** .

---

(١) أُصول الكافي : ٢ : ٣٤٤ ، الحديث ١ .

(٢) تحف العقول : ٢٩٣ .

(٣) أمالي الطوسي : ٢٣٢ .

- معاذ الله أن أستخفّ بك.

- **وَيْحَكَ أَلَمْ تَسْمَعْ فُلاناً وَنَحْنُ بِقُرْبِ الْجُحْفَةِ وَهُوَ يَقولُ لَكَ: احْمِلْني قَدَرَ ميلٍ فَقَدْ وَاللهِ أَعْيَيْتُ، وَاللهِ ما رَفَعْتَ لَهُ رَأْساً، لَقَدِ اسْتَخْفَفْتَ بِهِ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِمُؤْمِنٍ فَبِنا اسْتَخَفَّ، وَضَيَّعَ حُرْمَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»**(١).

٤ - وخاطب الإمام أبو الحسن عليه السلام شيعته قائلاً: **«مَنْ قَصَدَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ إِخْوانِهِ مُسْتَجيراً بِهِ في بَعْضِ أَحْوالِهِ فَلَمْ يُجِرْهُ بَعْدَ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ فَقَدْ قَطَعَ وَلايَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»**(٢).

وكثير من أمثال هذه الأحاديث المشرقة أدلى بها الأئمّة الطاهرون، وهي تنهى عن عدم التعاون لأنّه يوجب انقطاع المودّة والألفة بين المسلمين.

٣- إرهاب الناس

وحرّم أئمّة أهل البيت عليهم السلام إرهاب الناس وترويعهم لأنّ ذلك من الظلم الفاش الذي حرّمه الإسلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام: **«مَنْ رَوعَ مُؤْمِناً بِسُلْطانٍ لِيُصيبَهُ مِنْهُ مَكْروهٌ فَلَمْ يُصِبْهُ فَهُوَ في النّارِ، وَمَنْ رَوَّعَ مُؤْمِناً بِسُلْطانٍ لِيُصيبَهُ مِنْهُ مَكْروهٌ فَأَصابَهُ فَهُوَ مَعَ فِرْعَوْنَ وَآلِ فِرْعَوْنَ في النّارِ»**(٣).

وكثير من أمثال هذا الحديث أُثرت عن الأئمّة الطاهرين دلّت بوضوح على حرمة ذلك، لأنّ فيه تدميراً للحياة الإسلاميّة القائمة على الأمن والسلام.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٢: ٢٧٢.

(٢) أُصول الكافي: ٢: ٣٦٦، الحديث ٤.

(٣) أُصول الكافي: ٢: ٣٦٨، الحديث ٢.

٤ ـ الإيذاء والتحقير

ووردت كوكبة من الأخبار عن أئمّة الهدى عليهم السلام تنهى عن إيذاء الناس واحتقارهم.

١ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تُحَقِّروا مُؤْمِناً فقيراً، فإِنَّهُ مَنْ حَقَّرَ مُؤْمِناً فقيراً أَوِ اسْتَخَفَّ بِهِ حَقَّرَهُ اللهُ، وَلَمْ يَزَلِ اللهُ ماقِتاً لَهُ حَتّىٰ يَرْجِعَ مِنْ مَحْقَرَتِهِ أَوْ يَتُوبَ، وَمَنِ اسْتَذَلَّ مُؤْمِناً أَوِ احْتَقَرَهُ لِقِلَّةِ ذاتِ يَدِهِ وَفَقْرِهِ، شَهَّرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلىٰ رُؤوسِ الْخَلائِقِ**»(١).

٢ ـ وقال عليه السلام: «**مَنْ حَقَّرَ مُؤْمِناً مِسْكيناً أَوْ غَيْرَ مِسْكينٍ لَمْ يَزَلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حاقِراً لَهُ ماقِتاً حَتّىٰ يَرْجِعَ عَنْ مَحْقَرَتِهِ إِيّاهُ**»(٢).

إنّ إيذاء الناس واحتقارهم لا يصدر إلّا من النفس الشريرة التي لا تؤمن بالقيم الإنسانيّة، ولا بالمعاني الكريمة، ومن ثمّ حذّر الأئمّة عنها.

٥ ـ السباب

وحرّم الأئمّة عليهم السلام السباب والشتائم، وأوصوا شيعتهم بذلك.

١ ـ قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «**إِنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فَقالَ: أَوْصِني، فَكانَ فيما أَوْصاهُ: لَا تَسبّوا النّاسَ فَتَكْتَسِبوا الْعَداوَةَ بَيْنَهُمْ**»(٣).

٢ ـ وقال عليه السلام: «**ما مِنْ إِنْسانٍ يَطْعَنُ في عَيْنِ مُؤْمِنٍ إِلّا ماتَ بِشَرِّ ميتَةٍ، وَكانَ قَمِناً أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلىٰ خَيْرٍ**»(٤).

---

(١) المحاسن: ٧٤.

(٢) التمحيص: ٥٠.

(٣) تحف العقول: ٤١.

(٤) أُصول الكافي: ٢: ٣٦١، الحديث ٩.

وكثير من الأخبار التي أُثرت عن الأئمّة المعصومين قد حذّرت من السباب لأنّه يسبّب نشر العداوة والبغضاء بين الناس وذلك يتنافى مع ما يريده الإسلام من نشر الصفاء والوئام والمودّة بين الناس.

٦ـ تتبّع العثرات والعيوب

وكان ممّا حذّر منه الأئمّة الطاهرون تتبّع عثرات الناس، ونشر عيوبهم ونقائصهم.

قال الإمام محمّد الباقر عليه السلام: «**إنَّ أَقْرَبِ ما يَكونُ الْعَبْدُ إلَى الْكُفْرِ أَنْ يؤاخي الرَّجُلُ الرَّجُلَ عَلىٰ الدِّينِ فَيُحصي عَلَيْهِ زَلّاتِهِ لِيُعَيِّرَهُ بِها يَوْماً ما**»[١].

وتواترت الأخبار بمثل هذا المضمون وهي تهيب بالمسلمين من أن يتّصفوا بهذه الصفة الذميمة التي تؤدّي إلى شيوع الرذيلة بينهم.

٧ـ الانتقاص

ومن الرذائل التي حرّمها الأئمّة الطاهرون انتقاص الناس.

١ ـ أُثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**مَنْ أَذاعَ فاحِشَةً كانَ كَمُبْتَدِئِها، وَمَنْ عَيَّرَم مُؤْمِناً بِشَيْءٍ لَمْ يَمُتْ حَتّىٰ يَرْكَبَهُ**»[٢].

٢ ـ يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**مَنْ رَوىٰ عَلىٰ مُؤْمِنٍ رِوايَةً يُريدُ بِها شَيْنَهُ وَهَدْمَ مُروءَتِهِ لِيَسْقُطَ مِنْ أَعْيُنِ النّاسِ أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْ وَلَايَتِهِ إلىٰ وَلَايَةِ الشَّيْطانِ**»[٣].

٣ ـ وعنه عليه السلام أيضاً: «**إنَّ أَقْرَبَ ما يَكونُ أَحَدُكُمْ إلَى الْكُفْرِ أَنْ يَحْفَظَ عَلىٰ أَخيهِ زَلَّةً**

---

(١) أُصول الكافي: ٢: ٣٥٤، الحديث ١.

(٢) مستدرك الوسائل: ١: ١١٤.

(٣) مجموعة ورّام: ٢: ٢٠٩. أُصول الكافي: ٢: ٣٦٨، الحديث ١.

لِيُعَيِّرَهُ بِهِ يَوْماً مّا »[١].

٤ ـ وقال عليه السلام : « **مَنْ لَقِيَ أَخاهُ بِما يُؤَنِّبُهُ أَنَّبَهُ اللهُ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ** »[٢].

وغير ذلك من الأخبار التي أُثرت عن الأئمّة الطاهرين ، وهي تحذّر المسلمين من ذلك حفظاً على وحدة المسلمين وتضامنهم .

٨ ـ التفاخر

وكان ممّا حذّر منه الأئمّة العظام التفاخر بالأنساب ، لأنّه موجب لتصديع الوحدة الإسلاميّة ، فإنّ الناس في شريعة الإسلام سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لأحدٍ على أحد إلّا بالتقوى وعمل الصالح .

وكان ممّا أُثر عن الأئمّة عليهم السلام في ذلك أنّ عقبة بن بشير الأسدي ـ وكان من الشخصيّات البارزة في عصره ـ تشرّف بمقابلة الإمام أبي جعفر عليه السلام ، وأخذ يعرّفه بنسبه ويفخر بآبائه قائلاً : أنا عقبة بن بشير ، وأنا في الحسب الضخم من قومي .

فردّ عليه الإمام قائلاً : « **ما تَمُنُّ عَلَيْنا بِحَسَبِكَ ، إِنَّ اللهَ رَفَعَ بِالْإِيمانِ مَنْ كانَ النّاسُ يُسَمُّونَهُ وَضيعاً ، إِذا كانَ مُؤْمِناً وَوَضَعَ بِالْكُفْرِ مَنْ كانَ النّاسُ يُسَمُّونَهُ شَرِيفاً إِذا كانَ كافِراً فَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلىٰ أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوىٰ** »[٣].

إنّ الإسلام رفع مكانة المؤمنين والمتّقين ، وإن كانوا ضعفاء بالمال والنسب ، فإنّه لا جاه في حسب ولا نسب في شريعة الإسلام ، كما حطّ من مكانة الكافرين والطغاة والجبابرة وإن كانت لهم منزلة مرموقة في الأوساط الاجتماعيّة .

---

(١) الغايات : ٢٣٤.

(٢) أُصول الكافي : ٢ : ٣٥٦ ، الحديث ٤.

(٣) أُصول الكافي : ٢ : ٢٤٧ ، الحديث ٣.

رسالة الإمام الصادق عليه السلام إلى الشيعة

وزوّد الإمام الصادق شيعته برسالة حفلت بأروع النصائح وأمرهم بمدارستها والنظر فيها، وتعاهدها والعمل بما فيها، وكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها..

ونقتطف منها بعض فصولها، قال عليه السلام:

«أَمّا بَعْد: فَسَلُوا رَبَّكُمُ الْعافِيَةَ، وَعَلَيْكُمْ بِالدِّعَةِ[1] وَالْوَقارِ، وَالسَّكينَةِ وَالْحَياءِ، وَالتَّنَزُّهِ عَمّا تَنَزَّهَ عَنْهُ الصّالِحونَ مِنْكُمْ.

ثمّ ذكر الإمام جملة من الوصايا القيّمة، وأضاف يقول عليه السلام:

وَإِيّاكُمْ وَالتَّجَبُّرَ عَلَى اللهِ، وَاعْلَموا أَنَّ عَبْداً لَمْ يُبْتَلَ بِالتَّجَبُّرِ عَلَى اللهِ إِلَّا تَجَبَّرَ عَلىٰ دينِ اللهِ، فَاسْتَقيموا للهِ، وَلَا تَرْتَدّوا عَلىٰ أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبوا خاسِرينَ، أَجارَنا اللهُ وَإِيّاكُمْ مِنَ التَّجَبُّرِ عَلَى اللهِ، وَلَا قُوَّةَ لَنا وَلَكُمْ إِلَّا بِاللهِ[2].

لقد حذّرهم من التجبّر الذي هو من أعظم الرذائل التي يمنى بها الإنسان، فهو مصدر الجرائم والكوارث التي يصاب بها المجتمع الإنساني.

ومن بنود هذه الرسالة قوله عليه السلام:

صَبِّروا النَّفْسَ عَلَى الْبَلايا في الدُّنْيا، فَإِنَّ تَتابُعَ الْبَلاءِ فيها، وَالشِّدَّةَ في

---

(١) الدعة: الطمأنينة وخفض العيش.

(٢) أشعّة من بلاغة الإمام الصادق عليه السلام: ١٠١.

طاعَةِ اللهِ وَوَلايَتِهِ وَوِلايَةِ مَنْ أَمَرَ بِوِلايَتِهِ خَيْرٌ عاقِبَةٍ عِنْدَ اللهِ في الْآخِرَةِ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيا ، وَإِنْ طالَ تَتابُعُ نَعيمِها وَزَهْرَتِها ، وَغَضارَةُ عَيْشِها في مَعْصِيَةِ اللهِ ، وَوِلايَةُ مَنْ نَهَى اللهُ عَنْ وِلايَتِهِ وَطاعَتِهِ ، فَإِنَّ اللهَ أَمَرَ بِوِلايَةِ الْأَئِمَّةِ الَّذينَ سَمّاهُمْ في كتابِهِ في قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[1] ، وَهُمُ الَّذينَ أَمَرَ اللهُ بِوِلايَتِهِمْ وَطاعَتِهِمْ ، وَالَّذينَ نَهَى اللهُ عَنْ وِلايَتِهِمْ وَطاعَتِهِمْ هُمْ أَئِمَّةُ الضَّلالِ الَّذينَ قَضَى اللهُ أَنْ يَكونَ لَهُمْ دُوَلٌ في الدُّنْيا عَلىٰ أَوْلِياءِ اللهِ الْأَئِمَّةِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَعْمَلونَ في دَوْلَتِهِمْ بِمَعْصِيَةِ اللهِ وَمَعْصِيَةِ رَسولِهِ لِيَحِقَّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذابِ ، وَلِيَتِمَّ أَمْرُ اللهِ فيهِمُ الَّذي خَلَقَهُمْ في الْأَصْلِ أَصْلِ الْخَلْقِ مِنَ الْكُفْرِ الَّذي سَبَقَ في عِلْمِ اللهِ ، وَمِنَ الَّذينَ سَمّاهُمُ اللهُ في كتابِهِ في قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[2].

لقد أمر الإمام عليه السلام شيعته بالصبر على بلاء الدنيا وكوارثها ، كما أمرهم بالشدّة في طاعة الله تعالى ، وطاعة أوليائه وولاة أمره ، وهم الأئمّة الطاهرون حملة الرسالة وخزنة علوم النبيّ ﷺ ، الذين ابتلاهم بأئمّة الجور والضلال في عصرهم ، وهم الذين نهى الله عن ولايتهم .

ومن فصول هذه الرسالة قوله عليه السلام :

أَيَّتُها الْعِصابَةُ الْمَرْحومَةُ الْمُفْلِحَةُ ، إِنَّ اللهَ تَعالىٰ أَتَمَّ لَكُمْ ما آتاكُمْ مِنَ الْخَيْرِ ، وَاعْلَموا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِلْمِ اللهِ وَلا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ يَأْخُذَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ في دينِهِ

---

(١) الأنبياء ٢١: ٧٣.

(٢) القصص ٢٨: ٤١.

بِهَوىً وَلا رَأْيٍ وَلا مَقايِسَ..

قَدْ أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ، وَجعَلَ فيهِ تَبْيانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَجَعَلَ لِلْقُرْآنِ وَلِتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ أَهْلاً لا يَسَعُ أَهْلَ عَلْمِ الْقُرْآنِ الَّذينَ آتاهُمُ اللهُ عِلْمَهُ أَنْ يَأْخُذوا فيهِ بِهَوىً، وَلا رَأْيٍ وَلا مَقايِسَ، أَغْناهُمُ اللهُ عَنْ ذٰلِكَ بِما آتاهُمْ مِنْ عِلْمِهِ، وَخَصَّهُمْ بِهِ، وَوَضَعَهُ عِنْدَهُمْ، وَكَرامَةً مِنَ اللهِ تَعالىٰ أَكْرَمَهُمْ بِها، وَهُمْ أَهْلُ الذِّكْرِ الَّذينَ أَمَرَ اللهُ هٰذِهِ الأُمَّةَ بِسُؤالِهِمْ.

وَهُمُ الَّذينَ مَنْ سَأَلَهُمْ، وَقَدْ سَبَقَ في عِلْمِ اللهِ أَنْ يُصَدِّقَهُمْ، وَيَتَّبِعَ أَثَرَهُمْ، أَرْشَدوهُ وَأَعْطوهُ مِنْ عِلْمِ الْقُرْآنِ ما يَهْتَدي بِهِ إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ، وَإِلىٰ جَميعِ سُبُلِ الْحَقِّ.

وَهُمُ الَّذين لا يُرْغَبُ عَنْهُمْ وَعَنْ مَسْأَلَتِهِمْ، وَعَنْ عِلْمِهِمُ الَّذي أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِهِ، وَجَعَلَهُ عِنْدَهُمْ إِلّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ في عِلْمِ اللهِ الشَّقاءُ في أَصْلِ الْخَلْقِ تَحْتَ الْأَظِلَّةِ[1]، فَأُوْلٰئِكَ الَّذينَ يَرْغَبونَ عَنْ سُؤالِ أَهْلِ الذِّكْرِ وَالَّذينَ آتاهُمُ اللهُ تَعالىٰ عِلْمَ الْقُرْآنِ، وَوَضَعَهُ عِنْدَهُمْ وَأَمَرَ بِسُؤالِهِمْ، فَأُوْلٰئِكَ الَّذينَ يَأْخُذونَ بِأَهْوائِهِمْ وَآرائِهِمْ وَمَقايِسِهِمْ حَتّىٰ دَخَلَهُمُ الشَّيْطانُ، لأَنَّهُمْ جَعَلوا أَهْلَ الإِيْمانِ في عِلْمِ الْقُرْآنِ عِنْدَ اللهِ كافِرِيْنَ، وَجَعَلوا أَهْلَ الضَّلالَةِ في عِلْمِ الْقُرْآنِ عِنْدَ اللهِ مُؤْمِنينَ، وَحَتّىٰ جَعَلوا ما أَحَلَّ اللهُ في كَثيرٍ مِنَ الْأَمْرِ حَراماً، وَجَعَلوا ما حَرَّمَ اللهُ في كَثيرٍ مِنَ الْأَمْرِ حَلالاً، فَذلِكَ أَصْلُ ثَمَرَةِ أَهْوائِهِمْ، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيْهِمْ رَسولُ

---

(١) الأظلّة: هي أظلّة العرش.

اللهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ، فَقالوا: نَحْنُ بَعْدَ ما قَبَضَ اللهُ تَعالىٰ رَسولَهُ، وَبَعْدَ عَهْدِهِ الَّذي عَهِدَهُ إِلَيْنا، وَأَمْرِنا بِهِ مُخالِفينَ لِلهِ تَعالىٰ وَلِرَسولِهِ.

وتحدّث الإمام عليه السلام عمّا حدث في الأُمّة من الانحراف والزيغ من جرّاء تركهم وصيّة نبيّهم باتّباع عترته، وعدم تسليم القيادة الروحيّة والزمنيّة لسيّد العترة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن بنود هذه الرسالة قوله:

أَكْثِروا مِنَ الدُّعاءِ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنْ عِبادِهِ الَّذينَ يَدْعُونَهُ، وَقَدْ وَعَدَ عِبادَهُ الْمُؤْمِنينَ الْإِسْتِجابَةَ، وَاللهُ مُصَيِّرٌ دُعاءَ الْمُؤْمِنينَ يَوْمَ الْقِيامَةِ لَهُمْ عَمَلاً، يَزيدُهُمْ بِهِ في الْجَنَّةِ.

وَأَكْثِروا ذِكْرَ اللهِ ما اسْتَطَعْتُمْ في كُلِّ ساعَةٍ مِنْ ساعاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ، فَإِنَّ اللهَ أَمَرَ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ لَهُ، وَاللهُ ذاكِرٌ مَنْ ذَكَرَهُ مِنَ الْمُؤْمِنينَ، إِنَّ اللهَ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنينَ إِلَّا ذَكَرَهُ بِخَيْرٍ، فَأَعْطوا اللهَ مِنْ أَنْفُسِكُمُ الْإِجْتِهادَ في طاعَتِهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُدْرَكُ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَهُ إِلّا بِطاعَتِهِ، وَاجْتِنابِ مَحارِمِهِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ تَعالىٰ في ظاهِرِ الْقُرْآنِ وَباطِنِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ قالَ في كِتابِهِ: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾[1]، وَاعْلَموا أَنَّ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يَجْتَنِبوهُ فَقَدْ حَرَّمَهُ.

وَاتَّبِعوا آثارَ رَسولِ اللهِ ﷺ فَخُذوا بِها، وَلَا تَتَّبِعوا أَهْواءَكُمْ وَآراءَكُمْ فَتَضِلّوا، فَإِنَّ أَضَلَّ النّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنِ اتَّبَعَ هَواهُ وَرَأْيَهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ[2]،

---

(١) الأنعام ٦: ١٢٠.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي »

وَأَحْسِنوا إِلىٰ أَنْفُسِكُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها [١].

جامِلوا النّاسَ ، وَلَا تَحْمِلوهُمْ عَلىٰ رِقابِكُمْ ، تَجْمَعوا مَعَ ذٰلِكَ طاعَةَ رَبِّكُمْ ، وَإِيّاكُمْ وَسَبَّ أَعْداءِ اللهِ حَيْثُ يَسْمَعونَكُمْ فَيَسُبّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْم [٢]، وَقَدْ يَنْبَغي لَكُمْ أَنْ تَعْلَموا حَدَّ سَبِّهِمْ للهِ كَيْفَ هُوَ ؟ إِنَّهُ مَنْ سَبَّ أَوْلِياءَ اللهِ فَقَدِ انْتَهَكَ سَبَّ اللهِ.

وبعد هذه الوصايا الحافلة بالقيم الكريمة والمُثل العليا قال عليه السلام :

أَيَّتُها الْعِصابَةُ الْحافِظُ اللهُ لَهُمْ أَمْرَهُمْ ، عَلَيْكُمْ بِآثارِ رَسولِ اللهِ وَسُنَّتِهِ ، وَآثارِ الْأَئِمَّةِ الْهُداةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مِنْ بَعْدِهِ وَسُنَّتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ أَخَذَ بِذلِكَ فَقَدِ اهْتَدىٰ ، وَمَنْ تَرَكَ ذلِكَ وَرَغِبَ عَنْهُ ضَلَّ ، لأَنَّهُمْ هُمُ الَّذينَ أَمَرَ اللهُ بِطاعَتِهِمْ وَوَلايَتِهِمْ ، وَقَدْ قالَ أَبونا رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : الْمُداوَمَةُ عَلَى الْعَمَلِ في اتِّباعِ الْآثارِ وَالسُّنَنِ ، وَإِنْ قَلَّ أَرْضىٰ للهِ وَأَنْفَعُ عِنْدَهُ في الْعاقِبَةِ مِنَ الْإِجْتِهادِ في الْبِدَعِ وَاتِّباعِ الْأَهْواءِ ، أَ إِنَّ اتِّباعَ الْأَهْواءِ وَاتِّباعَ الْبِدَعِ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ ضَلالٌ ، وَكُلُّ ضَلالٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ في النّارِ ، وَلَنْ يُنالَ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَ اللهِ إِلّا بِطاعَتِهِ وَالصَّبْرِ.

﴿ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ القصص ٢٨ : ٥٠.

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ الإسراء ١٧ : ٧.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الأنعام ٦ : ١٠٨.

وَاعْلَموا أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ عَبْدٌ مِنْ عَبيدِهِ حَتّىٰ يَرْضىٰ عَنِ اللهِ فيما صَنَعَ اللهُ إِلَيْهِ، وَصَنَعَ بِهِ عَلىٰ ما أَحَبَّ وَكَرِهَ.

وَعَلَيْكُمْ بِالْمُحافَظَةِ عَلَى الصَّلواتِ، وَالصَّلاةِ الْوسْطىٰ، وَقوموا للهِ قانِتينَ، كَما أَمَرَ اللهُ بِهِ الْمُؤْمِنينَ في كِتابِهِ[١] مَنْ قَبْلَكُمْ وَإِيّاكُمْ، وَعَلَيْكُمْ بِحُبِّ الْمَساكِينِ الْمُسْلِمينَ، فَإِنَّهُ مَنْ حَقَّرَهُمْ وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ زَلَّ عَنْ دينِ اللهِ، وَاللهُ لَهُ حاقِرٌ ماقِتٌ، وَقَدْ قالَ أَبونا رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَمَرَني رَبّي بِحُبِّ الْمَساكِينِ الْمُسْلِمينَ مِنْهُمْ.

وَاعْلَموا أَنَّهُ مَنْ حَقَّرَ أَحَداً مِنَ الْمُسْلِمينَ أَلْقَى اللهُ عَلَيْهِ الْمَقْتَ مِنْهُ وَالْمَحْقَرَةَ حَتّىٰ يَمْقُتَهُ النّاسُ وَاللهُ أَشَدُّ أَشَدَّ مَقْتاً، فَاتَّقوا اللهَ في إِخْوانِكُمُ الْمُسْلِمينَ الْمَساكِينِ، فَإِنَّ لَهُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً أَنْ تُحِبّوهُمْ، فَإِنَّ اللهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بِحُبِّهِمْ، فَمَنْ لَمْ يُحِبَّ مَنْ أَمَرَ اللهُ بِحُبِّهِ، فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسولَهُ، وَمَنْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ وَماتَ عَلىٰ ذٰلِكَ، ماتَ وَهُوَ مِنَ الْغاوينَ.

وَإِيّاكُمْ وَالْعَظَمَةَ وَالْكِبْرَ، فَإِنَّ الْكِبْرَ رِداءُ اللهِ، فَمَنْ نازَعَ اللهَ رِداءَهُ قَصَمَهُ اللهُ وَأَذَلَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ.

وَإِيّاكُمْ أَنْ يَبْغِيَ بَعْضُكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ، فَإِنَّها لَيْسَتْ مِنْ خِصالِ الصّالِحينَ، فَإِنَّهُ مَنْ بَغىٰ صَيَّرَ اللهُ بَغْيَهُ عَلىٰ نَفْسِهِ، وَصارَتْ نُصْرَةُ اللهِ لِمَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿حافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا للهِ قانِتِينَ﴾ البقرة ٢: ٢٣٨.

وَمَنْ نَصَرَهُ اللهُ غَلَبَ، وَأَصابَ الظَّفَرَ مِنَ اللهِ.

وَإِيّاكُمْ أَنْ يَحْسُدَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، فَإِنَّ الْكُفْرَ أَصْلُهُ الْحَسَدُ.

وَإِيّاكُمْ أَنْ تُعِينوا عَلىٰ مُسْلِمٍ مَظْلومٍ يَدْعو اللهَ عَلَيْكُمْ، وَيُسْتَجابُ لَهُ فيكُمْ، فَإِنَّ أَبانا رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: إِنَّ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِ الْمَظْلومِ مُسْتَجابَةٌ.

وَلِيُعِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، فَإِنَّ أَبانا رَسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَقولُ: إِنَّ مَعونَةَ الْمُسْلِمِ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْراً مِنْ صِيامِ شَهْرٍ وَاعْتِكافِهِ في الْمَسْجِدِ الْحَرامِ.

وَإِيّاكُمْ وَإِعْسارَ أَحَدٍ مِنْ إِخْوانِكُمُ الْمُؤْمِنينَ، إِنْ تَعْسُروهُ بِالشَّيْءِ يَكونُ لَكُمْ قِبَلَهُ وَهُوَ مُعْسِرٌ، فَإِنَّ أَبانا رَسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَقولُ: لَيْسَ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَعْسُرَ مُسْلِماً، وَمَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلّا ظِلُّهُ.

وَإِيّاكُمْ أَيَّتُها الْعِصابَةُ الْمَرْحومَةُ الْمُفَضَّلَةُ عَلىٰ مَنْ سِواها، حَبْسَ حُقوقِ اللهِ قِبَلَكُمْ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ، وَساعَةً بَعْدَ ساعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ عَجَّلَ حُقوقَ اللهِ قِبَلَهُ كانَ اللهُ أَقْدَرَ عَلَى التَّعْجيلِ لَهُ إِلىٰ مُضاعَفَةِ الْخَيْرِ في الْعاجِلِ وَالْآجِلِ، وَإِنَّهُ مَنْ أَخَّرَ حُقوقَ اللهِ قِبَلَهُ كانَ اللهُ أَقْدَرَ عَلىٰ تَأْخيرِ رِزْقِهِ، وَمَنْ حَبَسَ اللهُ رِزْقَهُ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَرْزُقَ نَفْسَهُ، فَأَدُّوا إِلَى اللهِ حَقَّ ما رَزَقَكُمْ يُطَيِّبُ اللهُ لَكُمْ بَقِيَّتَهُ، وَيُنْجِزُ لَكُمْ ما وَعَدَكُمْ مِنْ مُضاعَفَتِهِ لَكُمُ الْأَضْعافَ الْكَثيرَةَ الَّتي لا يَعْلَمُ عَدَدَها وَلا كُنْهَ فَضْلِها إِلّا رَبُّ الْعالَمينَ.

ومن بنود هذه الوصيّة الخالدة قوله عليه السلام:

وَاعْلَموا أَيَّتُها الْعِصابَةُ، أَنَّ السُّنَّةَ مِنَ اللهِ قَدْ جَرَتْ في الصّالِحينَ مِنْ قَبْلُ،

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ حَقّاً حَقّاً فَلْيَتَوَلَّ اللهَ وَرَسولَهُ وَالَّذين آمَنوا، وَلْيَبْرَأْ إِلى اللهِ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَلْيُسَلِّمْ لِما انْتَهىٰ إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِمْ، لأَنَّ فَضْلَهُمْ لا يَبْلُغُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلا مَنْ دونَ ذٰلِكَ، أَلَمْ تَسْمَعوا ما ذَكَرَ اللهُ مِنْ فَضْلِ أَتْباعِ الْأَئِمَّةِ الْهُداةِ، وَهُمُ الْمُؤْمِنونَ، قالَ: ﴿ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً ﴾(١).

فَهٰذا وَجْهٌ مِنْ وُجوهِ فَضْلِ اتِّباعِ الْأَئِمَّةِ، فَكَيْفَ بِهِمْ وَفَضْلِهِمْ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يُتِمَّ اللهُ لَهُ إِيمانَهُ حَتّىٰ يَكونَ مُؤْمِناً حَقّاً حَقّاً، فَلْيَتَّقِ اللهَ بِشُروطِهِ الَّتي اشْتَرَطَها عَلَى الْمُؤْمِنينَ، فَإِنَّهُ قَدِ اشْتَرَطَ مَعَ وَلايَتِهِ وَوَلايَةِ رَسولِهِ وَوَلايَةِ أَئِمَّةِ الْمُؤْمِنينَ، إِقامَ الصَّلاةِ، وَإِيتاءَ الزَّكاةِ، وَإِقْراضَ اللهِ قَرْضاً حَسَناً، وَاجْتِنابَ الْفَواحِشِ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ.

وَإِيّاكُمْ وَالْإِصْرارَ عَلىٰ شَيْءٍ مِمّا حَرَّمَ اللهُ في ظَهْرِ الْقُرْآنِ وَباطِنِهِ، وَقَدْ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

وَاعْلَموا أَنَّهُ إِنَّما أَمَرَ وَنَهىٰ لِيُطاعَ فيما أَمَرَ بِهِ، وَلِيُنْتَهىٰ عَمّا نَهىٰ عَنْهُ، فَمَنِ اتَّبَعَ أَمْرَهُ فَقَدْ أَطاعَهُ، وَقَدْ أَدْرَكَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَهُ، وَمَنْ لَمْ يَنْتَهِ عَمّا نَهَى اللهُ عَنْهُ فَقَدْ عَصاهُ، فَإِنْ ماتَ عَلىٰ مَعْصِيَتِهِ أَكَبَّهُ اللهُ عَلىٰ وَجْهِهِ فِي النّارِ.

---

(١) النساء ٤: ٦٩.

(٢) آل عمران ٣: ١٣٥.

عَلَيْكُمْ بِطاعَةِ رَبِّكُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّ اللهَ رَبُّكُمْ ، وَاعْلَموا أَنَّ الْإِسْلامَ هُوَ التَّسْليمُ ، أَيْ التَّسْليمُ لأَمْرِ اللهِ ، وَالتَّسْليمُ هُوَ الْإِسْلامُ ، فَمَنْ سَلَّمَ فَقَدْ أَسْلَمَ ، وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ فَلاإِسْلامَ لَهُ ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَبْلُغَ إِلىٰ نَفْسِهِ في الْإِحْسانِ فَلْيُطِعِ اللهَ .

وَإِيّاكُمْ وَمَعاصِيَ اللهِ أَنْ تَرْكَبوها ، فَإِنَّهُ مَنِ انْتَهَكَ مَعاصيَ اللهِ فَقَدْ أَبْلَغَ في الْإِساءَةِ إِلىٰ نَفْسِهِ ، وَلَيْسَ بَيْنَ الْإِحْسانِ وَالْإِساءَةِ مَنْزِلَةٌ ، فَلأَهْلِ الْإِحْسانِ عِنْدَ رَبِّهِمُ الْجَنَّةُ ، وَلأَهْلِ الْإِساءَةِ عِنْدَ رَبِّهِمُ النّارُ ، فَاعْمَلوا بِطاعَةِ اللهِ ، وَاجْتَنِبوا مَعاصيَهُ ، وَاعْلَموا أَنَّهُ لَيْسَ يُغْني عَنْكُمْ مِنَ اللهِ أَحَدٌ ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، وَلا مَنْ دونَ ذلِكَ ، فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ تَنْفَعَهُ شَفاعَةُ الشّافِعينَ عِنْدَ اللهِ فَلْيَطْلُبْ إِلَى اللهِ أَنْ يَرْضىٰ عَنْهُ .

ومن بنود هذه الرسالة قوله عليه السلام :

وَأَكْثِروا مِنَ التَّهْليلِ وَالتَّقديسِ وَالتَّسْبيحِ وَالثَّناءِ عَلَى اللهِ ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ ، وَالرَّغْبَةِ فيما عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ الَّذي لا يُقَدِّرُ قَدرَهُ ، وَلا يَبْلُغُ كُنْهَهُ أَحَدٌ ، فَأَشْغِلوا أَلْسِنَتَكُمْ بِذلِكَ عَمّا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنْ أَقاويلِ الْباطِلِ الَّتي تُعْقِبُ أَهْلَها خُلوداً في النّارِ لِمَنْ ماتَ عَلَيْها ، وَلَمْ يَتُبْ إِلَى اللهِ مِنْها .

وَعَلَيْكُمْ بِالدُّعاءِ ، فَإِنَّ الْمُسْلِمينَ لَمْ يُدْرِكوا نَجاحَ الْحَوائِجِ عِنْدَ رَبِّهِمْ بِأَفْضَلِ مِنَ الدُّعاءِ ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ وَالْمَسْأَلَةِ لَهُ ، فَارْغَبوا فيما رَغَّبَكُمُ اللهُ فيهِ ، وَأَجيبوا اللهَ ما دَعاكُمْ إِلَيْهِ لِتُفْلِحوا وَتَنْجوا مِنْ عَذابِ اللهِ .

إِيّاكُمْ أَنْ تَشْرَهَ نُفوسُكُمْ إِلىٰ شَيْءٍ مِمّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّهُ مَنِ انْتَهَكَ

ما حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ هاهُنا في الدُّنْيا حالَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَنَعيمِها وَلَذَّتِها وَكَرامَتِها الْقائِمَةِ الدّائِمَةِ لأَهْلِ الْجَنَّةِ أَبَدَ الآبِدينَ.

ومن فصول هذه الوصيّة قوله عليه السلام:

إِيّاكُمْ وَمُماظَّةَ أَهْلِ الْباطِلِ، وَعَلَيْكُمْ بِهَدْيِ الصّالِحينَ وَوَقارِهِمْ وَسَكينَتِهِمْ وَحِلْمِهِمْ وَتَخَشُّعِهِمْ وَوَرَعِهِمْ عَنْ مَحارِمِ اللهِ، وَصِدْقِهِمْ وَوَفائِهِمْ وَاجْتِهادِهِمْ للهِ في الْعَمَلِ بِطاعَتِهِ، فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعلوا ذلِكَ لَمْ تَنْزِلوا عِنْدَ رَبِّكُمْ مَنْزِلَةَ الصّالِحينَ قَبْلَكُمْ.

وَاعْلَموا أَنَّ اللهَ تَعالىٰ إِذا أَرادَ بِعَبْدٍ خَيْراً شَرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ، فَإِذا أَعْطاهُ ذلِكَ نَطَقَ لِسانُهُ بِالْحَقِّ، وَعَقَدَ قَلْبُهُ عَلَيْهِ فَعَمِلَ بِهِ، فَإِذا جَمَعَ اللهُ لَهُ ذلِكَ تَمَّ لَهُ إِسْلامُهُ، وَكانَ عِنْدَ اللهِ إِنْ ماتَ عَلىٰ ذلِكَ الْحالِ مِنَ الْمُسْلِمينَ حَقّاً، وَإِذا أَرادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرّاً وَكَلَهُ إِلىٰ نَفْسِهِ، وَكانَ صَدْرُهُ ضَيِّقاً حَرَجاً[1]، فَإِنْ جَرىٰ عَلىٰ لِسانِهِ حَقٌّ لَمْ يَعْقِدْ قَلْبُهُ عَلَيْهِ، وَإِذا لَمْ يَعْقِدْ قَلْبُهُ عَلَيْهِ لَمْ يُعْطِ اللهُ الْعَمَلَ بِهِ، فَإِذا اجْتَمَعَ ذلِكَ عَلَيْهِ حَتّىٰ يَموتَ وَهُوَ عَلىٰ تِلْكَ الْحالِ كانَ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْمُنافِقينَ، وَصارَ ما جَرىٰ عَلىٰ لِسانِهِ مِنَ الْحَقِّ الَّذي لَمْ يُعْطِهِ اللهُ أَنْ يَعْقِدَ قَلْبَهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ الْعَمَلَ بِهِ حُجَّةً عَلَيْهِ.

فَاتَّقوا اللهَ وَسَلُوهُ أَنْ يَشْرَحَ صُدورَكُمْ لِلْإِسْلامِ، وَأَنْ يَجْعَلَ أَلْسِنَتَكُمْ تَنْطِقُ

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام ٦: ١٢٥.

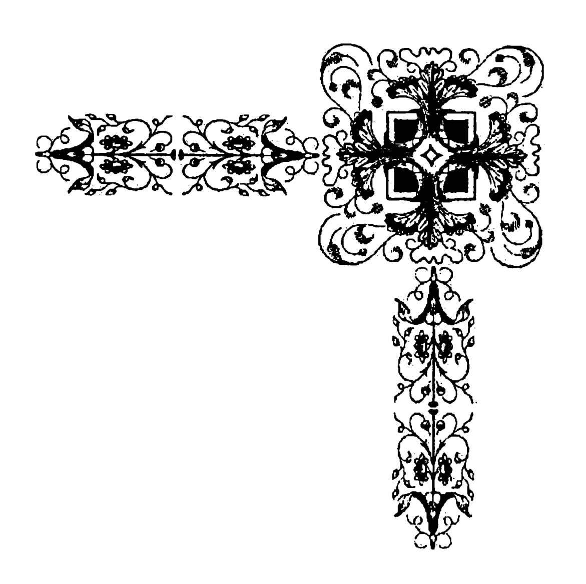
بِالْحَقِ حَتّىٰ يَتَوَفّاكُمْ وَأَنْتُمْ عَلىٰ ذلِك ، وَأَنْ يَجْعَلَ مُنْقَلَبَكُمْ مُنْقَلَبَ الصّالِحينَ قَبْلَكُمْ ، وَلَا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ(١) .

وانتهت معظم هذه الوصيّة وقد حفلت بالدعوة إلى عمل الخير ، والتحلّي بتقوى الله تعالى وطاعته ، والاجتناب عن معاصيه ومحارمه ، وغير ذلك من معالي الأخلاق ومحاسن الصفات .

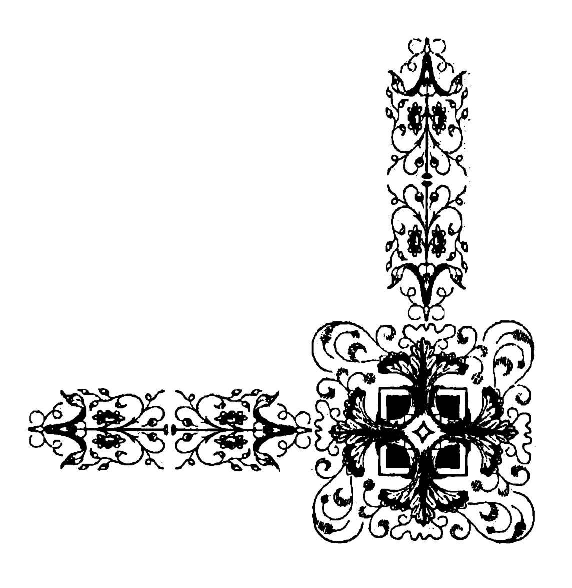
لقد أراد الإمام الصادق عليه‌السلام أن تكون شيعته قدوة حسنة في آدابها وسلوكها لجميع الأُمم والشعوب .

---

(١) روضة الكافي : ٨ : ١٠ ـ ١٤ .



التطوّر و الابداع



وبلغت الشيعة أرقى صور التطوّر والإبداع لا في ميادين المناهج السياسيّة والتربويّة فحسب ، وإنّما ارتقت إلى أُمور أُخرى لا تقلّ في أهمّيّتها عن ذلك ، ونلمّح إلى بعضها :

تقديس العقل

١ ـ قال النبيّ ﷺ : «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْعَقْلَ مِنْ نورٍ مَخْزونٍ مَكْنونٍ في سابِقِ عِلْمِهِ الَّذي لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، فَجَعَلَ الْعِلْمَ نَفْسَهُ ، وَالْفَهْمَ روحَهُ ، وَالزُّهْدَ رَأْسَهُ ، وَالْحَياءَ عَيْنَهُ ، وَالْحِكْمَةَ لِسانَهُ ، وَالرَّأْفَةَ هَمَّهُ ، وَالرَّحْمَةَ قَلْبَهُ ، ثُمَّ حَشاهُ وَقَوّاهُ بِعَشَرَةِ أَشْياءٍ: بِالْيَقينِ ، وَالْإِيْمانِ ، وَالصِّدْقِ ، وَالسَّكينَةِ ، وَالْإِخْلاصِ ، وَالرِّفْقِ ، وَالْعَطِيَّةِ ، وَالْقُنوعِ ، وَالتَّسْليمِ ، وَالشُّكْرِ.**

ثُمَّ قالَ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ، ثُمَّ قالَ لَهُ : أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ.

ثُمَّ قالَ لَهُ : تَكَلَّمْ ، فَقالَ : الْحَمْدُ للهِ الَّذي لَيْسَ لَهُ ضِدٌّ وَلَا نِدٌّ ، وَلَا شَبيهٌ ، وَلَا كُفْوٌ ، وَلَا عَديلٌ ، وَلَا مَثَلٌ ، الَّذي كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ خاضِعٌ ذَليلٌ.

فَقالَ الرَّبُّ تبارَكَ وَتَعالىٰ : وَعِزَّتي وَجَلالي ، ما خَلَقْتُ خَلْقاً أَحْسَنَ مِنْك وَلَا أَطْوَعَ لي مِنْكَ ، وَلَا أَرْفَعَ مِنْكَ ، وَلَا أَشْرَفَ مِنْكَ ، وَلَا أَعَزَّ مِنْكَ ، بِكَ أُوَحَّدُ ، وَبِكَ أُعْبَدُ ، وَبِكَ أُدْعىٰ ، وَبِكَ أُرْتَجىٰ ، وَبِكَ أُبْتَغىٰ ، وَبِكَ أُخافُ ، وَبِكَ أُحْذَرُ ، وَبِكَ الثَّوابُ ،

وَبِكَ الْعِقابُ...»(١).

٢ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «**لَمّا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ اسْتَنْطَقَهُ.**

ثُمَّ قالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قالَ لَهُ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، ثُمَّ قالَ: وَعِزَّتي وَجَلالي ما خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ، وَلا أَكْمَلْتُكَ إِلّا فيمَنْ أُحِبُّ أَما إِنّي إِيّاكَ آمُرُ، وَإِيّاكَ أَنْهىٰ، وَإِيّاكَ أُعاقِبُ، وَإِيّاكَ أُثيبُ»(٢).

٣ ـ قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «**إِنَّ أَوَّلَ الْأُمورِ وَمَبْدَأَها، وَقُوَّتَها وَعِمارَتَها، الَّتي لا يُنْتَفَعُ بِشَيْءٍ إِلّا بِهِ: الْعَقْلُ الَّذي جَعَلَهُ اللهُ زينَةً لِخَلْقِهِ، وَنوراً لَهُمْ.**

فَبِالْعَقْلِ عَرَفَ الْعِبادُ خالِقَهُمْ وَأَنَّهُمْ مَخْلوقونَ، وَأَنَّهُ الْمُدَبِّرُ لَهُمْ وَأَنَّهُمُ الْمُدَبَّرونَ، وَأَنَّهُ الْباقي وَهُمُ الْفانونَ، وَاسْتَدَلّوا بِعُقولِهِمْ عَلىٰ ما رَأَوا مِنْ خَلْقِهِ، مِنْ سَمائِهِ وَأَرْضِهِ، وَشَمْسِهِ وَقَمَرِهِ، وَلَيْلِهِ وَنَهارِهِ، أَنَّ لَهُمْ خالِقاً وَمُدَبِّراً لَمْ يَزَلْ وَلا يَزولُ، وَعَرَفوا بِهِ الْحَسَنَ مِنَ الْقَبيحِ، وَأَنَّ الظُّلْمَةَ في الْجَهْلِ، وَأَنَّ النّورَ في الْعِلْمِ، فَهٰذا ما دَلَّهُمْ عَلَيْهِ الْعَقْلُ».

وقيل للإمام: فهل يكتفي العباد بالعقل دون غيره؟

فأجاب عليه السلام: «**إِنَّ الْعاقِلَ لِدَلالَةِ عَقْلِهِ الَّذي جَعَلَهُ اللهُ قِوامَهُ، وَزينَتَهُ وَهِدايَتَهُ، عَلِمَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّهُ.**

وَعَلِمَ أَنَّ لِخالِقِهِ مَحَبَّةً، وَأَنَّ لَهُ كَراهَةً، وَأَنَّ لَهُ طاعَةً، وَأَنَّ لَهُ مَعْصِيَةً، فَلَمْ يَجِدْ عَقْلَهُ يَدُلُّهُ عَلىٰ ذٰلِكَ.

---

(١) بحار الأنوار: ١: ١٠٧، كتاب العقل والجهل، الباب ٤، الحديث ٣. الخصال: ٢: ٤٦٦، باب العشرة، الحديث ٤.

(٢) أُصول الكافي: ١: ١٠، الحديث ١.

وَعَلِمَ أَنَّهُ لا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَطَلَبِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِعَقْلِهِ إِنْ لَـمْ يُـصِبْ ذٰلِكَ بِعِلْمِهِ ، فَوَجَبَ عَلَى الْعاقِلِ طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ الَّذي لَا قِوامَ لَهُ إِلَّا بِهِ»[١].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث أدلى بها أئمّة أهل البيت عليهم السلام في فـضل العـقل وأهمّيّته ، ولا إشكال في أنّ فاقد العقل غير مكلّف بما فرض الله على عـباده مـن واجبات ، وما نهاهم عنه من اقتراف المحرّمات .

حجّيّة العقل

وتؤمن الشيعة الإماميّة بحجّيّة العقل ، وأنّه أحـد الأدلّـة الأربـعة التـي يسـتنبط منها الفقهاء الأحكام الشرعيّة ، وهي الكتاب المجيد والسـنّة المـقدّسة والإجـماع ودليل العقل .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « **يا هِشامُ ، إِنَّ لِلّٰهِ عَلَى النّاسِ حُجَّتَيْنِ : حُجَّةً ظاهِرَةً وَحُجَّةً باطِنَةً ، فَأَمّا الظّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالْأَنْبِياءُ وَالْأَئِمَّةُ ، وَأَمّا الْباطِنَةُ فَالْعُقُولُ** »[٢].

وقال عليه السلام أيـضاً : « **حُجَّةُ اللهِ عَلَى الْعِبادِ النَّبِيُّ ، وَالْحُجَّةُ فيما بَيْنَ الْـعِبادِ وَبَـيْنَ اللهِ الْعَقْلُ** »[٣].

وأنّ للعقل دوراً كبيراً في استنباط الأحكام الشرعيّة ، والتي منها :

البراءة العقليّة

ونعني بها قبح العقاب بلا بيان ، وهذه القـاعدة يـتمسّك بـها عـند فـقد النـصّ أو إجماله أو لتعارض النصّين ، ومن مواردها الشبهة الحكميّة الوجـوبيّة ، كـما فـي

---

(١) أُصول الكافي : ١ : ٢٩ ، الحديث ٣٤.

(٢) أُصول الكافي : ١ : ٥٦ ، الحديث ١٢. بحار الأنوار : ١ : ١٣٢.

(٣) أُصول الكافي : ١ : ٦٩ ، الحديث ٢٢.

الشكّ بين الوجوب وغير الحرمة ، ويلحق بها الشبهة الموضوعيّة ، وهي التي كان الحكم فيها معلوماً من الوجوب أو الحرمة ، وحصل الإشتباه أنّه من أفراد الوجوب أو الإباحة ـ مثلاً ـ.

وقد تعرّضت كتب الأُصول إلى تفصيل ذلك ، وبيان الاختلاف الواقع في هذه المسألة بين أقطاب هذا الفنّ .

وعلى أي حال ، فإنّ البراءة العقليّة من المسائل ذات الأهمّيّة البالغة في البحوث الفقهيّة والأُصوليّة .

الاستصحاب

وهو إبقاء ما كان على ما كان ، ومن جملة الأدلّة على حجّيّة حكم العقل بالأخذ بالحالة السابقة ما لم يثبت خلافها ، وفيه مباحث مهمّة عرضت لها كتب الأُصول ، وإطالة البحث فيه وفي البراءة يخرج هذا الكتاب عن موضوعه .

التعادل والتراجيح

وهو ما كان أحد الدليلين في عرض الآخر ، وفي مدلوليهما تعارض وتمانع ، بحيث لا يوجد الملاك إلّا في أحدهما دون الآخر بخلاف باب التزاحم ، وهو ما كان الملاك موجوداً في كليهما ، ولكن المكلّف لا يتمكّن من امتثالها في زمن واحد كإنقاذ الغريقين في وقت واحد .

ومن جملة المرجّحات في باب التعارض أن يتّفق أحد الدليلين مع حكم العقل ويشذّ الآخر عنه ، في مثل ذلك يؤخذ بما رجّحه العقل ، وحكم على طبقه .

وعلى أي حال ، فإنّ كثيراً من المباحث الأُصوليّة تدخل تحت إطار حكم العقل كمقدّمة الواجب ، وكالأمر بالشيء هل يقتضي النهي عن ضدّه ، وغير ذلك ممّا بحثت عنه بالتفصيل كتب الأُصول .

فتح باب الاجتهاد

والشيء الذي تميّزت به الشيعة الإماميّة عن بقيّة المذاهب الإسلاميّة هو فتح باب الاجتهاد، فقد دلّل ذلك على أصالة فقههم، وتفاعله مع الحياة، وتطوّره واستمراره في العطاء لجميع شؤون الإنسان، وأنّه لا يقف مكتوفاً أمام الأحداث المستجدّة التي يُبتلى بها الناس، وذلك في كثير من المسائل التي عُدم فيها النصّ ولم تكن موجودة في العصور السابقة، كالتلقيح الصناعي، وغرس الأعضاء، وصعود الإنسان إلى الكواكب، ووسائل البنوك والسرقفليّة، وغير ذلك من الأُمور التي لا يوجد لها حلّ على غير مائدة فقه أهل البيت عليهم السلام.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**أَما وَاللهِ ما أَحَدٌ مِنَ النّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكُمْ. إِنَّ النّاسَ قَدْ سَلَكوا سُبُلاً شَتّىٰ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ بِرَأْيِهِ، وَمِنْهُمْ مَنِ اتَّبَعَ هَواهُ، وَمِنْهُمْ مَنِ اتَّبَعَ الرِّوايَةَ، وَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمْ بِأَمْرٍ لَهُ أَصْلٌ، فَعَلَيْكُمْ بِالْوَرَعِ وَالْإِجْتِهادِ...**»[١].

ومن الجدير بالذكر أنّ كبار علماء الأزهر قد أدركوا مدى الحاجة الملحّة إلى فتح باب الاجتهاد، ومتابعة الشيعة في هذه الظاهرة، وفيما يلي آراء بعضهم:

عبد المتعال الصعيدي

ممّن أنكر قفْل باب الاجتهاد عبدالمتعال الصعيدي ـ وهو من أعلام مصر ومن شيوخ الأزهر ـ قال:

«وإنّي أستطيع أن أحكم بعد هذا بأنّ منع الاجتهاد قد حصل بطريقة ظالمة، وبوسائل القهر والإغراء بالمال، ولا شكّ أنّ هذه الوسائل لو قدّرت بغير المذاهب الأربعة التي نقلّدها الآن لما بقي لها جمهور

---

(١) مجموعة ورّام: ٢: ١٣٨.

يقلّدها... فنحن إذاً في حلّ من التقييد بهذه المذاهب الأربعة التي فرضت علينا بتلك الوسائل الفاسدة، وفي حلّ من العود إلى الاجتهاد في أحكام ديننا، لأنّ منعه لم يكن إلّا بطريق القهر، والإسلام لا يرضى إلّا بما يحصل بطريق الرضا والشورى بين المسلمين »[1].

السيّد رشيد رضا

قال السيّد رشيد رضا ـ وهو من أعلام مشايخ الأزهر ـ:

« ولا نعرف في ترك الاجتهاد منفعة ما، وأمّا مضارّه فكثيرة، وكلّها ترجع إلى إهمال العقل، وقطع طريق العلم، والحرمان من استغلال الفكر، وقد أهمل المسلمون كلّ علم بترك الاجتهاد، فصاروا إلى ما نرى... »[2].

الدكتور عبدالدائم

ومن المنكرين لإقفال باب الاجتهاد الدكتور عبدالدائم البقري الأنصاري، قال:

« منع الاجتهاد هو سرّ تأخّر المسلمين، وهذا هو الباب المرن الذي عندما قفل تأخّر المسلمون بقدر ما تقدّم العالم، فأضحى ما وضعه السابقون لا يمكن أن يغيّر أو يبدّل، لأنّه ـ لاعتبارات سياسيّة ـ منع الولاة والسلاطين الاجتهاد حتّى يحفظوا ملكهم، ويطمئنّوا إلى أنّه لن يعارضهم معارض، وإذا ما عارضهم أحد ـ لأنّه لا تخلو اُمّة من الاُمم إلّا وفيها المصلح النزيه، والزعيم الذي لا يخشى في الحقّ لومة لائم ـ فلن يسمع قوله، لأنّ باب الاجتهاد قد اُغلق.

---

(١) ميدان الاجتهاد: ١٤.

(٢) الوحدة الإسلاميّة: ٩٩.

لهذا جمد التشريع الإسلامي الآن ، وما التشريع إلّا روح الجماعة وحياة الأُمّة ، وإنّي أُرجع الفتنة الشعواء التي حصلت في عهد الخليفة عثمان ـ والتي كانت سبباً في وقف الفتح الإسلامي ، حيث تحوّلت في عهده الحرب الخارجيّة إلى حرب داخليّة ـ إلى أنّ عثمان كان من المحافظين ، وقد شرط ذلك على نفسه عندما وافق عبدالرحمن بن عوف على لزوم الاقتداء بالشيخين في كلّ ما يعني بدون اجتهاد عند انتخابه خليفة ، ولم يوافق الإمام عليّ عليه‌السلام على ذلك حينئذٍ قائلاً : إنّ الزمن قد تغيّر ، فكان سبب تولّي عثمان الخلافة هو سبب سقوطه »[١].

العلّامة العبيدي

قال العلّامة العبيدي :

الاجتهاد مجلبة اليسر ، واليسر من أكبر مقاصد الشارع ، وأبدع حكم التشريع بالاجتهاد ، يتلاطم موج الرأي فينفذ جوهر الحقيقة على الساحل ، الحوادث لا تتناهى ، والعصور محدثات ، فإذا جمدنا على ما قيل ، فما حيلتنا فيما يعرض من ذاك القبيل ؟ سدّ باب الاجتهاد اجتهاد ، فقل للقائل به إنّك قائل غير ما تفعل »[٢].

جمال الدين الأفغاني

وقد أبدع جمال الدين الأفغاني حيث قال :

« بأيّ نصّ سدّ باب الاجتهاد ، وأي إمام قال : لا ينبغي لأحد

---

(١) الفلسفة السياسيّة للإسلام : ٣١.

(٢) النواة في حقل الحياة : ١٢٤.

من المسلمين بعدي أن يجتهد أو ليتفقّه في الدين ، أو أن يهتدي بهدى القرآن وصحيح الحديث ، أو أن يجدّ ويجتهد بتوسيع مفهومه ، والاستنتاج على ما ينطبق على العلوم العصريّة ، وحاجيّات الزمن وأحكامه ، ولا ينافي جوهر النصّ .

إنّ الله بعث محمّداً رسولاً بلسان قومه العربي ليعلّمهم ما يريد إفهامهم ، وليقيموا منه ما يقوله لهم .

ولا ارتياب بأنّه لو فسح في أجل أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وعاشوا إلى اليوم لداموا مجتهدين مجدّين يستنبطون لكلّ قضيّة حكماً من القرآن والحديث ، وكلّما ازداد تعمّقهم زادوا فهماً وتدقيقاً . نعم ، إنّ أُولئك الفحول من الأئمّة ورجال الأُمّة اجتهدوا ، وأحصنوا ، فجزاهم الله خير الجزاء ، ولكن لا يصحّ أن نعتقد أنّهم أحاطوا بكلّ أسرار القرآن ، وتمكّنوا من تدوينها في كتبهم »(١) .

أحمد أمين

قال الأُستاذ أحمد أمين :

« وقد أُصيب المسلمون بحكمهم على أنفسهم بالعجز ، وقولهم بإقفال باب الاجتهاد ، لأنّ معناه لم يبق في الناس مَن تتوفّر فيه شروط المجتهد ، ولا يرجى أن يكون ذلك في المستقبل ، وإنّما قال هذا القول بعض المقلّدين لضعف ثقتهم بأنفسهم ، وسوء ظنّهم بالناس »(٢) .

إنّ الإسلام ـ والحمد لله ـ قد نعى على الفكر والجمود ، ودعاه إلى التطوّر والإبداع

(١) خاطرات جمال الدين : ١٧٧ .

(٢) يوم الإسلام : ١٨٩ .

في ميادين الفكر والعلم ، وليس من الحكمة في شيء ولا من المنطق إقفال باب الاجتهاد ، وفرض باب التقليد .

إنّه ليس في فتح باب الاجتهاد استحالة ولا مخالفة لنصوص الكتاب والسنّة ، وأمّا إقفاله فقد كان في وقت خاصّ فرضته الحكومات القائمة في تلك العصور لمصالح سياسيّة تعود لها بالنفع حسبما أدلى به المحقّقون[١] .

وعلى أي حال ، فإنّ فتح باب الاجتهاد عند الشيعة آية على تطوّرهم الفكري ، ومسايرتهم للزمن فيما يحدث فيه من أحداث لم تكن موجودة ولا منصوص على حكمها في ميادين التشريع الإسلامي ، فهي تُعالج على ضوء الأُصول العمليّة التي ينتهي إليها الفقيه عند فقْد النصّ أو إجماله أو تعارضه .

المرجعيّة العامّة

ونعرض بصورة موجزة إلى المرجعيّة العامّة التي يتقلّدها أكبر الفقهاء عند الشيعه الإماميّة ، وهي من أهمّ المراكز الحسّاسة في العالم الإسلامي ، وفيما يلي ذلك :

معنى المرجعيّة

أمّا المرجعيّة فمعناها النيابة العامّة عن إمام العصر قائم آل محمّد عليه السلام ، ومستند ذلك إلى أنّ الإمام أوكل بعد غيبته الكبرى إلى الفقهاء المجتهدين قضايا المسلمين ومسائل الدين ، وقلّدهم وسام النيابة العامّة عنه ليحكموا بين الناس بما أنزل الله تعالى ، وألزم المسلمين بأخذ أحكام دينهم منهم ، والرجوع إليهم فيما شجر بينهم من خلاف ، وليس للمسلمين بأي حال الردّ عليهم ومخالفتهم فيما صدر منهم من الفتيا حسبما دلّت عليه الأخبار الواردة عنه .

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ١ : ٢٢٠ .

صفات المرجع

ويجب أن تتوفّر في المرجع العامّ جميع الصفات الكريمة والنزعات الشريفة من العلم والشجاعة ونكران الذات والدراية بما تحتاج إليه الأُمّة ، وقد نصّ الفقهاء على بعض الشروط الأوّليّة التي يجب أن يتّصف بها المرجع وسائر المجتهدين الذين يتصدّون للفتيا والقضاء بين المسلمين ، وهي :

١ ـ الذكورة

ولا بدّ أن يكون المرجع ذكراً كما هو شرط في القاضي وإمام الجماعة ، فلا يجوز للمرأة أن تتصدّى لهذه المناصب الخطيرة لا للحطّ من شأنها والاستهانة بمركزها ، وإنّما لعجزها الذاتي ، وعدم قدرتها على تحمّل هذه المسؤوليّة ، وأداء وظائفها على الوجه الصحيح ، فهي بحسب تكوينها السيكولوجي عاجزة عن القيام بمثل هذه المناصب .

٢ ـ العقل

وهو من الشروط الأوّليّة في المرجع وغيره ، بل هو شرط في توجّه التكليف إليه ، وعند فقده فهو أحد الذين رفع القلم عنهم ، كما دلّ عليه حديث الرفع .

٣ ـ الإيمان

ويجب أن يكون المرجع مؤمناً ومسلماً ، فإذا فقد ذلك وكان في أرقى مراتب الاجتهاد فلا يجوز تقليده ولا مرجعيّته ولا الترافع إليه ، وإذا حكم بحكم فهو غير نافذ على الإطلاق .

٤ ـ العدالة

أمّا العدالة فهي من العناصر الأساسيّة في المرجعيّة ، ونعني بها أن تكون

عند المرجع ملكة تصدّه عن اقتراف الذنوب واقتراف الجرائم ، وأن يتحلّى بتقوى الله وطاعته ، ويجعل الله تعالى نصب عينيه في جميع تصرّفاته وشؤونه ، فلا ينساب وراء العواطف والأهواء ، فلا يقدّم قريباً على بعيد ولا قوماً على آخرين ، ويكون المثل الأعلى للتقوى في هديه وسلوكه كالأئمّة الطاهرين .

٥ ـ الاجتهاد

ويجب في المرجع الأعلى أن يبلغ أسمى مراتب الاجتهاد ، وقد عرف بأنّه استنباط الحكم الشرعي من مداركه المقرّرة ، وعلى ضوئها يفتي الفقيه فيما يعرض عليه من المسائل الشرعيّة المتعلّقة بالعبادات والمعاملات والأُمور المستحدثة ، وقد عرضت كتب الفقه بصورة موضوعيّة وشاملة إلى تعريف الاجتهاد ، وبيان أنواع من المطلق والمتجزّئ ، وما يتعلّق بها من بحوث ، كما أُلّفت فيها بعض الدراسات الحديثة .

هذه بعض الشروط التي يجب أن تتوفّر في المرجع العامّ ، فإذا فقد بعضها فليس له أن يتصدّى لهذا المنصب الخطير الذي تناط به مصلحة الأُمّة .

انتخابه

أمّا انتخاب المرجع العامّ ، وتعيينه قائداً عامّاً للأُمّة ، فهو بيد أهل الخبرة من الفقهاء والعلماء المتحرّجين في دينهم ، فهم الذين ينتخبونه للمرجعيّة بعد اطّلاعهم التامّ على تقواه وورعه وطاقاته العلميّة التي تظهر في بحوثه ومؤلّفاته .

مسؤوليّاته

أمّا مسؤوليّات مرجع الأُمّة ، فإنّها شاقّة وعسيرة ومرهقة ، وهذه بعضها :

١ ـ السهر على مصالح العالم الإسلامي من دون فرق بين طوائفه وقوميّاته ،

فهو أب للجميع ، يقوم برعاية شؤونهم ومصالحهم ، ومناجزة عدوّهم .

وكان من بين المواقف المشرّفة للمرجعيّة العامّة في النجف الأشرف إنّها وقفت إلى جانب الشعب الليبي المسلم حينما تعرّض للغزو الإيطالي ، فدعت المسلمين إلى مناصرتهم ، والذبّ عنهم ، ومحاربة الغزاة الإيطاليّين(١) .

وحينما احتلّت الجيوش البريطانيّة العراق هبّت المرجعيّة العامّة في النجف بقيادة الإمام الشيرازي ﷺ ، الذي أصدر فتواه بوجوب طرد الانكليز ومحاربتهم ، فكانت ثورة العشرين الخالدة التي زعزعت كيان بريطانيا .

وحينما احتلّ الصهاينة فلسطين بدعم ومساندة من القوى الاستعماريّة في الغرب التي تكيد للمسلمين وللعرب في الليل إذا يغشى ، وفي النهار إذا تجلّى ، فهبّ مراجع الشيعة إلى نصرة الشعب الفلسطيني المظلوم ، فأفتوا بالجهاد المقدّس ، ووجوب مناصرة الفلسطينيّين في كفاحهم المسلّح ضدّ الصهاينة المجرمين .

ولمّا انطلق الشعب الجزائري المجاهد لإعلان استقلاله وحرّيّته وكرامته ، وطرد الاستعمار الفرنسي ، وقفت المرجعيّة الشيعيّة إلى جانبه في مساندته والذود عنه ، وأفتت بلزوم مناصرته .

ولمّا تعرّض العراق للغزو الشيوعي أيّام عبدالكريم قاسم انبرى جميع المراجع والعلماء الأعلام إلى إنقاذ العراق من براثن الشيوعيّة ، وأفتى الإمام الحكيم ﷺ بأنّ : « الشيوعيّة كفر والحاد » ، فكانت هذه الفتوى الخالدة صاعقة على الشيوعيّين ، فزعزعت كيانهم ، وجرّدتهم من القاعدة الشعبيّة ، كما زعزعت الشيوعيّة العالميّة ، وأفسدت جميع مخطّطاتها وأساليبها في العالم الإسلامي وغيره من مناطق العالم .

وعلى أي حال ، فإنّ المرجعيّة الإماميّة مصدر فيض وعطاء لجميع المسلمين ، لا تتحيّز ولا تتعصّب لفئة دون اُخرى ، وإنّما تتبنّى بصورة إيجابيّة المصلحة العامّة

---

(١) لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث : ٦٠.

لجميع المسلمين في جميع أقاليمهم وأوطانهم.

٢ - ومن مسؤوليّات المرجعيّة العامّة القيام بشؤون الحوزة العلميّة، والإنفاق عليهم بما يسدّ حاجتهم، ولا يجعلهم في ضائقة اقتصاديّة، فيلحظهم كأبنائه وعياله، كما تتولّى المرجعيّة تغذية الناشئة العلميّة بالفقه ومقدّماته ليكونوا مرشدين ومبلّغين لأحكام الإسلام في الأقطار والأقاليم الإسلاميّة وغيرها.

وكذلك تقوم المرجعيّة بالإنفاق على الفقراء والبؤساء ومساعدتهم والبرّ بهم، ومن جملة ألوان البرّ الذي يصدر من المرجعيّة مساعدة العزّاب الفقراء في زواجهم.

هذه بعض المسؤوليّات المرجعيّة الإماميّة عرضنا لها بصورة موجزة.

انفصال المرجعيّة عن الدولة

والشيء المهمّ في المرجعيّة الإماميّة أنّها منفصلة انفصالاً تامّاً عن الدولة وعدم ارتباطها بأي شأن من شؤونها، فليس للدولة أي سيطرة أو سلطان عليها، وإنّما هي حرّة فيما تقول وتفتي، وقد أفتت المرجعيّة بكفر الشيوعيّين وإلحادهم أيّام كانت الدولة في العراق مساندة لهم.

وقد استمدّت المرجعيّة هذه الظاهرة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، فقد كتب المنصور الدوانيقي إلى الإمام الصادق عليه السلام: «لِم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟

فأجابه الإمام عليه السلام: «**لَيْسَ لَنا ما نَخافُكَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلا عِنْدَكَ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ ما نَرْجوكَ لَهُ، وَلا أَنْتَ في نِعْمَةٍ فَنُهَنِّيكَ عَلَيْها، وَلا تَراها نِقْمَةً فَنُعَزِّيكَ، فَما نَصْنَعُ عِنْدَكَ؟**

فكتب إليه المنصور: إنّك تصحبنا لتنصحنا.

فردّ عليه الإمام عليه السلام: **مَنْ أَرادَ الدُّنْيا فَلا يَنْصَحُكَ، وَمَنْ أَرادَ الآخِرَةَ فَلا يَصْحَبُكَ**»[1].

---

(١) كشف الغمّة: ٢: ٢٠٨ و ٢٠٩، نقلاً عن تذكرة ابن حمدون.

وعلى أي حال ، فإنّ المرجعيّة لا ترتبط بأي حال من الأحوال بالدولة لا اقتصاديّاً ولا سياسيّاً ، وإنّما هي بمعزل عنها ، وهذا هو السبب الذي جعل الدولة ـ في كثير من الأحيان ـ ناقمة على المرجعيّة وعلى علماء الدين .

واردات المرجعيّة

أمّا واردات المرجعيّة فهي بالغة الأهمّيّة ، وتكفي لتأسيس دولة ، وهذه بعضها :

الزكاة

وهي من الضرائب الماليّة ، وتجب في الغلات الأربع : الحنطة ، والشعير ، والتمر ، والزبيب ، وفي النقدين : الذهب والفضّة ، ويجب إنفاقها على فقراء المحلّة ، وإذا طلبها الفقيه تعيّن إيصالها له .

الخمس

وهو ضريبة ماليّة يدفعها أبناء الطائفة الإماميّة إلى المرجع العامّ ، ومن بنود الخمس ما يفضل من مؤونة الإنسان سنويّاً من النقود وغيرها من سائر الأعيان ، كما يجب الخمس في الهبة والهدية والجائزة والمال الموصى به ، ونماء الوقف الخاصّ أو العامّ ، والميراث الذي لا يحتسب .

والخمس ينقسم إلى قسمين :

قسم منه إلى الإمام سلام الله عليه ، وحقّ الإمام يدفع إلى المرجع العامّ ، وينفقه على مصالح المسلمين ، ومن أهمّ مصارفه إقامة شعائر الدين ، ونشر قواعده وأحكامه ، ومؤونة أهل العلم الذين يصرفون أوقاتهم في تحصيل العلوم الدينيّة ، والدفاع عن الإسلام .

ومن المعلوم أنّ دفع هذا الحقّ إلى المرجع إنّما هو في زمان غيبة الإمام عليه السلام ،

أمّا في زمان حضوره فيتعيّن الدفع إليه ، وهنا مباحث مهمّة تعرّضت لها كتب الفقه ورسائل المراجع .

والقسم الآخر يدفع إلى السادة زادهم الله شرفاً .

النذور

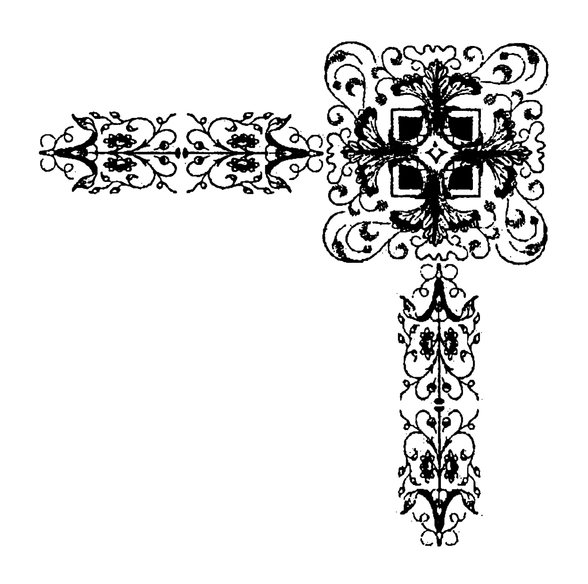
ومن واردات المرجعيّة النذور ، وهي واردات كثيرة يصل بعضها إلى المراجع ، وتفصيل النذور ، ومعرفة الصحيح من غيره قد ذكرته كتب الفقهاء ورسائلهم .

ثلث الأموات

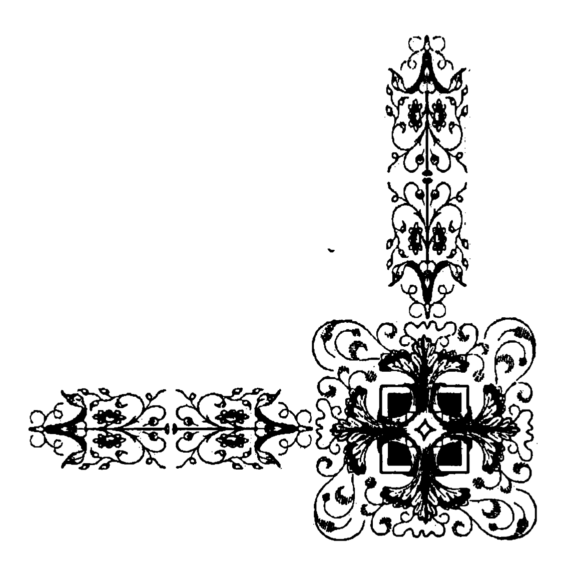
وممّا يرد إلى المراجع ما يوصي به المؤمنون من إيصال ثلث أموالهم إلى المرجع لينفقه في سبيل الله من الخيرات والمبرّات ، وكالصوم والصلاة التي فاتت الميّت وغير ذلك .

ومضافاً لهذه الواردات ما يصل إلى المرجع من الهدايا والألطاف وغيرها .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن التطوّر والإبداع عند الشيعة الإماميّة .



الاطار العقائدي



واعتنقت الشيعة جميع المبادئ العليا ، والقيم الكريمة التي جاء بها الإسلام ، فلم تبتدع فكرة ، ولم تخالف سنّة ، وإنّما واكبت الإسلام في جميع مناهجه وسايرته في أُصوله وفروعه ، وشاركت المسلمين في معظم ما يؤمنون ، ويدينون به ، وهذا عرض موجز لمكوّناتهم العقائديّة :

الإيمان بالله عزّ وجلّ

أمّا الإيمان بالله تعالى فهو الركيزة الكبرى في عقيدة كلّ مسلم ، وهي القاعدة الأساس في دين الإسلام ، وقد جاهد من أجلها الرسول ﷺ أعظم وأقسى ما يكون الجهاد ، وقد أجمع عتات قومه القرشيّين ، وعلى رأسهم الجاهلي أبو سفيان على إخماد صوت التوحيد ، وإطفاء نور الله ، ولكنّ الله تعالى نصر نبيّه العظيم ، فاندحرت الطغمة القرشيّة ، وارتفعت راية التوحيد عالية خفّاقة ، وقام الإسلام على سوقه عبل الذراع مفتول الساعد .

الإيمان عن دليل

وتؤمن الشيعة ـ كبقيّة المسلمين ـ أنّ الإيمان بالله تعالى وبوحدانيّته يجب أن يستند إلى الدليل لا إلى التقليد ، فقد ملأت الأدلّة العقليّة والحسّيّة بوجود الله آفاق الكون ، وإنّ أدنى تأمّل في نظام الكون ، وما بني عليه من الدقّة المحيّرة ممّا يملأ النفس إيماناً ووثوقاً بوجود الخالق العظيم .

يقول لابلاس :

« إنّ النظام المحيّر للعقول ، المشاهد في حركات الأجرام التي تتألّف منها المجموعة الشمسيّة لا يمكن أن يحمل على التصادف ، بل التصادف كلمة لا يصحّ النطق بها في لغة العلم .. إنّ التصادف معدوم ومحال في هذا العالم الذي نرى فيه كلّ شيء خاضعاً لقوانين الموازنة ، وقوانين الحساب التي عيّنتها إرادة غيبيّة ، وحكمة بالغة ، وما الشيء الذي ندعوه بالتصادف إلّا محصّل القوّة الغيبيّة التي لا نعلم عن صورة تأثيرها شيئاً ، بل لا نعلم عن وجودها شيئاً في حين أنّها تحصل حولنا .. وبناءً عليه ليس من الممكن حمل هذا النظام الذي نراه في المجموعة الشمسيّة على التصادف ولا بدّ من الاعتراف بوجود مسبّب أصلي عامّ منظّم لهذا النظام »(١).

ويقول اكريسي موريسون :

« إنّ وجود الخالق تدلّ عليه تنظيمات لا نهاية لها تكون الحياة بدونها مستحيلة ، وإنّ وجود الإنسان على ظهر الأرض ، والمظاهر الفاخرة لذكائه إنّما هي جزء من برنامج ينفذه بارئ الكون »(٢).

لقد أثبتت العلوم الحديثة أنّ هذا الكون خلق بحكمة وتدبير ، وإنّ في كلّ يوم وفي كلّ ساعة تظهر آلاف الأدلّة الحاسمة بوجود الخالق العظيم ، وقد منيت بالفشل آراء الملحدين ، ورجع الكثيرون منهم عمّا ذهبوا إليه ، وكان منهم الدكتور ا . ج . كرونين ، فقد أعلن إيمانه بعد إلحاده ، يقول :

« إذا تأمّلنا في الكون وأسراره وعجائبه ونظامه ودقّته وضخامته

---

(١) الدين والعلم : ٢١.

(٢) العلم يدعو للإيمان لكريسي موريسون : ٤٣ و ٤٤.

وروعته ، لا بدّ أن نفكّر في إلـه خالق ، مَن ذا الذي يتطلّع إلى السماء في ليلة صيف صافية ، ويرى النجوم تتألّق بـعيداً ، ثـمّ لا يـؤمن بـأنّ هذا الكون كلّه لا يمكن أن يكون وليدة الصدفة العمياء ، وعالمنا هذا ، وهو يدور فـي الفـضاء فـي حـركة دقـيقة مـنظّمة ، وفـصول مـتتابعة لا يمكن أن يكون مجرّد كرة من المادة خالية من الدلالة نـزعت مـن الشمس وأُلقيت في الفضاء بلا معنى أو سبب.

انظر وابحث في العالم ، واطرح كلّ مـا قـالته الكـتب المـقدّسة ، وتتبّع سير الحياة فإنّك ستواجه لغزاً غامضاً ، وسرّاً عميقاً ، فلا يمكن أن يكون هذا نشأ من العدم ، فلا شيء يخرج من لا شيء »[1].

انّ أقلّ تأمّل في آفاق الكون ، وفي خلق الإنسان ، وما انـطوت عـليه ذاتـه مـن الأجهزة والأسرار ،كلّ ذلك يدعو إلى حتميّة الإيمان بالله تعالى خالق الكون وواهب الحياة.

صفاته تعالى

وتعتقد الشيعة أنّ صفات الله تعالى عـين ذاتـه ، وأنّ وجـودها عـين وجـوده ، وهي قسمان :

١ ـ صفات الجمال والكمال ،كالعلم والقدرة والرحمة والغنى والإرادة والخالقيّة.

٢ ـ الصفات السلبيّة ، وتسمّى بـصفات الجـلال ، ككـونه ليس بـظلّام للـعبيد ، وليس بجسم ، ولا بممكن ، إلى غير ذلك من الصفات السلبيّة.

يقول سيّد الموحّدين ، وإمام المتّقين ، الامام أمير المؤمنين عليه السلام في تنزيه الخالق عن الصفات المخلوقة :

---

(١) الله والعلم الحديث : ٣٥.

«أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ ، وَكَمالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْديقُ بِهِ ، وَكَمالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ ، وَكَمالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلاصُ لَهُ ، وَكَمالُ الإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفاتِ عَنْهُ ، لِشَهادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّها غَيْرُ المَوْصُوفِ ، وَشَهادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ .

فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشارَ إِلَيْهِ ، وَمَنْ أَشارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ .

وَمَنْ قالَ « فِيمَ » فَقَدْ ضَمَّنَهُ ، وَمَنْ قالَ « عَلَامَ ؟ » فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ .

كائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ . مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقارَنَةٍ ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ ، فاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الحَرَكاتِ وَالْآلَةِ ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ .

أَنْشَأَ الخَلْقَ إِنْشَاءً ، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً ، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجالَها ، وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَها ، وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَها ، وَلَا هَمامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيها .

أَحالَ الْأَشْياءَ لِأَوْقاتِها ، وَلَأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفاتِها ، وَغَرَّزَ غَرائِزَها ، وَأَلْزَمَها أَشْباحَها ، عالِماً بِها قَبْلَ ابْتِدائِها ، مُحِيطاً بِحُدُودِها وَانْتِهائِها ، عارِفاً بِقَرائِنِها وَأَحْنائِها »[1].

وكثير من أمثال هذه الكلمات الذهبيّة في بيان صفات الله تعالى وتوحيده

---

(١) نهج البلاغة : ٣٩ و ٤٠ ، الخطبة ١ . الاحتجاج : ١ : ٢٩٤ ـ ٢٩٨ .

قد أُثرت عن عملاق الفكر الإسلامي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وعن أبنائه وأحفاده الأئمّة الطاهرين ، وليس بها تجسيد لله تعالى كما ذهبت إليه بعض الفرق الإسلاميّة .

لقد نزّهت الشيعة الخالق العظيم عن كلّ صفة من صفات المخلوق ، كالجسم والأين والكيف ، وغير ذلك .

استحالة معرفة حقيقته

وتذهب الشيعة إلى استحالة معرفة ذات الله تعالى ، والوقوف على حقيقته ، فإنّ ذلك ممّا تعجز العقول عن إدراكه ، فإنّها محدودة بجميع طاقاتها ، فكيف تصل إلى معرفة ذلك النور العظيم الذي أحاط بما يرى وما لا يُرى .

ويقول بعض الشعراء :

وَاللهِ لَا موسى وَلَا عيـ ... ـسى المَسيحُ وَلَا مُحَمّدْ

عَلِموا وَلَا جِبريلُ ... وَهُوَ إلى مَحَلِّ القُدسِ يَصْعَدْ

كَلّا وَلَا النَّفسُ الْبَسيـ ... ـطَةُ لَا وَلَا الْعَقلُ الْمُجَرَّدْ

مِنْ كُنْهِ ذاتِكَ غَيرَ أَنَّـ ... ـكَ واحِدِيُّ الذّاتِ سَرمَدْ

وَجَدوا إضافاتٍ وَسَلْـ ... ـباً وَالْحَقيقَةُ لَيسَ توجَدْ

وَرأَوا وُجوداً واجِباً ... يَفنى الزَّمانُ وَلَيسَ يَنْفَدْ

فَلْيَخْسَأ الْحُكَماءُ عَنْ ... جِرمٍ لَهُ الْأَمْلاكُ تَسْجُدْ

مَنْ أنتَ يا رِسْطو وَمَنْ ... أَفْلاطُ قَبلَكَ يا مُبَلَّدْ

وَمَنِ ابْنُ سينا حينَ قَرَّ ... رَ ما بَنَيْتَ لَهُ وشَيَّدْ

ما أَنتُمُ إلَّا الفَر ... اشُ رَأى الشِّهابَ وَقَدْ تَوَقَّدْ

فَدَنا فَأَحْرَقَ نَفْسَهُ ... وَلَوِ اهْتَدى رُشْداً لَأَبْعَدْ

يقول ابن أبي الحديد :

فيكَ يا أُعْجوبةَ الْكَو ... نِ غَدا الفِكرُ عَليلا
كُلَّما قَدَّمْتُ فِكْري ... فيكَ شِبْراً فَرَّ ميلا
أَنتَ حَيَّرتَ ذَوي اللُّـ ... ـبِّ وَبَلْبَلْتَ الْعُقولا [١]

إنّ هذا الكوكب الذي نعيش عليه بسهوله وجباله ومياهه وزروعه وأشجاره إنّما هو من أبسط مخلوقات الله ، والإنسان الذي هو من أفضل الكائنات الحيّة التي فيه ، فإنّه محدود في فكره ، فكيف يصل إلى إدراك تلك الحقيقة العظمى المبدعة لخلق الأشياء .

العدل الإلٰهي

وتؤمن الشيعة إيماناً لا يخامره شكّ أنّه تعالى عادل في حكمه لا يجور في قضائه ، ولا يحيف في حكمه ، وأنّه يجازي المحسنين ، ويعاقب العاصين ، وأنّه لا يكلّف عباده فوق ما لا يطيقون ، وأنّه لا يأمر إلّا بالحسن ، ولا ينهى إلّا عن القبيح .

والعدل الذي هو من صفات الله تعالى من الصفات الثبوتيّة الكماليّة ، وهنا مباحث مهمّة عرضت لها مصادر علم الكلام .

المعاد والبعث

من المبادئ التي تؤمن بها الشيعة كبقيّة المسلمين أنّ الله تعالى يبعث عباده بعد الموت ، وينشرهم من قبورهم إلى ساحات القيامة ليثيب المطيعين ويعذّب العاصين .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١٣ : ٥١ .

إنّ المعاد الجسماني من ضروريّات الإسلام ، وقد دلّ عليه القرآن الكريم في جملة من الآيات الكريمة ، قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٣).

إلى غير ذلك من الآيات التي أعلنت بوضوح بعث الإنسان ، ونشره من قبره ليحاسب على ما عمله في دار الدنيا فيجازى على وفق عمله إن خيراً فخيراً ، وإن شرّاً فشرّاً .

النبوّة

وتؤمن الشيعة بأنّ النبوّة لطف من الله بعباده تزكّيهم ، وتضع لهم المخطّطات السليمة الهادفة إلى تهذيبهم ، وغرس النزعات الكريمة في أعماق نفوسهم ، وتحذّرهم من الرذائل ، وتحرّرهم من مساوئ الأخلاق .

والله تعالى هو الذي يختار من عباده لهذا المنصب الرفيع ممّن تتوفّر فيهم التقوى والإيمان ، وسلامة الذات وطهارة النفس ، والعصمة من الزيغ .

وأنّه تعالى يؤيّدهم بمعجزاته ليقيم بهم الحجّة ، أمّا معجزاتهم فإنّها تتناسب مع ما اشتهر في عصورهم من الفنون والعلوم ، فقد أيّد الله تعالى نبيّه موسى بالعصا التي تلقف السحر الذي كان شائعاً في ذلك العصر ، فلمّا ألقاها ظهرت أعظم أفعى ،

---

(١) القيامة ٧٥: ٣ و ٤.

(٢) الرعد ١٣: ٥.

(٣) يس ٣٦: ٧٨ و ٧٩.

فوجلت منها قلوب السحرة والفراعنة ، وجعلت تلقف عصيّهم وحبالهم ، فأيقن السحرة بالمعجزة ، لأنّها فوق ما يملكون من وسائل السحر.

كما أيّد الله تعالى نبيّه عيسى بمعجزة عجزت عن مجاراتها وسائل الطبّ الذي كان شائعاً في ذلك العصر ، فكانت معجزته إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ، فأيقن المجتمع بنبوّته وآمنوا برسالته.

وأيّد الله تعالى رسوله العظيم خاتم الأنبياء بالقرآن الكريم المعجزة الخالدة على امتداد التاريخ ، فقد فاق بروعة أُسلوبه جميع فنون البلاغة وضروب الفصاحة السائدة في ذلك العصر ، وتحدّى بلغاء عصره بإتيان سورة من مثله ، فنكصوا واعترفوا بالعجز عن مجاراته ، ويضاف إلى بلاغته أنّه منهج كامل وشامل لجميع جوانب الحياة.

النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله

وتؤمن الشيعة كبقيّة المسلمين بأنّ الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله خاتم النبيّين أرسله تعالى بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون ، فرفع صلوات الله عليه كلمة التوحيد ، وأنار الدنيا بعلومه وحكمه ، وأخرج العباد من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن.

يقول رائد العدل في الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

« فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبادَهُ مِنْ عِبادَةِ الْأَوْثانِ إِلَىٰ عِبادَتِهِ ، وَمِنْ طاعَةِ الشَّيْطانِ إِلَىٰ طاعَتِهِ ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ ، لِيَعْلَمَ الْعِبادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ »[١].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٩ : ١٠٣.

ويقول سيّد المتّقين والعابدين الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام :

«اللّهُمَّ فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ أَمينِكَ عَلىٰ وَحْيِكَ ، وَنَجيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ ، وَصَفِيِّكَ مِنْ عِبادِكَ ، إمامِ الرَّحْمَةِ ، وَقائِدِ الْخَيْرِ ، وَمِفْتاحِ الْبَرَكَةِ ، كَما نَصَبَ لأَمْرِكَ نَفْسَهُ ، وَعَرَّضَ فيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ ، وَكاشَفَ في الدُّعاءِ إِلَيْكَ حامَّتَهُ[١] ، وَحارَبَ في رِضاكَ أُسْرَتَهُ ، وَقَطَعَ في إِحْياءِ دينِكَ رَحِمَهُ ، وَأَقْصَى الْأَدْنَيْنَ عَلىٰ جُحُودِهِمْ ، وَقَرَّبَ الْأَقْصَيْنَ عَلَى اسْتِجابَتِهِمْ لَكَ ، وَوالىٰ فيكَ الْأَبْعَدينَ ، وَعادىٰ فِيكَ الْأَقْرَبينَ .

وَأَدْأَبَ نَفْسَهُ[٢] في تَبْليغِ رِسالَتِكَ ، وَأَتْعَبَها بِالدُّعاءِ إِلىٰ مِلَّتِكَ ، وَشَغَلَها بِالنُّصْحِ لأَهْلِ دَعْوَتِكَ ، وَهاجَرَ إِلىٰ بِلادِ الْغُرْبَةِ ، وَمَحَلِّ النَّأْيِ عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ ، وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ ، وَمَسْقَطِ رَأْسِهِ ، وَمَأْنَسِ نَفْسِهِ إرادَةً مِنْهُ لإِعْزازِ دِينِكَ ، وَاسْتِنْصاراً عَلىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ ، حَتّىٰ اسْتَتَبَّ لَهُ ما حاوَلَ في أَعْدائِكَ»[٣] .

إنّ إيمان الشيعة بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كإيمان بقيّة المسلمين بأنّه رسول الله اصطفاه لدينه ، واختصّه لوحيه ، وانتخبه لهداية عباده ، وقد لقي صلى الله عليه وآله أقسى المحن ، وأشقّ أهوال الخطوب من القبائل القرشيّة التي كفرت بالله وعبدت الأوثان ، وظلّت عاكفة عليها ، وبعد أن أعزّ الله دينه ونصر رسوله دخلت في الإسلام كرهاً ، وأضمرت الكفر بالله والجحود بالرسالة نبيّه .

---

(١) حامّته : خاصّته وأُسرته .

(٢) أدأب : أي أتعب نفسه .

(٣) الصحيفة السجّاديّة : ٣١ ، الدعاء رقم ٢ .

الإمامة

وهي عند الشيعة أصل من أُصول الإسلام كالنبوّة ، بل هي امتداد لعطائها ، واستمرار لمناهجها ، وهي من ضروريّات الدين لما فيها من المنافع التي لا غنى عنها كهداية الناس ، وتهذيب سلوكهم ، وإقامة ما اعوجّ من نظام الدين والدنيا ، ونتحدّث بإيجاز عن بعض شؤونها حسب ما تؤمن به الشيعة :

الإمامة بالنصّ

وتعتقد الشيعة أنّ الإمام لا يكون إلّا بالنصّ من الله تعالى ، فهو الذي يختار لمنصب الإمامة من يشاء من عباده الصالحين ، وليست خاضعة لاختيار الناس وانتخابهم الذي لم يكن في كثير من الأحوال متّفقاً مع الصالح العامّ ، وإنّما كان ناشئاً من الرغبات والميول الخاصّة التي لا تنشد صالح الأُمّة .

يقول الإمام الرضا عليه السلام :

« إنَّ الْإمامَةَ خَصَّ اللهُ بِها إِبْراهيمَ الْخَليلَ عليه السلام بَعْدَ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَّةِ مَرْتَبَةً ثالِثَةً ، وَفَضيلَةً شَرَّفَهُ بِها ، وَأَشادَ بِها ذِكْرَهُ ، فَقالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[1] ، فَأَبْطَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ إِمامَةَ كُلِّ ظالِمٍ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، وَصارَتْ في الصَّفْوَةِ.

ثُمَّ أَكْرَمَها اللهُ بِأَنْ جَعَلَها في ذُرِّيَّةِ أَهْلِ الصَّفْوَةِ وَالطَّهارَةِ ، فَقالَ : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ

(١) البقرة ٢: ١٢٤.

بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾[١].

فَلَمْ تَزَلْ تَرِثُها ذُرِّيَّتُهُ عليه‌السلام بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ، قَرْناً فَقَرْناً، حَتّىٰ وَرِثَها النَّبِيُّ صلى‌الله‌عليه‌وآله، فَقالَ اللهُ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٢].

فَكانَتْ لَهُمْ خاصَّةً، فَقَلَّدَها النَّبِيُّ صلى‌الله‌عليه‌وآله عَلِيّاً عليه‌السلام، فَصارَتْ في ذُرِّيَّتِهِ الْأَصْفِياءِ الَّذينَ آتاهُمُ اللهُ الْعِلْمَ وَالْإِيمانَ، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَـٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣] عَلىٰ رَسْمِ ما جَرىٰ، وَما فَرَضَهُ اللهُ في وُلْدِهِ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ؛ إِذْ لا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صلى‌الله‌عليه‌وآله، فَمِنْ أَيْنَ يَخْتارُ هٰؤُلاءِ الْجُهّالُ الْإِمامَةَ بِآرائِهِمْ؟

إِنَّ الْإِمامَةَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِياءِ، وَإِرْثُ الْأَوْصِياءِ...»[٤].

وما الأزمات الحادّة، والكوارث المفجعة التي دهمت العالم الإسلامي إلّا من النتائج المباشرة لفصل الخلافة عن النصّ. وقد سبق أن تحدّثنا عن ذلك بالتفصيل في البحوث السابقة.

---

(١) الأنبياء ٢١: ٧٢ و ٧٣.

(٢) آل عمران ٣: ٦٨.

(٣) الروم ٣٠: ٥٦.

(٤) تحف العقول: ٤٣٦. عيون أخبار الرضا عليه‌السلام: ١: ٢١٦.

عصمة الأئمّة عليهم السلام

ونعت بعض الفرق الإسلاميّة على الشيعة التزامها بعصمة أئمّتهم عليهم السلام ، وقاسوا الأئمّة الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بغيرهم من الناس الذين يخضعون لشهواتهم ورغباتهم ، ويقترفون الذنوب عن عمد وخطأ ، وهذا القياس لا نصيب له من الصحّة ، وبعيد عن الواقع كلّ البعد ، فإنّ من يتصفّح سيرة الأئمّة الطاهرين يجدها مشرقة كالشمس ، لم تلوّث بأي مأثم من مآثم هذه الحياة .

يقول الإمام الرضا عليه السلام :

« الْإِمامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنوبِ ، مُبَرَّءٌ مِنَ الْعُيوبِ ، مَخْصوصٌ بِالْعِلْمِ ، مَوْسومٌ بِالْحِلْمِ ، نِظامُ الدِّينِ ، وَعِزُّ الْمُسْلمينَ ، وَغَيْظُ الْمُنافِقينَ ، وَبَوارُ الْكافِرينَ »[١] .

وقد وفّقني الله ـ وله الحمد ـ على التأليف والبحث عن مسيرة حياتهم ، فما وجدت في أثناء مدّة تأليفي التي استغرقت زهاء أربعين عاماً إلّا هالة من النور والسموّ والكرامة في سيرة كلّ واحد منهم ، والطابع العامّ في حياتهم تقوى الله تعالى وطاعته والتحرّج في الدين ، ولم يسجّل التاريخ في سيرة واحد منهم انحرافاً أو ذنباً اقترفوه ، وإنّما سجّل المؤرّخون صفحات من الانقطاع إلى الله والتبتّل إليه ، والإغراق في طاعته ، والصبر على ما أصابهم من الكوارث التي صبّها عليهم الطغاة من حكّام عصورهم ، ومن الطبيعي أنّ هذه هي العصمة .

علم الأئمّة عليهم السلام

وتؤمن الشيعة بأنّ أئمّة الهدى عليهم السلام قد منحهم الله العلم والحكمة وفصل الخطاب ، ميّزهم على بقيّة خلقه بهذه الظاهرة ، فسيّد الأئمّة الإمام أمير

---

(١) تحف العقول : ٤٣٦ ـ ٤٤٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ : ٢١٦ ـ ٢٢٢.

المؤمنين عليه السلام ، باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله الذي أضاء سماء الدنيا بعلومه وعبقريّاته ، وهو القائل :

«سَلوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدوني ، هٰذا سَفَطُ[1] الْعِلْمِ ، هٰذا لُعابُ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، هٰذا ما زَقَّني بِهِ رَسولُ اللهِ زَقّاً ، فَاسْأَلوني ، فَإِنَّ عِنْدي عِلْمُ الْأَوَّلينَ وَالْآخِرينَ ، أَما وَاللهِ لَوْ ثُنِيَتْ لي الْوِسادَةُ ثُمَّ أُجْلِسْتُ عَلَيْها لَحَكَمْتُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْراةِ بِتَوْراتِهِمْ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِنْجيلِ بِإِنْجيلِهِمْ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الزَّبورِ بِزَبورِهِمْ ، وَبَيْنِ أَهْلِ الْفُرْقانِ بِفُرْقانِهِمْ ، حَتّىٰ يُنادي كُلُّ كِتابٍ بِأَنَّ عَلِيّاً حَكَمَ بِحُكْمِ اللهِ فِيَّ»[2].

وهو عليه السلام بإجماع المسلمين أعلم أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله ، وأبصرهم بشؤون الدين ، وأحكام الإسلام .

وإذا استعرضنا بقيّة الأئمّة عليهم السلام فإنّا نرى أنّهم أعلم ممّن كان في عصرهم من العلماء والمتمرّسين في جميع أنحاء العلوم .

فالإمام الصادق عليه السلام ـ مثلاً ـ هو صاحب الجامعة الكبرى التي ضمّت أربعة آلاف طالب ، وكان يحاضر في جميع أنواع العلوم من الفلسفة وعلم الطبّ وغيرها ، وقد كان من تلاميذه جابر بن حيّان مفخرة الشرق العربي ، ومؤسّس علم الكيمياء ، وينصّ في رسائله التي بلغت خمسمائة رسالة أنّ جميع ما عنده من العلوم قد استقاه من سيّده وإمامه الإمام جعفر الصادق عليه السلام .

وهكذا بقيّة الأئمّة الطاهرين عليهم السلام كانوا من أعاظم علماء الدنيا ، وقد أراد المأمون

---

(١) سفط ـ محرّكة ـ : أي وعاء .

(٢) المناقب لابن شهرآشوب : ٢ : ٣٨ .

إبطال ما تذهب إليه الشيعة من أنّ أئمّتهم لا يدانيهم أحد في علمهم ، وأنّهم أفضل علماء الدنيا ، فجلب جميع العلماء من مختلف أنحاء الأرض واجتمع بهم سرّاً ، ووعدهم بالثراء العريض إذا أفحموا الإمام الرضا عليه السلام ، وعجز عن أجوبة مسائلهم ، فأعدّوا له أعقد المسائل وأكثرها صعوبة من جميع أنواع العلوم من الطبّ والفيزياء والفقه والكيمياء والفلسفة وعلم الكواكب وغيرها .

وقد سئل عمّا يزيد على عشرين ألف مسألة ، فأجاب عنها جواب العالم المتخصّص ، وقد ذهب معظم العلماء إلى القول بإمامته ، وأنّه من حجج الله تعالى على عباده ، وأنّه ليس في الدنيا أحد يساويه في علمه ، وقد أخذت الأندية تتحدّث عن عظيم فضل الإمام عليه السلام ، ممّا اضطرّ المأمون إلى حجبه عن الناس ، وخاف من وقوع الفتنة ، وكان ذلك من الأسباب التي أدّت إلى اغتياله للإمام عليه السلام .

وقام المأمون بنفس هذا الدور مع الإمام الجواد عليه السلام الذي كان عمره الشريف لا يتجاوز التسع سنين ، الذي لا يسمح لمثله أن يسأل عن جميع أنواع العلوم والمعارف ، فيجيب عنها جواب العالم الخبير ، وقد سأله العلماء في نوب متفرّقة عمّا يزيد على عشرين ألف مسألة فأجاب عنها بلا تردّد .

وقد ذكر ذلك جميع من ترجم للإمام[١] . وقد زاد ذلك الشيعة إيماناً بصحّة ما يذهبون إليه من أنّ الأئمّة عليهم السلام قد فاقوا جميع علماء الدنيا في علومهم ومواهبهم وعبقريّاتهم .

وجوب التمسّك بالأئمّة عليهم السلام

وتذهب الشيعة إلى وجوب التمسّك بأئمّة أهل البيت عليهم السلام ولزوم مودّتهم متّبعة في ذلك النصوص من القرآن الكريم ، كقوله تعالى : ﴿ **قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً**

---

(١) عرضنا لذلك بصورة مفصّلة في كتابنا (حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام) .

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[١]، وغير هذه الآية.

ومن السنّة المقدّسة المتواترة، كحديث الثقلين وهو قول النبيّ ﷺ: «**أيُّها النّاسُ، إنِّي فَرَطُكُمْ، وَأَنْتُمْ وارِدي الْحَوْضِ، وَإِنّي سائِلُكُمْ حينَ تَرِدونَ عَلَيَّ عَنِ الثَّقَلَيْنِ، فَانْظُروا كَيْفَ تَخْلُفُوني فِيهِما.**

قالوا: وما الثقلان، يا رسول الله؟

قال: **الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ كِتابُ اللهِ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفٌ بِأَيْديكُمْ، فَاسْتَمْسِكوا بِهِ وَلَا تَضِلّوا، وَلَا تُبَدِّلوا، وَعِتْرَتي أَهْلُ بَيْتي**»[٢].

وقد ضمن النبيّ ﷺ في هذا الحديث الشريف عدم الضلال لكلّ من يتمسّك بالثقلين قد جعلهما كشيء واحد، وأنّهما معاً مصدر هداية للأُمّة وسعادة على امتداد التاريخ.

وقد عرضنا لهذا الحديث وغيره في البحوث السابقة، وأقمنا الأدلّة الحاسمة على لزوم مودّة أهل البيت عليهم السلام، وأنّ البارز من مودّتهم أخذ أحكام الدين وشؤون الشريعة المقدّسة منهم.

عدد الأئمّة عليهم السلام

وتحكي معظم كتب الحديث سلسلة خلفاء النبيّ ﷺ الإثني عشر الذين أقامهم الرسول ﷺ أوصياء من بعده، وأُمناء على تبليغ رسالته، وإشاعة مثله وآدابه، وذلك في نصوص متواترة، منها مارواه جابر بن سمرة، قال: «سمعت رسول الله ﷺ

(١) الشورى ٤٢: ٢٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٠٩.

وجاء بألفاظ مختلفة في: صحيح مسلم: ٢: ٣٦٢. مسند أحمد بن حنبل: ٣: ١٧.

يقول : **لَا يَزالُ الدِّينُ قائِماً حَتّىٰ تَقومَ السّاعَةُ ، وَيَكونَ عَلَيْهِمْ اثْنا عَشَرَ خَليفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**»[(١)].

وصرّحت بعض النصوص بأسمائهم إماماً بعد إمام ، أوّلهم أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وآخرهم قائم آل محمّد عليه‌السلام .

وهذه أسماؤهم الشريفة :

١ ـ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام

رائد العدالة الاجتماعيّة في دنيا الإسلام ، وأخو النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وأبو سبطيه ، وباب مدينة علمه ، ووصيّه ، وخليفته من بعده ، ومَن كان منه بمنزلة هارون من موسى .

ولد عليه‌السلام في الكعبة المقدّسة ولم يولد أحد غيره في هذا المكان المعظّم ، وكانت ولادته سنة ٢٣ قبل الهجرة النبويّة المباركة .

استشهد في جامع الكوفة في شهر رمضان المبارك والصلاة بين شفتيه سنة ٤٠هـ ، اغتاله بغيّ من بغايا الخوارج عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله .

٢ ـ الإمام الحسن بن عليّ عليهما‌السلام

هو السبط الأوّل لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وريحانته ، هو وأخوه الإمام الحسين عليه‌السلام سيّدا شباب أهل الجنّة .

ولد سبط الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله في يثرب في شهر هو أبرك الشهور ، وهو شهر رمضان المبارك ، فبادر النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله فأذّن في أُذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى ، وسمّاه حسناً .

---

(١) صحيح مسلم : ٢ : ١١٩ . صحيح البخاري : ٤ : ١٦٤ .

ورواه أبو داود الترمذي في جامعه ، والحميدي في جمعه بين الصحيحين ، وفي تفصيل صحيح مسلم للحديث أنّه صريح ممّا تقول الإماميّة في أئمّتهم .

وفي اليوم السابع من ولادته عقّ عنه بكبش وحلق رأسه، وتصدّق بزنته على المساكين كما أجرى عليه الختان، وكانت ولادته في السنة الثالثة من الهجرة النبويّة.

وقد تولّى النبيّ صلى الله عليه وآله تربيته، فغذّاه بمكارمه وحكمه وآدابه، حتّى صار صورة مشرقة عنه.

تقلّد الخلافة بعد شهادة أبيه، وقد ابتلي بالذئب الجاهلي معاوية بن أبي سفيان العدوّ الأوّل للأُسرة النبويّة، فدسّ عملاءه في صفوف الجيش العراقي فأفسده، واشترى ضمائر قادة جيش الإمام، وضمنوا له تسليم الإمام له أسيراً أو اغتياله.

فرأى عليه السلام أنّ المصلحة الإسلاميّة تقضي بمصالحة معاوية، فصالحه على ما في الصلح من قذى في العين، وشجاً في الحلق، ولولا الصلح لوقعت الأُمّة في أزمات وكوارث لا يعلم مداها إلّا الله.

وقد ذكرنا أسباب الصلح ولزومه في كتابنا (الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام).

شهادته عليه السلام: اغتاله الباغي الأثيم معاوية بن أبي سفيان، فدسّ له السمّ على يد زوجته جعيدة بنت الأشعث، وتوفّي في اليوم السابع من شهر صفر سنة ٤٩هـ.

٣ـ الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام

هو أبو الأحرار، وسيّد الشهداء، ومفخرة الإسلام، وأبيّ الضيم، والسبط الثاني لرسول الله صلى الله عليه وآله، وقد احتلّ عواطف النبيّ صلى الله عليه وآله، فقلّده أسمى الأوسمة وأقدسها، هو سيّد شباب أهل الجنّة[1]، وإمام، وابن إمام، وأخو إمام، وأبو الأئمّة التسعة[2]، وهو وأخوه إمامان إن قاما وإن قعدا[3].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١٣: ٥٠. سير أعلام النبلاء: ٣: ١٩٠.

(٢) منهاج السنّة: ٤: ٢١٠.

(٣) الاتحاف بحبّ الأشراف: ١٢٩. نزهة المجالس: ٢: ١٨٤.

ومن أوسمته الذائعة التي منحها الرسول ﷺ له قوله: «**حُسَيْنٌ مِنّي وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْناً، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْباطِ**»[١].

ولد عليه‌السلام في يثرب في السنة الرابعة[٢]، وقيل السنة الثالثة من الهجرة[٣]، وبادر النبيّ ﷺ إلى بيت الصدّيقة فأوسع الوليد المبارك تقبيلاً.

ثمّ أجرى الرسول ﷺ على وليده مراسيم الولادة، فأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وسمّاه حسيناً كما سمّى أخاه حسناً[٤].

وفي اليوم السابع من ولادته عليه‌السلام عقّ عنه بكبش، وحلق رأسه وتصدّق بزنته فضّة على المساكين.

شهادته عليه‌السلام: ولمّا صارت الخلافة الإسلاميّة أُلعوبة بأيدي الأمويّين حسب ما خطّطته القوى القرشيّة لها، والتي أمعنت بجميع الوسائل في حرف الخلافة عن أهل بيت النبوّة، وصار الفاجر يزيد بن معاوية خليفة وملكاً على المسلمين، وهو وريث جدّه أبي سفيان وأبيه معاوية اللذين حاربا الإسلام وجهدا في محو

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٥: ١٨٢، الحديث ١٧١١١. سنن ابن ماجة: ١: ٥١. أنساب الأشراف: ٣: ٣٥٩. المستدرك على الصحيحين: ٣: ١٧٧. أسد الغابة: ٤: ٧٤٩ و ٧٥٠. تهذيب الكمال: ٦: ٤٠١ و ٤٠٢.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢: ٢٧. مقاتل الطالبيّين: ٨٤. تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ١١٥. أُسد الغابة: ١: ٤٩٦، الحديث ١١٧٣. تهذيب الأسماء واللغات: ١: ١٦٣، الحديث ١٢٣. مجمع الزوائد: ٩: ١٩٤. الخطط المقريزيّة: ٢: ٢٨٥. الذريّة الطاهرة: ٦٩. جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام: ١١٦.

(٣) الكافي: ١: ٥٣٠. الخطط المقريزيّة: ٢: ٢٨٥. الاستيعاب: ١: ٣٩٢.

(٤) علل الشرائع: ١: ١٦٦ و ١٦٧، الحديث ٧. كشف الغمّة: ١: ٥٥٠ و ٥٥١. أُسد الغابة: ١: ٤٩٦. ذخائر العقبى: ١١٩.

كلمة الله من الأرض.

وأخذ يزيد يعلن إلحاده وفجوره وآثامه، فلم يسع حفيد الرسول ﷺ الإمام الحسين عليه السلام السكوت أمام هذا التيّار الفاجر، فأعلن ثورته الخالدة التي أوضح الله بها الكتاب، وجعلها عبرة لأُولي الألباب، فاستشهد سلام الله عليه مع الصفوة الخالدة من أهل بيته وأبنائه وأصحابه الممجّدين، ومثّل الطغاة بجسمه الشريف، وطيف برأسه ورؤوس الشهداء من أصحابه وأهله، وقد رفعت على الرماح وهي تضيء للمسلمين طريق الحريّة والكرامة، وكانت فاجعته من الأحداث الجسام التي رزئ بها المسلمون على امتداد التاريخ، أمّا تاريخ شهادته ففي اليوم العاشر من المحرّم سنة ٦١هـ.

إخبار النبيّ ﷺ باستشهاده عليه السلام

روت أم الفضل بنت الحارث، قالت: «كان الحسين في حجري فدخلت على رسول الله ﷺ وقد حملت معي الحسين، فوضعته في حجر رسول الله ﷺ، ثمّ حانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان من الدموع.

فقلت له: يا نبيّ الله، بأبي أنت وأمي، ما لك؟

قال ﷺ: **أَتانِي جَبْرَئِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ أُمَّتِي سَتَقْتُلُ ابْنِي هـٰذا.**

وذعرت أم الفضل، فانبرت تقول: يقتل هذا؟ وأشارت إلى الحسين.

قال ﷺ: **نَعَمْ، وَأَتانِي جَبْرَئِيلُ بِتُرْبَةٍ مِنْ تُرْبَتِهِ حَمْراءَ**»[1].

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٣: ١٧٦ و ١٧٧.

وفي تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ١٩٦ و ١٩٧: عن أُم الفضل، قالت: إنّ النبيّ ﷺ دخل عليّ يوماً وحسين معي، فأخذه وجعل يلاعبه ساعة ثمّ ذرفت عيناه.

فقلت له: ما يبكيك؟

«

وروت أسماء أنّها رأت النبيّ ﷺ يقبّل الحسين عليه السلام وقد فاضت عيناه بالدموع ، فبهرت قائلة : فداك أبي وأُمّي ، ممّ بكاؤك ؟

فأجابها الرسول ﷺ بصوت حزين النبرات قائلاً : **مِن ابْني هـٰذا**.

وملكت الحيرة لبّها وراحت تقول : إنّه ولد الساعة !

فأخبرها الرسول ﷺ بما سيجري على وليده : **تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ ، لا أَنالَهُمُ اللهُ شَفاعَتي**.

وأسرّ إلى أسماء أن لا تخبر سيّدة النساء فاطمة بكلامه لأنّها حديثة عهد بولادته[١].

٤ ـ الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام

وهو سيّد المتّقين ، وإمام الموحّدين ، ولم يشاهد في تاريخ الشرق العربي مثل هذا الإمام العظيم عدا آبائه في تقواه وورعه وزهده وانقطاعه إلى الله ، وهو صاحب الصحيفة السجّاديّة التي هي إنجيل آل محمّد ﷺ ، وهي من أروع أدعية أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، فقد حفلت بأسمى الدروس التربويّة والأخلاقيّة والسياسيّة ، وغير ذلك من المناهج الحيّة ، كما إنّه صاحب رسالة الحقوق ، فقد شرّعت الحقوق الفرديّة والاجتماعيّة للمجتمع الإسلامي.

وهو أحد المؤسّسين لمدرسة أهل البيت ، فقد ضمّت مدرسته أعلام العلماء في عصره.

ولد الإمام زين العابدين عليه السلام في يثرب[٢] سنة ٣٨هـ في شهر شعبان ، في اليوم

» فقال : **هـٰذا جَبْرَئيلُ يُخْبِرُني أَنَّ أُمَّتي تَقْتُلُ ابني هـٰذا** ».

(١) مسند الإمام زيد : ٤٦٨.

(٢) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ : ١٨٧. بحر الأنساب : الورقة ٥٢. نور الأبصار : ١٣٦. »

الخامس منه[١]، وقد تولّى تربيته جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأبوه سيّد الشهداء، فغذّياه بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

شهادته عليه السلام: اغتاله بالسمّ المجرم الأثيم الوليد بن عبدالملك، فقد دسّ السمّ إليه على يد عامله على يثرب[٢]، وبعد تناوله بمدّة يسيرة وافاه الأجل المحتوم، وكانت شهادته في شهر محرّم في اليوم الخامس والعشرين من سنة ٩٥هـ.

وقد نصّ على إمامة الباقر عليه السلام، يقول الزهري: «دخلت إليه عائداً، فقلت له: إن وقع من أمر الله ما لا بدّ منه، فإلى مَن نختلف بعدك؟

فنظر الإمام إليه برفق وقال له: **إلى ابْني هـٰذا** ـ وأشار إلى ولده الباقر عليه السلام ـ **فَإِنَّهُ وَصِيِّي، وَوارِثي، وَعَيْبَةُ عِلْمي، وَهُوَ مَعْدِنُ الْعِلْمِ وَباقِرُهُ.**

- هلّا أوصيت إلى أكبر ولدك؟

- **يا أَبا عَبْدِاللهِ، لَيْسَتِ الْإِمامَةُ بِالْكِبَرِ وَالصِّغَرِ، هـٰكَذا عَهِدَ إِلَيْنا رَسولُ اللهِ** صلى الله عليه وآله، **وَهـٰكَذا وَجَدْناهُ في اللَّوْحِ وَالصَّحيفَةِ.**

- يابن رسول الله، عهد إليكم نبيّكم أن تكونوا الأوصياء بعده؟

- **وَجَدْنا في الصَّحيفَةِ وَاللَّوْحِ اثْنَي عَشَرَ اسْماً مَكْتوبَةً في اللَّوْحِ إِمامَتَهُمْ وَأَسْماءِ آبائِهِمْ وَأُمَّهاتِهِمْ.**

ثمّ قال: **وَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ مُحَمَّدٍ ابْني سَبْعَةٌ مِنَ الْأَوْصِياءِ مِنْهُمُ الْمَهْدِيُّ**»[٣].

« دائرة المعارف للبستاني: ٩: ٣٥٥. الإمامة في الإسلام: ١١٦. تحفة الراغب: ١٣.

(١) مطالب السؤول: ٢: ٤١. نور الأبصار: ١٣٦.

(٢) الاتحاف بحبّ الأشراف: ٥٢. الصواعق المحرقة: ٥٣.

(٣) إثبات الهداة: ٥: ٢٦٤.

٥ ـ الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه‌السلام

وهو باقر علوم الأوّلين والآخرين ، وعملاق هذه الأُمّة بمواهبه وعبقريّاته التي لا تحدّ ، وقد نصّ عليه النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله وسمّاه بمحمّد ، وكنّاه بالباقر ، ونقل له تحيّاته على يد الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري ، الذي هو آخر من بقي من أصحاب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله .

عن أبان بن تغلب ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام ، قال : «**إنَّ جابرَ بْنَ عَبْدِاللهِ الأَنْصارِيَّ كانَ آخِرَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحابِ رَسولِ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وَكانَ رَجُلاً مُنْقَطِعاً إِلَيْنا أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَكانَ يَقْعُدُ في مَجْلِسِ رَسولِ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله وَهُوَ مُعْتَجِرٌ[1] بِعِمامَةٍ سَوْداءَ ، وَكانَ يُنادي : يا باقِرَ الْعِلْمِ ، يا باقِرَ الْعِلْمِ ، فَكانَ أَهْلُ الْمَدينَةِ يَقولونَ : جابِرٌ يَهْجُرُ .**

فَكانَ يَقولُ : وَاللهِ ما أَهْجُرُ ، وَلكِنّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله يَقولُ : إِنَّكَ سَتُدْرِكُ رَجُلاً مِنّي اسْمُهُ إِسْمي ، وَشَمائِلُهُ شَمائِلي ، يَبْقَرُ الْعِلْمَ بَقْراً ، فَذاكَ الَّذي دَعاني إِلى ما أَقولُ .

قالَ : فَبَيْنَما جابِرٌ يَتَرَدَّدُ ذاتَ يَوْمٍ في بَعْضِ طُرُقِ الْمَدينَةِ إِذْ مَرَّ بِطَريقٍ ، في ذاكَ الطَّريقِ كُتّابٌ[2] فيهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، فَلَمّا نَظَرَ إِلَيْهِ قالَ : يا غُلامُ ، أَقْبِلْ ، فَأَقْبَلَ ، ثُمَّ قالَ لَهُ : أَدْبِرْ ، فَأَدْبَرَ .

ثُمَّ قالَ : شَمائِلُ رَسولِ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ ، يا غُلامُ ، ما اسْمُكَ ؟

قالَ : اسْمي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَجَعَلَ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ ، وَيَقولُ : بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي ، أَبوكَ رَسولُ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله يَقْرَأُكَ السَّلامَ .

---

(١) معتجر : وهو وضع العمامة على الرأس .

(٢) كُتّاب : موضع التعليم .

قالَ: فَرَجَعَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ إلىٰ أَبيهِ وَهُوَ ذَعِرٌ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقالَ لَهُ: يا بُنَيَّ، قَدْ فَعَلَها جابِرٌ.

قالَ: نَعَمْ.

قالَ: الْزَمْ بَيْتَكَ يا بُنَيَّ»[١].

ولد في يثرب في اليوم الثالث من شهر صفر سنة ٥٦هـ[٢]، وقد تولّى تربيته جدّه الإمام الحسين عليه السلام وأبوه الإمام زين العابدين عليه السلام، فغرسا في نفسه المُثل العليا، والقيم الكريمة حتّى صار صورة صادقة عنهما.

شهادته عليه السلام: اغتاله الأمويّون بالسمّ. قيل اغتاله هشام بن عبدالملك[٣]، وقيل: إبراهيم بن الوليد[٤].

وكانت وفاته سنة ١١٤هـ[٥]، وقيل غير ذلك.

٦ ـ الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام

هو عملاق هذه الأمّة، ورائد الحركة العلميّة في دنيا الإسلام، وقد ملأ الدنيا بعلومه ومعارفه على حدّ تعبير الجاحظ، وهو أثرى شخصيّة عرفها التاريخ في مواهبه وعبقريّاته، وقد انتهل العلماء من نمير علومه التي شملت جميع أنواع العلوم من الطبّ والكيمياء والفيزياء والفقه والفلسفة وعلم الكلام وغيرها،

(١) أُصول الكافي: ١: ٤٦٩ و ٤٧٠. رجال الكشّي: ٤١ و ٤٢/٨٨.

(٢) وفيات الأعيان: ٣: ٣١٤. تذكرة الحفّاظ: ١: ١٢٤. نزهة المجالس: ٢: ٣٦.

(٣) بحار الأنوار: ٤٦: ١٥٢. الأنوار البهيّة: ١٢٧. نور الأبصار: ٢٩٢.

(٤) أخبار الدول: ١١١.

(٥) شذرات الذهب: ١: ١٤٩. تهذيب الكمال: ٢٦: ١٤١. طبقات الفقهاء: ٣٦. تاريخ الأئمّة لابن أبي الثلج البغدادي: ٥.

وقد ضمّت جامعته أربعة آلاف طالب كان منهم أبو حنيفة ومالك وغيرهما .

ولد هذا الإمام العظيم سنة ٨٣هـ يوم الجمعة في ١٧ شهر ربيع الأوّل[١] .

وقام بتربيته جدّه الإمام زين العابدين عليه السلام المربّي الأكبر في الإسلام وأبوه الإمام محمّد الباقر عليه السلام ، وقد قطع شوطاً من حياته في أواخر الدولة الأمويّة التي عصفت بها الثورات الداخليّة ، وقد انهارت على يد الجيوش العبّاسيّة بقيادة أبي مسلم الخراساني ، وتشكّلت الدولة العبّاسيّة ، وقد اغتنم الإمام هذه الفرصة فبثّ علومه ونشر معارفه ، وهو المؤسّس لمذهب آل البيت ، فقد أغنى شيعته بالفقه ، ولم يجعلهم عالة على بقيّة المذاهب الإسلاميّة .

شهادته عليه السلام : اغتاله المنصور الدوانيقي الذي لا يضارعه أحد من الطغاة في جرائمه وموبقاته ، فقد دسّ له السمّ على يد عامله على يثرب ، وكانت وفاته سنة ١٤٨هـ[٢] ، وكان عمره الشريف خمساً وستّين سنة[٣] ، وقيل غير ذلك .

وقد بحثنا عن سيرته وشؤون حياته بحثاً شاملاً في كتابنا (موسوعة الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام) .

---

(١) أُصول الكافي : ١ : ٤٧٢ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٢٧٩ و ٢٨٠ . إعلام الورى : ٢٧١ ، وجاء فيه : « أنّه ولد بالمدينة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأوّل » .

(٢) الإرشاد : ٣٠٤ . مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : (مخطوط) . خلاصة تهذيب الكمال : ٥٤ . مرآة الجنان : ١ : ٣٤ . تذكرة الحفّاظ : ١ : ١٥٧ . تاريخ ابن الوردي : ١ : ٢٦٦ . الإتحاف بحبّ الأشراف : ٥٤ . دائرة المعارف للبستاني : ٦ : ٤٧٨ . أُصول الكافي : ١ : ٤٧٢ . كشف الغمّة : ٢ : ٣٧٣ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٢٨٠ . تهذيب التهذيب : ١ : ٣٨٦ . إعلام الورى : ٢٧١ . الأنساب للسمعاني : ٣ : ٥٠٨ .

(٣) دائرة المعارف للبستاني : ٦ : ٤٧٨ . دلائل الإمامة : ١١١ . ضياء العالمين : الجزء الثاني (مخطوط) . الإرشاد : ٣٠٤ .

٧ـ الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام

هو شبيه السيّد المسيح عليه السلام في تقواه وورعه وزهده وإنابته إلى الله تعالى، وكالنبيّ أيّوب عليه السلام في محنه وبلواه، كما إنّه الوسيلة الكبرى إلى الله تعالى في قضاء حوائج المتوسّلين به، فما قصده مكروب إلّا فرّج الله كربته، وهو المعروف بـ« باب الحوائج ».

ولد في الأبواء[١] سنة ١٢٨هـ[٢] في أيّام الطاغية عبدالملك بن مروان، تولّى تربيته والقيام بشؤونه والده الإمام الصادق عليه السلام عملاق الفكر الإنساني، فأغدق عليه معارفه وعلومه، وكان المرجع الأعلى للعالم الإسلامي بعد وفاة أبيه، وقد احتفى به العلماء والرواة ينتهلون من علومه.

شهادته عليه السلام: كان الإمام الكاظم عليه السلام من أشدّ الناقمين على سياسة هارون الرشيد التي لا يلمس فيها سوى اللّعب واللّهو والعكوف على شرب الخمر، وغير ذلك ممّا حرّم الله.

وقد اعتقل الطاغية الإمام وأودعه في ظلمات السجون حتّى قضى زهرة حياته ينتقل من سجن إلى سجن، ثمّ دسّ له السمّ على يد المجوسي السندي بن شاهك

---

(١) **الأبواء** ـ بالفتح ثمّ السكون وواو وألف ممدودة ـ: قرية من أعمال الفرع بالمدينة، وبه قبر الزاكية آمنة بنت وهب أمّ النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله، ووجه تسمية المكان بهذا الاسم ـ كما قيل ـ أنّه كان يكثر به الوباء.

وقال ثابت اللغوي: « سمّيت الأبواء لتبوّء السيول بها، وهو حسن ». معجم البلدان: ١: ٧٩.

(٢) تهذيب التهذيب: ١٠: ٣٤. الطبقات الكبرى: ١: ٣٣. نور الأبصار: ١٣٥. مناقب آل أبي طالب: ٤: ٣٢٣. كشف الغمّة: ٣: ٢.

مدير شرطته ، فلمّا تناوله لم يبق إلّا قليلاً حتّى صعدت روحه الطاهرة إلى الله تحفّها ملائكة الرحمن .

وقد استهانت السلطة بجثمانه المقدّس ، فوضعته على الجسر ، ونادت عليه بنداء فظيع أظهر ما يكنّه هارون من العداء والحقد لآل النبيّ ﷺ ، وانبرى سليمان العبّاسي ـ وهو من الشخصيّات البارزة في الأُسرة العبّاسيّة ـ فأمر غلمانه أن يأخذوا الجثمان المقدّس من أيدي الجلاوزة ، وشيّعه بتشييع حافل ، ودفنه في مرقده الذي صار أعزّ مرقد في الإسلام .

كانت شهادته في سنة ١٨٣هـ في اليوم الخامس والعشرين من شهر رجب[١] .

٨ ـ الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام

ولد الإمام الرضا عليه السلام سنة ١٤٨هـ[٢] ، ونشأ في كنف أبيه علم المتقين ، وإمام العابدين ، العالم الكاظم عليه السلام ، فأفرغ عليه أشعّة من روحه ، وغذّاه بمثله ومكوّناته حتّى صار صورة عنه .

وهو عليه السلام قبس من نور الله ، وكنز من كنوز حكمته ، لا يضاهيه أحد في مواهبه وعبقريّاته ، وهو أعظم شخصيّة إسلاميّة في عصره ، ونظراً لسموّ ذاته وتميّزه على السادة من أبناء الرسول ﷺ .

---

(١) وفيات الأعيان : ٢ : ١٧٣ . تاريخ بغداد : ١٣ : ٣٢ . الكامل في التاريخ : ٦ : ٥٤ . تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٤١٤ . الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة : ٢٣٨ . تاريخ الخميس : ٢ : ٣٧١ . البداية والنهاية : ٢ : ١٧ . تهذيب التهذيب : ١٠ : ٣٤٠ . ميزان الاعتدال : ٣ : ٢٠٩ . عمدة الطالب : ٨٥ . الدروس : ٢ : ١٣ .

(٢) غاية الاختصار : ١٤٨ . بحر الأنساب : ٢٨ . أُصول الكافي : ١ : ٤٨٦ . الإرشاد : ٢ : ٢٤٨ . الدرّ المسلوك : الورقة ١٣٩ (مصوّر) . أخبار الدول : ١١٤ . جوهرة الكلام : ١٤٣ . مرآة الجنان : ٢ : ١١ .

فقد رشّحه المأمون العبّاسي لولاية العهد، وإن كان ذلك لعبة سياسيّة منه، مع إدراك الإمام عليه السلام لهذه اللعبة، ولكنّ المصلحة العامّة اقتضت أن يكون والياً، وقد جلب لامتحانه وتعجيزه جميع علماء الدنيا، فلمّا مثلوا عنده عجزوا عن مجاراته، وذهب بعضهم إلى الاعتراف بإمامته، وأنّه حجّة الله على خلقه.

شهادته عليه السلام: استوعبت شخصيّة الإمام في زهده وعلمه وتقواه وورعه جميع أنحاء العالم الإسلامي في عصره، فحقد عليه المأمون ودسّ له سمّاً[(١)] قاتلاً في عنب، فقضى عليه، وكانت شهادته في ١٧ شهر صفر سنة ٢٠٣هـ.

٩ ـ الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام

من أروع صور العلم والفكر، ولد في ١٩ من شهر رمضان عام ١٩٥هـ[(٢)]، وتقلّد الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام الرضا عليه السلام وعمره الشريف لا يتجاوز التسع سنين.

وانتهز المأمون صغر سنّ الإمام عليه السلام فعقد المؤتمرات العلميّة لامتحانه لعلّه يعجز عن الجواب فيتّخذ من ذلك وسيلة لإبطال مذهب الشيعة القائلين إنّ أئمّتهم لا يضارعهم أحد في فضلهم ووفرة علومهم.

وقدّمت إلى الإمام أعقد المسائل، فأجاب عنها جواب العالم المتمرّس، وقد سأل عن أكثر من عشرين ألف مسألة في نوب متفرّقة فأجاب عنها، وقد تحدّثت الأندية عن علومه وهو في هذا السنّ ممّا سبّب حقد العبّاسيّين عليه.

شهادته عليه السلام: اغتاله المعتصم العبّاسي[(٣)]، فقد بعث بسمّ قاتل إلى زوجة الإمام

---

(١) بحار الأنوار: ٤٩: ٣١١.

(٢) النجوم الزاهرة: ٢ : ٢٣١. الفصول المهمّة : ٢٥٢. الإرشاد : ٣٥٦.

(٣) بحر الأنساب: ٢٨. مرآة الجنان: ٢ : ٨١. نزهة الجليس: ٢: ١١١.

أُمّ الفضل ، فدسّته إليه[(١)] ، فلمّا تناوله لم يبق إلّا قليلاً والتحق بالرفيق الأعلى ، وكانت شهادته في سنة ٢٢٠هـ[(٢)] يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي القعدة[(٣)] ، أمّا عمره الشريف فكان خمساً وعشرين عاماً[(٤)] .

١٠ ـ الإمام عليّ بن محمّد الهادي عليه‌السلام

هو سميّ جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام وشبيهه في نكران الذات والتجرّد عن جميع مظاهر الحياة الزائلة ، قد وهب حياته لله ، وأخلص للحقّ أعظم ما يكون الإخلاص ، وكان من أبرز السادة العلويّين في عصره الذين كانوا يمثّلون الجبهة المعارضة للحكم العبّاسي القائم على الظلم والجور ، جلبه المتوكّل العبّاسي ـ فاجر بني العبّاس ـ إلى سامرّاء ، وفرض عليه الإقامة الجبريّة ، ومنع العلماء والشيعة من الاتّصال به ، وكان يعتقله ثمّ يُطلقه ، فعل ذلك مراراً .

ولد هذا الإمام العظيم سنة ٢١٢هـ[(٥)] ، سمّاه أبوه الإمام الجواد عليه‌السلام عليّاً تبرّكاً باسم جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وكنّاه بأبي الحسن .

شهادته عليه‌السلام : اغتاله المعتمد العبّاسي بالسمّ ، ولم يبق إلّا وقتاً يسيراً حتّى سمت روحه إلى الرفيق الأعلى وذلك في سنة ٢٥٤هـ في يوم الاثنين لخمس ليالي بقيت من جمادى الآخرة ، وقيل غير ذلك . أمّا عمر الإمام عليه‌السلام فقد نصّت بعض المصادر

---

(١) نزهة الجليس : ٢ : ١١١ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٣٩١ .

(٢) تاريخ الخميس : ٢ : ٣٧٥ . بحر الأنساب : ٢ : ١٩ . تاريخ قم (مخطوط) . شذرات الذهب : ٢ : ٤٨ .

(٣) نزهة الجليس : ٢ : ٦١ . مرآة الجنان : ٢ : ٨١ .

(٤) تاريخ الإسلام : ١٥ : ٣٨٥ . روضة المناظر في تاريخ الأوائل والأواخر لمحمّد بن شحنة (مخطوط) . منتخب مرآة الجنان وعبرة اليقظان (مخطوط) . تاريخ قم (مخطوط) .

(٥) أُصول الكافي : ١ : ٤٩٧ . الإرشاد : ٣٦٨ ، أعيان الشيعة ـ القسم الثاني : ٤ : ٢٥٢ .

أنّه كان أربعين سنة[١].

١١ ـ الإمام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام

هو الإمام الحادي عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين حملوا رسالة الله، ووطّنوا أنفسهم على مواجهة الكوارث والأزمات من حكّام عصورهم من أجل إعلاء كلمة الحقّ والدفاع عن حقوق المظلومين والمضطهدين.

كان مع أبيه الهادي عليه السلام، وقد فرضت عليهما الإقامة الجبريّة في سامرّاء، واعتقل مراراً مع أبيه ومنفرداً، لأنّه لم يساير سياسة بني العبّاس، ولم يواكب مسيرتهم القائمة على الظلم والجور.

ولد عليه السلام في يثرب[٢]، وقيل في سامرّاء[٣] سنة ٢٣٠هـ في شهر ربيع الأوّل[٤]، وقيل غير ذلك، وكُنّي الإمام الزكيّ بـ(أبي محمّد)[٥].

شهادته عليه السلام: اغتاله العبّاسيّون بالسمّ[٦] وذلك في شهر ربيع الأوّل لثمان ليال خلون منه[٧] سنة ٢٦٠هـ[٨]، إذ وافته المنية وهو ابن ثمان وعشرين سنة[٩]،

(١) نور الأبصار: ١٥٠. كشف الغمّة: ٣: ١٧٤.
(٢) أخبار الدول: ١١٧. بحر الأنساب: ٢. تحفة الأنام: ٨٦.
(٣) روضة الواعظين: ٢٥١.
(٤) بحار الأنوار: ٥٠: ٣٥. تاريخ أبي الفداء: ٢: ٤٨.
(٥) أخبار الدول: ١١٧. بحر الأنساب: ٢. تحفة الأنام: ٨٦. النجوم الزاهرة: ٣: ٣٢.
(٦) الإرشاد: ٣٨٣.
(٧) تاريخ بغداد: ٧: ٣٦٦.
(٨) مرآة الجنان: ٢: ٤٦٢. تاريخ الخميس: ٢: ٣٤٣. تاريخ ابن الوردي: ١: ٣٢٥.
(٩) جامع الأخبار: ٤٢. أخبار الدول: ١١٧. الإرشاد: ٣٨٩.

ودفن بجوار أبيه الهادي في سامرّاء .

١٢ ـ الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف

هو المصلح الأعظم الذي يقيم ما اعوجّ من نظام الدين ، وهو خاتم الأوصياء ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً ، وقد بشّر به رسول الله صلى الله عليه وآله بأحاديث كثيرة بلغت حدّ التواتر اللّفظي والمعنوي ، كما بشّر به جميع الأئمّة الطاهرين عليهم السلام ، وهو جزء من رسالة الإسلام ، فمن أنكره فقد أنكر الإسلام .

ولد عليه السلام في سامرّاء سنة ٢٥٥هـ، وقد أخفى الله تعالى ولادته كما أخفى ولادة نبيّه موسى بن عمران خوفاً من السلطة العبّاسيّة العاتية التي اعتقدت أنّ زوال ملكها على يده ، فقد فرضت الرقابة والعيون من النساء والرجال عليه .

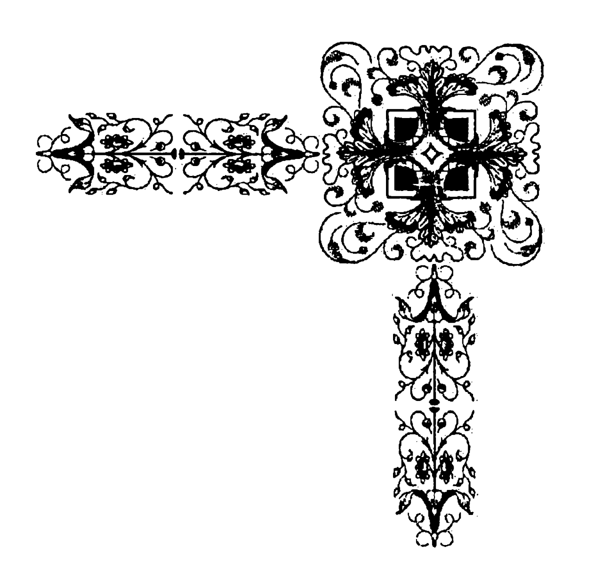
تقلّد الإمامة وكان عمره الشريف يزيد على أربع سنين ، وقد شاهده والتقى به خيار أصحاب أبيه ، وغاب عن الأبصار في غيبته الصغرى عند وفاة أبيه الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠هـ[١] ، وقد أقام له نوّاباً أربعة كانوا واسطة بينه وبين شيعته ، وهم : عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه ، ومحمّد بن عثمان رضي الله عنه ، والحسين بن روح رضي الله عنه ، وعليّ بن محمّد السَّمري رضي الله عنه .

واستمرّت الغيبة الصغرى زهاء سبعين عاماً ، ثمّ حدثت الغيبة الكبرى ، وقد أقام الفقهاء من المتحرّجين في دينهم والزاهدين في الدنيا مقامه ، وأوجب على الشيعة تقليدهم والرجوع إليهم ، وقد بحثنا موضوعيّاً وشاملاً عنه في كتابنا (حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام) .

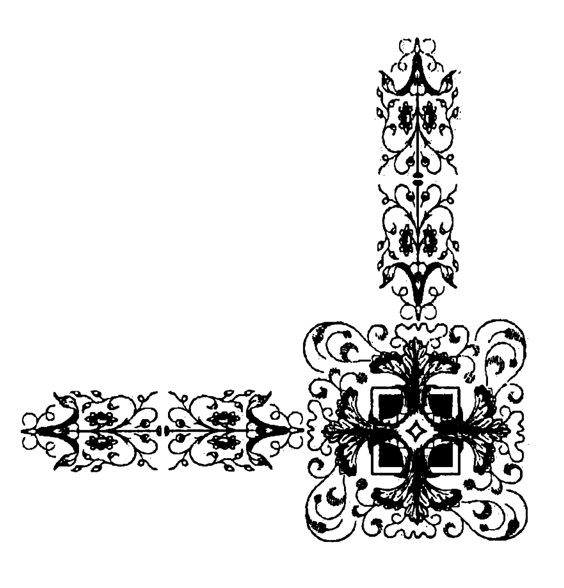
وبهذا ينتهي بنا الحديث عن عدد الأئمّة عليهم السلام .

---

(١) مرآة الجنان : ٢ : ١٠٧ ، ١٧٢ . تاريخ الخميس : ٢ : ٣٤٧ . تاريخ ابن الوردي : ١ : ٣١٩ .



اتّهامات رخيصة



واتّهمت الشيعة بتهم رخيصة لم توزن بميزان عادل ، وليس لها أيّة قيمة في الموازين العلميّة ، وإنّما كانت ملفّقة من جهل وأحقاد ، وتعصّب أعمى أحاد صاحبها عن الطريق القويم ونلمح بإيجاز واستطراد لبعضها :

السجود على التربة الحسينيّة

وبلغ الهوس والحقد ببعض الجاهلين أن أشاعوا أنّ الشيعة تعبد التربة الحسينيّة ، وتسجد لها من دون الله تعالى ، قبّحهم الله على هذا الافتراء ، وأبعدهم عن كلّ هدى وخير ، ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة لبيان هذا الأمر وإيضاحه ، وإزالة هذا الوهم .

السجود على الأرض

وتظافرت الأخبار عن النبيّ الأعظم وأعاظم الصحابة بلزوم السجود على الأرض ، وأنّها جعلت مسجداً وطهوراً ، وهذه بعض الأخبار :

١ ـ قال النبيّ ﷺ : «**جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَيِّبَةً وَمَسْجِداً ، وَأَيُّما أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ صَلّى حَيْثُ كانَ**»[١] .

---

(١) صحيح البخاري : ١ : ٨٦ . صحيح مسلم : ٢ : ٦٤ . سنن النسائي : ٢ : ٣٢ . سنن أبي داود : ١ : ٧٩ . صحيح الترمذي : ٢ : ١١٤ . السنن الكبرى : ٢ : ٣٢ .

٢ ـ وقال صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ: «**الْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ، فَحَيْثُما أَدْرَكْتَ الصَّلاةَ فَصَلِّ**»[١].

٣ ـ روى ابن عبّاس: «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سجد على الحجر»[٢].

٤ ـ روى أبو سعيد الخدري، قال: «أبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى أنفه وجبهته أثر الماء والطين»[٣].

٥ ـ روى أنس بن مالك، قال: «كنّا نصلّي مع رسول الله صلى الله عليه وآله في شدّة الحرّ، فيأخذ أحدنا الحصباء في يده فإذا بَرد وضعه وسجد عليه»[٤].

٦ ـ روى جابر بن عبدالله، قال: «كنّا نصلّي مع رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الظهر، وآخذ بيدي قبضة من حصى فأجعلها في يدي الأُخرى حتّى تبرد، ثمّ أسجد عليها من شدّة الحرّ»[٥].

ونظائر هذه الأحاديث أُثرت عن أئمّة الهدى عليهم السلام، وهي توجب السجود في الصلاة على الأرض وما أنبتت.

أهمّيّة السجود

وأهمّ الطقوس الدينيّة وأفضلها عند الله تعالى هي الصلاة، فهي معراج المؤمن، وقربان كلّ تقيّ، والحدّ الفاصل بين المسلم والكافر ـ كما في الحديث ـ، وقد ميّز الله تعالى بها الإنسان عن بقيّة مخلوقاته، وشرّفه بالمثول بين يديه وبالقرب منه.

وأفضل أجزاء الصلاة هو السجود لله تعالى، فإنّه آخر مظاهر العبوديّة له،

---

(١) سنن النسائي: ٢: ٣٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣: ٤٧٣.

(٣) صحيح البخاري: ١: ١٦٣. سنن أبي داود: ١: ١٤٣. السنن الكبرى: ٢: ١٠٤.

(٤) السنن الكبرى: ٢: ١٠٦.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: ١: ٣٢٧.

وقد أخرج الله تعالى إبليس من الجنّة وطرده منها لمّا أبى من السجود لآدم ، فقد أخذته الأنانيّة والكبرياء ، ورأى أنّه أفضل من آدم لأنه مخلوق من طاقة حراريّة ، وهي أفضل من الطين الذي خلق منه آدم ، فقد أخذ بالقياس ، وفي الحديث : « **إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قاسَ إِبْلِيس** »[١] .

إنّ السجود لله تعالى بقصد التذلّل والتعظيم من أعظم العبادات ، وما عُبِدَ الله بمثله ، وما من عمل أشقّ على إبليس من أن يرى ابن آدم ساجداً لله تعالى؛ لأنـه قد أمر به فعصى وغوى وهلك ، وابن آدم أُمر به فأطاع ونجا .

ويحرم السجود لغير الله تعالى ، فأمّا سجود الملائكة لآدم فإنّه لم يكن له ، وإنّما كان لله وآدم قبلة لهم ، كما إنّ سجود يعقوب وولده لم يكن ليوسف وإنّما هي شكر لله على ما وهبه وأعطاه من الملك[٢] .

ونظراً لأهمّيّة السجود فيشترط فيه أن يكون المكان الذي يسجد عليه مباحاً ، فلو كان مغصوباً عيناً أو منفعة فلا يصحّ السجود عليه .

كما يشترط أن يكون طاهراً ، فلو كان نجساً فلا يصحّ السجود عليه .

كما يجب أن يكون على الأرض وما أنبتت من غير المأكول والملبوس .

ويكره السجود في الحمّام والمزابل ، والمواضع التي تذبح فيها الحيوانات وأعطان الإبل ، ومرابط الخيل والبغال والحمير والبقر ، ومرابض الغنم ، والطرق ، وغير ذلك ممّا ذكره الفقهاء ، محافظة على قداسة السجود .

وعلى أي حال ، فينبغي للمصلّي أن يتّخذ لنفسه تربة طاهرة يسجد عليها من أي أرض اتّخذت؛ لأنه قد لا يتهيّأ له موضع يسجد عليه متيقّناً بطهارته وحلّيّته ، خصوصاً في حال السفر ، والنزول في الفنادق ، وغيرها ، والاختلاط بالذين

---

(١) ميزان الاعتدال : ١ : ١٣٣ .

(٢) العروة الوثقى : ١ : ٣١٦ .

لا يكترثون بالطهارة والنجاسة .

وقد كان بعض فقهاء السلف إذا سافر أخذ معه لبنة يسجد عليها ، فهذا الفقيه مسروق بن الأجدع[(١)] كان إذا سافر حمل معه لبنة يسجد عليها للجهة التي ذكرناها .

هذا هو نظر الشيعة في السجود على مطلق الأرض ، وهل في ذلك منافاة لشريعة الله ، وخروج عن نظام الدين ؟!

التربة الحسينيّة

أمّا السجود على التربة الحسينيّة التي اعتادها الشيعة ، وجعلوا منها أقراصاً وضعوها في جوامعهم وتكاياهم وبيوتهم ، وحملوها معهم في حلّهم وترحالهم ، فإنّ ذلك لأهمّية هذه التربة من القداسة ، لأنّها اتّخذت من أرض كربلاء التي حظيت بجثمان ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسيّد شباب أهل الجنّة ، الإمام الحسين صلوات الله عليه ، الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : « **حُسَينٌ مِنّي وَأنا مِنْ حُسَين** »[(٢)] .

على صعيد تلك التربة الطاهرة سفك دمه ودم أبنائه وأهل بيته وأصحابه من أجل إعلاء كلمة الإسلام ، ودرء الخطر الجاهلي الذي داهم المسلمين في أيّام حكومة يزيد حفيد أبي سفيان وابن معاوية ، فقد أعلن وجاهر بكلّ صلافة « لا خبر جاء ولا وحي نزل » .

---

(١) **مسروق بن الأجدع الهمداني** ، المتوفّى سنة ٦٢هـ ، تابعي من رجال الصحاح الستّ ، روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وكان فقيهاً ومن أصحاب ابن مسعود الذين كانوا يعلّمون النّاس السنّة ، توجد ترجمته في تاريخ البخاري الكبير : ٤ : ٣٥ ، القسم ٢ . طبقات ابن سعد : ٦ : ٥٠ . تهذيب التهذيب : ١٠ : ١٠٩ . الجرح والتعديل : ٤ : ٣٩٦ ، القسم ١ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل : ٥ : ١٨٢ ، الحديث ١٧١١١ . سنن ابن ماجة : ١ : ٥١ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٥٩ . المستدرك على الصحيحين : ٣ : ١٧٧ . أسد الغابة : ٤ : ٧٤٩ و ٧٥٠ . تهذيب الكمال : ٦ : ٤٠١ و ٤٠٢ .

فانبرى إليه حفيد الرسول ﷺ ونازله الحرب ، فحطّم كيانه ، وأنزله من قصره إلى قبره ، وكانت الدماء الزكيّة التي أُريقت في كربلاء قد أضاءت طريق الحرّيّة والكرامة ، وأشعلت النار في قصور الأمويّين حتّى أطاحت بعروشهم .

قال العلّامة كاشف الغطاء في رسالته القيّمة ما هذا نصّه :

« ومن السخافة أو العصبيّة الحمقاء قول بعض من يحمل أسواء البغض للشيعة : إنّ هذه التربة التي يسجدون عليها صنم يسجدون له . هذا مع أنّ الشيعة لا يزالون يهتفون ويعلنون في ألسنتهم ومؤلّفاتهم أنّ السجود لا يجوز إلّا لله تعالى ، وأنّ السجود على التربة سجود له عليها لا سجود لها ، ولكنّ أُولئك الضعفاء من المسلمين لا يحسنون الفرق بين السجود للشيء والسجود على الشيء لله عزّ شأنه ، ولكن على الأرض المقدّسة ، والتربة الطاهرة ، وسجود الملائكة كان لله وبأمر من الله تكريماً لآدم »[1] .

وعلى أيّ حال ، فإنّ أرض كربلاء كأرض مكّة والمدينة محاطة بهالة من التقديس والتعظيم .

ويقول الرواة : « إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمّا اجتاز على أرض كربلاء أخذ قبضة من ترابها فشمّها وبكى ، حتّى بلّ الأرض بدموعه ، وهو يقول : **يُحْشَرُ مِنْ هـذَا الظَّهْرِ سَبْعونَ أَلْفاً يَدْخُلونَ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسابٍ** »[2] .

وروت أُمّ المؤمنين السيّدة أُمّ سلمة ، قالت : « إنّ رسول الله ﷺ اضطجع ذات ليلة للنوم وهو خاثر ـ أي مضطرب ـ ثمّ اضطجع وهو خاثر دون ما رأيت به المرّة

---

(١) الأرض والتربة الحسينيّة : ٤٧ .

(٢) المعجم الكبير : ٣ : ١١١ ، الحديث ٢٨٢٥ . مجمع الزوائد : ٩ : ١٩١ .

الأُولى ، ثمّ اضطجع وفي يده تربة حمراء وهو يقبّلها ، فقلت له : ما هذه التربة يا رسول الله ؟

فقال : **أَخْبَرَني جَبْرَئيلُ أَنَّ هذا** ـ وأشار إلى الحسين ـ **يُقْتَلُ بِأَرْضِ الْعِراقِ ، فَقُلْتُ لِجَبْرَئيلَ : أَرِني التُّرْبَةَ الَّتي يُقْتَلُ بِها ، فَهذِهِ تُرْبَتُه** »[1] .

وروت السيّدة أُمّ الفضل بنت الحارث ، قالت : « إنّ الحسين في حجري فدخلت على رسول الله ﷺ ، ثمّ حانت منّي التفاتة ، فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان من الدموع ، فقلت له : يا نبيّ الله ، بأبي أنت وأُمّي ، ما لكَ ؟

أَتاني جَبْرَئيلُ فَأَخْبَرَني أَنَّ أُمَّتي سَتَقْتُلُ ابْني هذا.

وذعرت أُمّ الفضل وراحت تقول : يُقتل هذا ، وأشارت إلى الحسين .

نَعَمْ ، وَأَتاني جَبْرَئيلُ بِتُرْبَةٍ مِنْ تُرْبَتِهِ حَمْراءَ »[2] .

وروت السيّدة أُمّ سلمة ، قالت : « كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النبيّ ﷺ ، فنزل جبرئيل فقال : يا محمّد ، إنّ أُمّتك تقتل ابنك هذا من بعدك ـ وأشار إلى الحسين ـ فبكى رسول الله ﷺ ، وضمّه إلى صدره ، وكان بيده تربة فجعل يشمّها ـ والتربة مأخوذة من كربلاء ـ وهو يقول : **وَيْحَ كَرْبٍ وَبَلاء** ، وناولها أُمّ سلمة فقال لها : **إِذا تَحَوَّلَتْ هذِهِ دَماً فَاعْلَمي أَنَّ ابْني قَدْ قُتِل** .

فجعلتها أُمّ سلمة في قارورة ، وجعلت تتعاهدها وهي تقول : إنّ يوماً تتحوّلين دماً ليوم عظيم »[3] .

---

(١) المستدرك على الصحيحين : ٤ : ٣٩٨ . كنز العمّال : ٧ : ١٠٦ . سير أعلام النبلاء : ٣ : ١٥ . ذخائر العقبى : ١٤٨ .

(٢) المستدرك على الصحيحين : ٣ : ١٧٦ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني : ١٢٤ ، الحديث ٥١ .

وروت عائشة ، قالت : « دخل الحسين بن عليّ على رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه ، فنزا على رسول الله وهو منكبّ ، فقال جبرئيل : أتحبّه يا محمّد ؟

قال : **وَما لِيَ لا أُحِبُّ ابْني ؟!**

قال : فإنّ أُمّتك ستقتله من بعدك ، فمدّ جبرئيل يده فأتاه بتربة بيضاء فقال : في هذه الأرض يُقتل ابنك هذا ، واسمها الطفّ .

فلمّا ذهب جبرئيل من عند رسول الله ﷺ والتربة في يده وهو يبكي ، فقال : **يا عائِشَةُ ، إنَّ جَبْرَئيلَ أَخْبَرَني أَنَّ ابْني حُسَيْناً مَقْتولٌ في أَرْضِ الطَّفِّ ، وَأَنَّ أُمّتي سَتُفْتَنُ بَعْدي .**

ثمّ خرج إلى أصحابه وفيهم عليّ وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمّار وأبو ذرّ وهو يبكي ، فبادروا إليه قائلين : ما يبكيك يا رسول الله ؟

قال : **أَخْبَرَني جَبْرَئيلُ أَنَّ ابْني الْحُسَين يُقْتَلُ بَعْدي وَجاءَني بِهذِهِ التُّرْبَةِ وَأَخْبَرَني أَنَّ فيها مَضْجَعَهُ** »[١] .

وكثير من أمثال هذه الأحاديث رواها الثقات من علماء السنّة عن النبيّ ﷺ في تقديسه للبقعة المباركة التي استشهد على ثراها حفيده وريحانته الإمام الحسين عليه السلام ، فأيّ نقص على الشيعة إن اتّخذت من ثرى تلك البقعة تربة يسجدون عليها لله تعالى وحده لا شريك له .

وكان الأوزاعي ـ وهو أُستاذ أبي حنيفة ـ إذا أراد السفر من المدينة المنوّرة حمل معه طينة منها ليسجد عليها ، فسئل عن ذلك ، فقال : « إنّ أفضل بقعة في الأرض هي

---

(١) مجمع الزوائد : ٩ : ١٨٧ .

وفي تهذيب الكمال : « إنّ النبيّ ﷺ أخذ التربة التي جاء بها جبرئيل ، فجعل يشمّها ويقول : **وَيْحَ كَرْبٍ وَبَلاء** » .

البقعة التي دُفن فيها رسول الله ﷺ ، وأحبّ أن يكون سجودي لله تعالى عليها » .

لقد عابوا على الشيعة في سجودهم على التربة الحسينيّة ، واتّهموهم بتهم لا يساندها علم ، ولا يدعمها فكر ، ولو قام دليل شرعي متّسم بالدليليّة على عدم جواز السجود عليها لتركتها الشيعة ولم تسجد عليها .

المآتم الحسينيّة

ونقموا على الشيعة إقامتهم مآتم العزاء على سيّد شباب أهل الجنّة ، وريحانة الرسول الإمام الحسين عليه‌السلام ، وهذه الجهة من أهمّ المكاسب في الثورة الحسينيّة ، ومن أعزّ وأسمى ما تفتخر به الشيعة ، فإنّها مدارس لتهذيب السلوك والأخلاق والردع عن الموبقات والجرائم ، وذلك بما يبثّه السادة الخطباء على المنابر من الوعظ والإرشاد ، وعرض مأساة أبي الأحرار التي هي من أروع الدروس للتضحية في سبيل الحقّ والعدل .

يقول سيّدنا العلّامة شرف الدين قدس‌سره :

« علم الباحثون من مدقّقي الفلاسفة أنّ في مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم‌السلام أسراراً شريفة تعود على الأُمّة بصلاح آخرتها ودنياها ، أُنبّهك إليها بذكر بعضها :

فمنها : أنّها جامعة إسلاميّة ، ورابطة إماميّة باسم النبيّ وآله صلى‌الله‌عليه‌وآله ينبعث منها الاعتصام بحبل الله عزّ وجلّ ، والتمسّك بثقلي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله .

وفيها من اجتماع القلوب على أداء أجر الرسالة بمودّة القربى ، وترادف العزائم على إحياء أمر أهل البيت عليهم‌السلام ما ليس في غيرها .

وحسبك في رجحانها ما يتسنّى بها للحكيم من إلقاء المواعظ والنصائح ، وإيقاف المجمعين على الشؤون الإسلاميّة والأُمور الإماميّة ، ولو إجمالاً . .

ولا تنس ما يتهيّأ للمجتمعين فيها من الاطّلاع على شؤونهم ،

والبحث عن شؤون إخوانهم النائين عنهم ، وما يتيسّر لهم حينئذٍ من تبادل الآراء فيما يعود عليهم بالنفع ، ويجعلهم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً ، أو كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو أنّت له سائر الأعضاء ، وبذلك يكونون مستقيمين في السير على خطّة واحدة يسعون فيها وراء كلّ ما يرمون إليه .

ومنها : أنّ هذه المآتم دعوة إلى الدين بأحسن صورة ، وألطف أُسلوب ، بل هي صرخة للإسلام توقظ الغافل من سباته ، وتنبّه الجاهل من سكراته ، بما تشربه في قلوب المجتمعين ، وتنفثه في آذان المستمعين ، وتبثّه في العالم ، وتصوّره قالباً لجميع بني آدم من أعلام الرسالة ، وآيات الإسلام ، وأدلّة الدين ، وحجج المسلمين ، والسيرة النبويّة ، والخصائص العلويّة ، ومصائب أهل البيت في سبيل الله ، وصبرهم على الأذى في إعلاء كلمة الله ... »[1] .

وقد وصف الميسو ماربين حكيم الألمان وفيلسوف المستشرقين في كتابه السياسة الإسلاميّة هذه المنابر بأنّها من أهمّ الأسباب لتقدّم المسلمين إن هم أحسنوا تنظيمها والاستفادة منها[2] .

ومن الجدير بالذكر أنّ أوّل مأتم أُقيم على سيّد الشهداء عليه‌السلام هو ساعة ميلاده ، وقد أقامه الرسول ، فقد روت أسماء بنت عميس ، قالت : « لمّا ولد الحسين جاءني النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله فقال : **يا أَسْماءُ ، هاتِني ابْني** .

فدفعته إليه في خرقة بيضاء ، فأذّن في أُذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى ، ثمّ وضعه

---

(١) مقدّمة المجالس الفاخرة في إقامة المآتم على العترة الطاهرة .

(٢) جريدة الحبل المتين : العدد ٨٢ من أعداد السنة ١٧ .

في حجره وبكى .

قالت أسماء : فقلت له : فداك أبي وأُمّي ، ممّ بكاؤك ؟

- **عَلَى إِبْنِي هٰذا.**

فبهرت أسماء وراحت تقول : إنّه ولد الساعة .

يا أَسْماءُ ، تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ ، لا أَنالَهُمُ اللهُ شَفاعَتي »[١].

لقد استشفّ النبيّ ﷺ من وراء الغيب ما يجري على وليده من الكوارث والخطوب ، وتمثّلت أمامه رزايا الطفّ التي تذوب من هولها الجبال ، والتي لم تجر في مثل قسوتها على أي مصلح اجتماعي في الأرض ، فلذا أغرق النبيّ في اللوعة والبكاء .

(١) مقتل الحسين عليه‌السلام للخوارزمي : ١ : ٨٨. ذخائر العقبى : ١١٩.

زيارة مراقد الأئمّة عليهم السلام

من المؤاخذات التي وجّهها الناقدون للشيعة زيارتهم لأئمّة الهدى ومصابيح الإسلام.

يقول القصيمي تبعاً لابن تيميّة:

« وبهذا الغلوّ الذي رأيت من طائفة الشيعة في أئمّتهم، وبهذا التأليه الذي سمعت منهم لعليّ وولده عبدوا القبور وأصحاب القبور، وأشادوا المشاهد وأتوها من كلّ مكان سحيق وفجّ عميق، وقدّموا لها النذور والهدايا والقرابين، وأراقوا فوقها الدماء والدموع ورفعوا لها خالص الحبّ والخضوع والخشوع، وأخلصوا لها بذلك وخصّوها به دون الله ربّ الموحّدين »[1].

وهذا النقد تافه كصاحبه الذي أُترعت نفسه بالجهل والعصبيّة العمياء والحقد على آل النبيّ صلى الله عليه وآله الذين هم سفن النجاة وأمن العباد.

إنّ زيارة المراقد المعظّمة فيها تعظيم لشعائر الله تعالى، واعتراف بما أسداه الطاهرون من الخدمات العظمى للإسلام، فزيارة قبورهم تكريم للمبادئ والمثل العليا، وتقدير لجهودهم الجبّارة التي بذلوها في خدمة الإسلام، كما تعود على الزائرين بالخير العميم لأنّها تقرّبهم إلى الله زلفى، وتدعوهم إلى الاقتداء بسيرة الأئمّة الطاهرين عليهم السلام التي هي نفحة من رحمات الله.

قال الغزالي في إحياء العلوم:

---

(١) الصراع: ١: ٥٤.

« قال ﷺ : **مَنْ زارَني بَعْدَ وَفاتي فَكَأَنَّما زارَني في حَياتي**.

وقال ﷺ : **مَنْ وَجَدَ سَعَةً وَلَمْ يَفِدْ إِلَيَّ فَقَدْ جَفاني**.

وقال ﷺ : **مَنْ جاءَني زائِراً لَا يَهُمُّهُ إِلّا زِيارَتي كانَ حَقّاً عَلَى اللهِ سُبْحانَهُ أَنْ أَكونَ لَهُ شَفيعاً**.

ويستحبّ له أن يأتي أُحداً يوم الخميس ، ويزور قبور الشهداء .

ويستحبّ أن يخرج كلّ يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله ﷺ ، ... ، وقبر الحسن بن عليّ رضي الله عنهما ، وفيه قبر عليّ بن الحسين ، ومحمّد بن عليّ ، وجعفر بن محمّد رضي الله عنهم ، ويصلّي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ، ويزور قبر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وقبر صفيّة عمّة رسول الله ﷺ كلّه بالبقيع ... الخ »[١].

وقال القسطلاني في المواهب اللّدنيّة :

« وينبغي للزائر له ﷺ أن يكثر من الدعاء والتضرّع والاستغاثة والتشفّع به ﷺ ، فجدير بمن استشفع به أن يشفّعه الله فيه »[٢].

وقال السمهودي ما هذا نصّه :

« اعلم أنّ الاستغاثة والتشفّع بالنبيّ ﷺ وبجاهه وبركنه إلى ربّه تعالى ، من فعل الأنبياء والمرسلين ، وسير السلف الصالحين ، واقع في كلّ حال قبل خلقه ﷺ وبعد خلقه في حياته الدنيويّة ومدّة البرزخ

---

(١) إحياء علوم الدين : ١ : ١٨٤.

(٢) المواهب اللدنية : ٣١٧.

وعرصات القيامة »[١].

ومن فوائد زيارة العتبات المقدّسة اجتماع المسلمين، وتعارف بعضهم ببعض، وترابطهم وتآلفهم، كما في الحجّ إلى بيت الله الحرام، فإنّ من الحكمة في تشريعه هو هذه الجهة.

وعلى أي حال، فإنّ من المحقّق مشروعيّة زيارة مراقد الأئمّة، ويدلّ عليه ما روته عائشة أنّ النبيّ ﷺ كان يخرج إلى البقيع ويقول:

« السَّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَآتاكُمْ ما توعَدونَ غَداً مُؤَجَّلونَ، وَإِنّا بِكُمْ غَداً إِنْ شاءَ اللهُ لاحِقونَ، اللّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ الْبَقيع »[٢].

قال ﷺ: **« مَنْ زارَني بَعْدَ وَفاتي فَكَأَنَّما زارَني في حَياتي »**[٣].

وقال ﷺ: **« مَنْ وَجَدَ سَعَةً وَلَمْ يَفِدْ إِلَيَّ فَقَدْ جَفاني »**[٤].

وكانت سيّدة نساء العالمين زهراء الرسول عليها السلام تزور قبر عمّها سيّد الشهداء حمزة عليه السلام في كلّ جمعة فتصلّي وتبكي عنده[٥].

وبعد وفاة أبيها خاتم الأنبياء ﷺ كانت تزور المرقد الطاهر وتأخذ حفنة من التراب فتشمّها وتبكي أمرّ البكاء، وتقول بصوت حزين النبرات:

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدٍ ... أَنْ لَا يَشَمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا

قُلْ لِلْمُغَيَّبِ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى ... إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَرْخَتِي وَنِدَائِيَا

---

(١) وفا الوفاء: ٤: ١٣٧١.

(٢) سنن الكبرى للبيهقي: ٤: ٤٩. المغني: ١: ٣٥٧. صحيح مسلم: ٣: ٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ٩٧: ١٤٣.

(٤) امتاع الأسماع: ١٤: ٦٠٨.

(٥) المستدرك على الصحيحين: ١: ٣٧٧، وعلّق على رواته أنّهم جميعاً ثقات.

صُــبَّتْ عَـلَيَّ مَـصَائِبٌ لَـوْ أَنَّـهَا صُبَّتْ عَـلَى الْأَيَّـامِ صِـرْنَ لَـيَالِيَا
قَـدْ كُنْتُ ذَاتَ حِمىً بِظِلِّ مُحَمَّدٍ لَا أَخْشَ مِـنْ ضَـيْمٍ وَكَـانَ جَمَالِيَا
فَـالْيَوْمَ أَخْشَـعُ لِـلْذَلِيلِ وَأَتَّـقِي ضَـيْمِي وَأَدْفَـعُ ظَـالِمِي بِـرِدَائِـيَا
فَـإِذَا بَكَتْ قُـمْرِيَّةٌ فِـي لَـيْلِهَا شَجَناً عَـلَىَ غُـصْنٍ بَكَـيْتُ صَبَاحِيَا
فَـلَأَجْعَلَنَّ الْـحُزْنَ بَـعْدَكَ مُونِسي وَلَأَجْـعَلَنَّ الدَّمْـعَ فـيكَ وِشَـاحِيَا (١)

وكان سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه السلام يـزور مـقابر الشـهداء بـالبقيع ، ويقول :

نــادَيتُ سُكــانَ القُـبورِ فَـأُسْكِتوا فَـأَجابَني عَـنْ صَـمْتِهِمْ تُـربُ الْـحَصا
قـالَتْ أتَـدري مـا صَـنَعتُ بِسـاكِـني مَــزَّقْتُ لَـحْمَهُمْ وَخَـرَّقْتُ الكِسـا
وَحَشَـوتُ أَعْـيُنَهُمْ تُـراباً بَـعدَ مـا كـانَتْ تَـأَذّىٰ بِـاليَسيرِ مِـنَ القَـذى
أَمّــا العِــظامُ فَــإنّني مَــزَّقْتُها حَـتّى تَـبايَنَتِ المَـفاصِلُ وَالشَّـوى
قَـطَّعْتُ ذا زادَ مِــنْ هــٰذا كَـذا فَـتَركْتُها رِمَـماً يَـطوفُ بِـها البِـلى (٢)

وقد عرض بصورة موضوعيّة وشاملة إلى مشروعيّة زيارة القبور سماحة الشيخ الأميني نضّر الله مثواه في موسوعته الخالدة الغـدير ، ولم يـبق فـي هـذه المسألة أدنى شكّ ، مستدلّاً عـلى ذلك بـما رواه عـلماء المسلمين مـن الأحـاديث عـلى مشروعيّة زيارة القبور واستحبابها ، مضافاً إلى السيرة التي استقرّ عليها المسـلمون في زيارة القبور منذ فجر التاريخ الإسلامي حتّى يوم الناس هذا .

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب : ٢ : ٢٣١.

(٢) البداية والنهاية : ٨ : ٢٠٨.

تقبيل الأضرحة

ومن أسخف ما نقدت به الشيعة تقبيلهم لأضرحة أئمّة الهدى عليهم السلام ، وقارن ذلك بعض الجهلة بالكفر والمروق من الدين ، وهذا النقد ينمّ بوضوح عن التخلّف العلمي عند قائله ، فإنّ تقبيل الذهب أو الفضّة الموضوعة على الأضرحة المقدّسة ليس تقبيلاً لها ، وإنّما هو تقبيل لما ضمّته من الأجسام الطاهرة التي حملت رسالة الإسلام ، وجاهدت أعظم ما يكون الجهاد في إعلاء كلمة الله ، شأنها شأن تقبيل غلاف المصحف الكريم الذي يضمّ كتاب الله العظيم من دون أي فرق بينهما ، ولا أعتقد أنّ أحداً يذهب إلى أنّ تقبيل غلاف المصحف كفر وإلحاد .

وعلى أي حال ، فإنّ تقبيل الشيعة لأضرحة أئمّتهم إنّما هو تعظيم لتلك الذوات المقدّسة ، واعتراف بسموّ مكانتهم ومنزلتهم عند الله تعالى ، وفي ذلك تعظيم لشعائر الله ﴿ **وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب** ﴾[1]

وبهذا نطوي الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب ،

الحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطاهرين

(١) الحجّ ٢٢: ٣٢.

مصادر الكتاب

القرآن الكريم

١ ـ الإتحاف بحُبِّ الأشراف : الشبراوي الشافعي

عبد الله بن محمد بن عامر ، (١١٧٢هـ) ، تحقيق سامي الغريري ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ـ قم ، الطبعة الأولى / ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

٢ ـ إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات : الحرّ العاملي ،

محمّد بن حسن (١٠٣٣ ـ ١١٠٤هـ) ، علميّة ـ قم المقدّسة ١٩٣٦م .

٣ ـ أجوبة مسائل جار الله : شرف الدين

عبدالحسين (١٨٧٣ ـ ١٩٥٨هـ) ، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة / ١٩٩٥م .

٤ ـ الاحتجاج : الطبرسي

أحمد بن عليّ بن أبي طالب (٥٦٠هـ) ، تحقيق : السيّد محمّد باقر الخرسان ، دار النعمان للطباعة والنشر ـ النجف الأشرف ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .

٥ ـ الأحكام السلطانيّة : الماوردي

عليّ بن محمّد (٣٦٤ ـ ٤٥٠ ق) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٩٢م .

٦ ـ إحياء علوم الدين : الغزالي

محمّد بن محمّد (٤٥٠ ـ ٥٠٥ ق) ، دار الوحي ـ حلب /١٩٩٨م .

٧ ـ أخبار الدول وآثار الأُول : القرماني ،

أحمد بن يوسف (٩٣٩ ـ ١٠١٩هـ) ، الحلبي ـ القاهرة / ١٩٨٢م .

٨ ـ اختيار معرفة الرجال = رجال الكشّي : الكشّي

محمّد بن عمر (القرن ٥ الهجري)، جامعة مشهد ـ مشهد / ١٣٤٨ش.

٩ ـ **الاختصاص: الشيخ المفيد**

محمّد بن محمّد (٣٣٦ ـ ٤١٣ ق)، دار المفيد ـ بيروت /١٩٩٣م.

١٠ ـ **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ المفيد**

محمّد بن محمّد (٣٣٦ ـ ٤١٣ ق)، دار المفيد ـ بيروت /١٤١٤هـ.

١١ ـ **الأرض والتربة الحسينيّة: آل كاشف الغطاء،**

محمّد حسين (١٨٧٧ ـ ١٩٥٤هـ)، المجمع العالمي لأهل البيت ـ قم المقدّسة ١٩٩٥م.

١٢ ـ **أسباب النزول: الواحدي**

عليّ بن أحمد (ـ ٤٦٨ ق)، دار الشريف الرضي ـ قم المقدّسة /١٣٦٢هـ. ش.

١٣ ـ **الاستيعاب: ابن عبدالبرّ**

يوسف بن عبدالله (٣٦٣ ـ ٤٦٣ ق)، دار صادر ـ بيروت /١٩٩٣م.

١٤ ـ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير**

عليّ بن محمّد (٥٥٥ ـ ٦٣٠ ق)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٧٣م.

١٥ ـ **إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وآل بيته الطاهرين: صبّان**

محمّد بن عليّ (ـ ١٢٠٦هـ)، ارومية / ١٩٨١م.

١٦ ـ **أشعّة من بلاغة الإمام الصادق عليه السلام: الواعظي**

عبدالرسول، دار الهداية ـ طهران / ١٤٠٤ق.

١٧ ـ **الإصابة: ابن حجر العسقلاني**

أحمد بن عليّ (٧٣٣ ـ ٨٥٢ ق)، دار الكتاب العلميّة ـ بيروت /١٩٨٦م.

١٨ ـ **أصل الشيعة وأُصولها: آل كاشف الغطاء**

محمّد حسين (١٨٧٧ ـ ١٩٧٤م)، النجاح ـ القاهرة / ١٩٥٨م.

١٩ ـ **إعلام الورى بأعلام الهدى: الطبرسي**

حسن بن فضل (القرن ٦ الهجري)، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدّسة /١٤١٧هـ.

٢٠ ـ **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام: كحالة**
عمر رضا، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت /١٩٨٤م.

٢١ ـ **أعيان الشيعة: الأمين**
محسن (١٨٦٥ ـ ١٩٥٢ م)، دمشق /١٩٣٥م.

٢٢ ـ **الأغاني: أبو الفرج الاصفهاني**
عليّ بن حسين (٢٨٤ ـ ٣٥٦ ق)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٩٤م.

٢٣ ـ **الأمالي: الطوسي**
محمّد بن حسن (٣٨٥ ـ ٤٦٠ ق)، دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران /١٣٨٠ ق.

٢٤ ـ **الإمام جعفر الصادق: الجندي**،
عبدالحليم، المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة ـ القاهرة / ١٣٩٧ق.

٢٥ ـ **الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: حيدر**
أسد (١٩١١ ـ ١٩٨٠م)، دار التعارف ـ بيروت / ١٣٨٠ش.

٢٦ ـ **الإمام عليّ بن أبي‌طالب: عبدالمقصود**
عبدالفتّاح (١٩١٢ ـ ١٩٩٣هـ) مكتبة العرفان ـ بيروت / ١٩٧١م.

٢٧ ـ **الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة: جرداق**
جورج (١٩٢٦ ـ م) ذوي القربى ـ قم المقدّسة / ١٤٢٣هـ.

٢٨ ـ **الإمامة في الإسلام: تامر**
عارف، دار الأضواء ـ بيروت /١٤١٩هـ.

٢٩ ـ **الإمامة والسياسة: ابن قتيبة**
عبدالرحمن بن مسلم (٢١٣ ـ ٢٧٦ ق)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٨٥م.

٣٠ ـ **امتاع الأسماع: المقريزي**

أحمد بن عليّ (٧٦٦ ـ ٨٤٥ ق) ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت /١٩٩٧ م .

٣١ ـ الأموال ، القاسم بن سلّام

أبوعبيد (٢٢٤هـ) ، تحقيق : محمّد خليل هراس ، دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٣٢ ـ أنساب الأشراف : البلاذري

أحمد بن يحيى (ـ ٢٧٩ ق) ، مكتبة الطالب الجامعي ـ مكّة المكرّمة /١٩٨٦ م .

٣٣ ـ الأنوار البهيّة في تواريخ الحجج الإلـٰهيّة : القمّي

عبّاس (١٢٥٤ ـ ١٣١٩ ق) ، دار الذخائر ـ قم المقدّسة /١٤١٢ هـ .

٣٤ ـ أنوار الربيع : المدني

علي خان بن أحمد (١٠٥٢ ـ ١١٢٠ ؟ ق) ، مكتبة العرفان ـ كربلاء المقدّسة /١٩٦٨ م .

٣٥ ـ بحار الأنوار : العلّامة المجلسي

محمّدباقر بن محمّد تقي (١٠٣٧ ـ ١١١١ ق) ، دار الرضا ـ بيروت /١٩٨٨ م .

٣٦ ـ بحر الأنساب : الحسيني النجفي

السيّد محمّد بن أحمد ، نشر دار المجتبى للنشر والتوزيع ـ المدينة المنوّرة / ١٤١٩هـ.

٣٧ ـ البداية والنهاية في التاريخ : ابن كثير

إسماعيل بن عمرو (٧٠٠ ـ ٧٧٤ ق) ، مكتبة الثقافة ـ القاهرة /١٩٩٠ م .

٣٨ ـ بشارة المصطفى لشيعة المرتضى : الطبري

عماد الدين أبي جعفر محمّد بن أبي القاسم (٥٢٥هـ) ، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم المقدّسة /١٤٢٠هـ.

٣٩ ـ تاريخ الأئمّة : أبو الثلج البغدادي

أبو بكر محمّد بن أحمد بن عبدالله (٣٢٣هـ) ، مكتبة آية الله السيّد المرعشي النجفي ﰋ ، قم المقدّسة / ١٤٠٦هـ.

٤٠ ـ تاريخ ابن خلدون : ابن خلدون

عبدالرحمن بن محمّد (٧٣٢ ـ ٨٠٨ ق) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٨٦ م .

٤١ ـ **تاريخ أبي الفداء : إسماعيل بن عليّ**
(٦٧٢ ـ ٧٣٢ ق) ، دار صادر ـ بيروت /١٩٨٢ م .

٤٢ ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام : الذهبي**
محمّد بن أحمد (٦٧٣ ـ ٧٤٨ق) ، دار الكتاب ـ بيروت /١٩٩٥ م .

٤٣ ـ **تاريخ الأُمم والملوك : الطبري**
محمّد بن جرير (٢٢٤ ؟ ـ ٣١٠ ق) ، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت /١٤٠٣ ق .

٤٤ ـ **تاريخ بغداد أو مدينة السلام : الخطيب البغدادي**
(٣٩٢ ـ ٤٦٣ ق) ، دار الكتاب العربي ـ بيروت /١٩٩٠ م .

٤٥ ـ **تاريخ الخميس : الدياربكري**
حسين بن محمّد (ـ ٩٦٦ ق) ، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة /١٩٨٠ م .

٤٦ ـ **التاريخ الكبير : البخاري**
محمّد بن إسماعيل (٢٥٦هـ) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٤٧ ـ **تاريخ مدينة دمشق : ابن عساكر**
عليّ بن حسن (٤٩٩ ـ ٥٧١ ق) ، دار الفكر ـ دمشق /١٤١٩ هـ .

٤٨ ـ **تاريخ اليعقوبي : اليعقوبي**
أحمد بن إسحاق ، دار صادر ـ بيروت /١٩٨٤ م .

٤٩ ـ **تحف العقول عن آل الرسول : ابن شعبة**
حسن بن عليّ (القرن ٤ الهجري) ، دار الشريف الرضي ـ قم المقدّسة /١٤٢١ هـ .

٥٠ ـ **تذكرة الحفّاظ : الذهبي**
محمّد بن أحمد (٦٧٣ ـ ٧٤٨ ق) ، دار التراث العربي ـ بيروت /١٩٥٨ م .

٥١ ـ **تذكرة الخواص : سبط ابن الجوزي**

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن فرغلي بن عبدالله البغدادي (٦٥٤هـ) ، منشورات الشريف الرضي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٨هـ.

٥٢ ـ تصحيح الاعتقاد : الشيخ المفيد

محمّد بن محمّد (٣٣٦ ـ ٤١٣ ق) ، مهر ـ طهران /١٣٨٨ ش .

٥٣ ـ تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم : ابن كثير الدمشقي

الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (٧٧٤هـ): دار المعرفة ـ بيروت / ١٤١٢هـ.

٥٤ ـ تفسير الطبري = جامع البيان في تفسير القرآن : الطبري

محمّد بن جرير (٢٢٤ ؟ ـ ٣١٠ ق) ، دار الجيل ـ بيروت /١٩٩٠م .

٥٥ ـ تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن : القرطبي

محمّد بن محمّد (ـ ٦٧١ ق) ، مؤسّسة التاريخ الإسلامي ـ بيروت /١٩٨٥ م .

٥٦ ـ التفسير الكبير = مفاتيح الغيب : الفخر الرازي

محمّد بن عمر (٥٤٤ ـ ٦٠٦ ق) ، دار إحياء ـ بيروت /١٩٨٨ م .

٥٧ ـ التقيّة : الأنصاري

مرتضى بن محمّد أمين (١٢٤١ ـ ١٣٨١ ق) ، المؤتمر العالمي للشيخ الأنصاري ـ قم المقدّسة /١٤١٥ هـ.

٥٨ ـ تلخيص الشافي الطوسي = شيخ الطائفة

أبو جعفر محمّد بن الحسن (٤٦٠هـ) ، تحقيق : السيّد حسين بحرالعلوم ، مؤسّسة انتشارات المحبّين ، الطبعة الأولى / ١٣٨٢هـ. ش .

٥٩ ـ التمحيص : ابن همام الإسكافي

الشيخ أبي عليّ محمّد ، مؤسّسة الامام المهديّ عليه السلام ـ قم المقدّسة / ١٤٠٤هـ.

٦٠ ـ تهذيب الأسماء واللغات : النووي

أبو زكريّا محيي الدين بن شرف (٦٧٦هـ) ، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٦١ ـ **تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني**
أحمد بن عليّ (٧٧٣ ـ ٨٥٢ ق) ، دار الفكر ـ بيروت /١٤٠٤ ق .

٦٢ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال : المزّي**
أبو الحجّاج يوسف (٧٤٢هـ) ، تحقيق : بشار عوّاد معروف ، مؤسّسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٦٣ ـ **جامع الأخبار = معارج اليقين في أُصول الدين : السبزواري**
محمّد بن محمّد (القرن ٧ الهجري) ، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة /١٤١٤ ق .

٦٤ ـ **جامع السعادات : النراقي**
مهدي بن أبي ذرّ (١١٢٨ ـ ١٢٠٩ ق) ، إسماعيليان ـ قم المقدّسة /١٣٧٩ ق .

٦٥ ـ **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير : السيوطي :**
جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ) ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤٠١هـ.

٦٦ ـ **الجرح والتعديل : الحنظلي الرازي**
عبدالرّحمن بن أبي حاتم محمّد بن إدريس بن المنذر (٣٢٧هـ) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٣٧١هـ.

٦٧ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم الاصفهاني**
أحمد بن عبدالله (٣٣٦ ـ ٤٣٠ ق) ، دار الكتاب ـ بيروت /١٩٨٠ م .

٦٨ ـ **حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام : القرشي**
باقر شريف (١٩٢٦ م) ، دار الكتاب الإسلامي ـ قم المقدّسة /١٤١٦ ق .

٦٩ ـ **حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : القرشي**
باقر شريف (١٩٢٦ م) ، داز البلاغة ـ بيروت /١٤١٣ ق .

٧٠ ـ **الخصائص الكبرى : السيوطي**
جلال الدين عبدالرحمن ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٤٠٥هـ.

٧١ ـ **الخصال : الشيخ الصدوق**
محمّد بن عليّ (٣١١ ـ ٣٨١ ق) ، جماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة /١٣٦٢ ش .

٧٢ ـ **خطط المقريزي : المقريزي**
أحمد بن عليّ (٧٦٦ ـ ٨٤٥ ق) ، مشهد المقدّسة / /١٣٧٩ ش .

٧٣ ـ **دائرة المعارف : البستاني**
بطرس (١٨١٩ ـ ١٨٨٣ م) ، دار الجيل ـ بيروت /١٩٧٩ م .

٧٤ ـ **الدرّ المنثور : السيوطي**
عبدالرحمن بن أبي بكر (٨٤٩ ـ ٩١١ ق) ، دار الفكر ـ بيروت /١٤١٤ ق .

٧٥ ـ **الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة : الشامي**
يوسف بن حاتم (القرن ٧ الهجري ق) ، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم المقدّسة /١٣٧٨ ق .

٧٦ ـ **الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة : المدني**
عليّ خان بن أحمد (١٠٥٢ ـ ١١٢٠؟ ق) .

٧٧ ـ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة :**
دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٤م .

٧٨ ـ **الدروس الشرعيّة في فقه الإماميّة : الشهيد الأوّل**
شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي (٧٣٤ ـ ٧٨٦هـ) ، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٢هـ .

٧٩ ـ **دلائل الإمامة : ابن رستم الطبري**
أبو جعفر محمد بن جرير ، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٨٠ ـ **ديوان دعبل بن علي الخزاعي : دعبل الخزاعي**
(١٤٨ ـ ٢٤٦ ق) ، الشريف الرضي ـ قم المقدّسة /١٤١٧ ق .

٨١ ـ **ذخائر العقبى : الطبري** ، أحمد بن عبدالله

(٦١٥ ـ ٦٩٤ ق) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٨٦ م .

٨٢ ـ **الذرّيّة الطاهرة : الرازي الدولابي**
محمّد بن أحمد (٢٢٤ ـ ٣١٠ ق) ، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم المقدّسة /١٣٦٥ ش .

٨٣ ـ **رجال الطوسي : شيخ الطائفة**
أبو جعفر محمّد بن الحسن (٤٦٠هـ) ، تحقيق : جواد القيّومي الاصفهاني ، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثانية / ١٤٢٠هـ.

٨٤ ـ **رجال النجاشي : أبو العبّاس الأسدي الكوفي**
أحمد بن عليّ (٤٥٠هـ) ، جماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة / ١٤٠٧هـ.

٨٥ ـ **رسائل الشريف المرتضى : علم الهدى**
عليّ بن حسين (٣٥٥ ـ ٤٣٦ ق) ، دار القرآن ـ قم المقدّسة /١٣٦٦ ش .

٨٦ ـ **روح البيان : حقّي**
إسماعيل بن مصطفى (١٠٦٣ ـ ١١٢٧ ق) ، استانبو ـ دار الأرقام /١٤١٧ ش .

٨٧ ـ **روضات الجنّات : الخوانساري**
الميرزا محمّد (١٣١٣هـ) ، مكتبة إسماعيليان ـ قم المقدّسة / ١٣٩٠هـ.

٨٨ ـ **روضة الواعظين وبصيرة المتعلّمين : الفتّال النيشابوري**
محمّد بن أحمد (ـ ٥٠٨ ق) ، دار الشريف الرضي ـ قم المقدّسة /١٣٦٨ ش .

٨٩ ـ **الرياض النضرة في فضائل العشرة : محبّ الدين الطبري**
أحمد بن عبدالله (٦١٥ ـ ٦٩٤ ق) ، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت /١٩٩٦ م .

٩٠ ـ **زهر الآداب وثمر الألباب : القيرواني**
أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري ، دار الجيل ـ بيروت / ١٩٧٣م .

٩١ ـ **الزينة في الكلمات الإسلاميّة والعربيّة : أبو حاتم الرازي**
أحمد بن حمدان (ـ ٣٢٢ ق) ، بولاق ـ القاهرة /١٩٥٨م .

٩٢ ـ **سبل السلام في شرح بلوغ المرام : أمير**
محمّد بن إسماعيل (١٠٩٩ ـ ١١٨٢ ق) ، دار ابن الجوزي ـ الرياض / ١٤٢١ هـ.

٩٣ ـ **سنن ابن ماجة : ابن ماجة**
محمّد بن يزيد (٢٠٧ ـ ٢٧٥ ق) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٧٥ م.

٩٤ ـ **سنن أبي داود : الحافظ أبو داود السجستاني**
سليمان بن الأشعث (٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ) ، تحقيق : سعيد محمّد اللّحّام ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٩٥ ـ **سنن الدارقطني : عليّ بن عمر**
طبع دار المحاسن للطباعة ، نشر : السيّد عبد الله المدني ـ المدينة المنوّرة.

٩٦ ـ **السنن الكبرى : البيهقي**
أحمد بن حسين ، (٣٨٤ ـ ٤٥٨ ق).

٩٧ ـ **سنن النسائي : النسائي**
أحمد بن شعيب بن علي بن بحر (٣٠٣هـ) ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٣٤٨ هـ/ ١٩٣٠م.

٩٨ ـ **سير أعلام النبلاء : الذهبي**
محمّد بن أحمد (٦٧٣ ـ ٧٤٨ ق) ، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت /١٩٩٣م.

٩٩ ـ **السيرة الحلبية : الحلبي**
أبو الصلاح تقي بن نجم (٣٧٤ ـ ٤٤٧ ق) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٨٣م.

١٠٠ ـ **السيرة النبويّة : ابن هشام الأنصاري**
دار الباز ـ السعوديّة.

١٠١ ـ **شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب : ابن عماد**
عبدالحيّ بن أحمد (١٠٣٢ ـ ١٠٨٩ ق) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٦٧م.

١٠٢ ـ **شرح العيون في رسالة ابن زيدون : ابن نباتة**

محمّد بن محمّد (٦٨٦ ـ ٧٦٨ ق) ، بيروت ـ دار الفكر / ١٩٨٠م .

١٠٣ ـ شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد
عبدالحميد بن هبة الله (٥٨٦ ـ ٦٥٥ ق) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٦٥ م .

١٠٤ ـ الشفا بتعريف أحوال المصطفى : القاضي عياض
عياض بن موسى (٤٧٦ ـ ٥٤٤ ق) ، دار ابن حزم ـ بيروت / ١٤٢٢ ق .

١٠٥ ـ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام :
الحاكم الحسكاني ، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد (القرن ٥ الهجري) .

١٠٦ ـ صحيح ابن حبّان : محمّد بن حبّان
(٢٧٠؟ ـ ٣٥٤ ق) ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٤١٩ م .

١٠٧ ـ صحيح البخاري : البخاري
محمّد بن إسماعيل (١٩٤ ـ ٢٥٦ ق) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٥٨ م .

١٠٨ ـ صحيح الترمذي : الترمذي
محمّد بن عيسى (٢٠٩ ـ ٢٧٩ ق) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٨٥ م .

١٠٩ ـ صحيح مسلم : مسلم
مسلم بن حجّاج (٢٠٦ ـ ٢٦١ ق) ، مؤسّسة عزّ الدين ـ بيروت / ١٩٨٧ م .

١١٠ ـ الصحيفة السجّاديّة : زين العابدين
الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام (٣٨ ـ ٩٤ ق) ، مؤسّسة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ قم المقدّسة / ١٤١١ ق .

١١١ ـ صلح الحسن عليه السلام : آل ياسين
راضي (١٨٩٦ ـ ١٩٥٣ ق) ، الشريف الرضي ـ قم المقدّسة / ١٤١٤ ق .

١١٢ ـ الصواعق المحرقة : ابن حجر الهيثمي
(٩٠٩ ـ ٩٧٤ ق) ، دار الرسالة ـ بيروت / ١٩٨٥ م .

١١٣ ـ **طبقات الفقهاء : أبو إسحاق الشيرازي**

إبراهيم بن عليّ (٣٩٣ ـ ٤٧٦ ق) ، دار العلم ـ بيروت /١٣٧٩ ش .

١١٤ ـ **الطبقات الكبرى : ابن سعد**

محمّد بن سعد (١٦٨ ـ ٢٣٠ ق) ، دار صادر ـ بيروت /١٩٦٨ م .

١١٥ ـ **عبقريّة الإمام عليّ : العقّاد**

عبّاس محمود (١٨٨٩ ـ ١٩٦٤ ق) ، دار المعارف ـ بيروت /١٩٩٠ م .

١١٦ ـ **العقد الفريد : ابن عبدربّه**

أحمد بن محمّد (٢٤٦ ـ ٣٢٨ ق) ، لجنة تأليف ـ القاهرة /١٩٥٣ م .

١١٧ ـ **علل الشرائع : ابن بابويه**

محمّد بن عليّ (٣١١ ـ ٣٨١ ق) ، ـ قم المقدّسة /١٣٨٠ ق .

١١٨ ـ **عليّ وبنوه : طه حسين**

(١٨٨٩ ـ ١٩٧٣ م) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٨٠ م .

١١٩ ـ **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : ابن عنبة**

السيّد جمال الدين أحمد الحسني ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف / ١٣٨٠هـ.

١٢٠ ـ **عيون أخبار الرضا عليه السلام : ابن بابويه القمّي**

أبوجعفر محمّد بن عليّ بن الحسين (٣٨١هـ): تحقيق : الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤٠٤هـ.

١٢١ ـ **عيون الأخبار وفنون الآثار : إدريس بن حسن**

(٧٩٤ ـ ٨٧٢ ق) ، معهد الدراسات الإسماعيليّة ـ لندن /١٩٩٠ م .

١٢٢ ـ **الغايات : ابن الرازي**

جعفر بن أحمد (القرن ٤ الهجري) ، آستانه قدس رضوي ـ مشهد المقدّسة /١٤١٣ ق .

١٢٣ ـ **غاية الاختصار في البيوتات العلويّة : ابن زهرة الحسيني الحلبي**

المكتبة الحيدريّة ـ النجف الأشرف / ١٣٨٢هـ.

١٢٤ ـ **الغدير : العلّامة الأميني**

عبدالحسين (١٢٨١ ـ ١٣٤٩ ق) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٨٥م .

١٢٥ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري : ابن حجر العسقلاني**

مراجعة محب الدين الخطيب ، منشورات دار الريّان للتراث ـ القاهرة .

١٢٦ ـ **فتح القدير : الشوكاني**

محمّد بن علي بن محمّد (١٢٥٠هـ) ، تحقيق عبد الرّزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

١٢٧ ـ **الفتنة الكبرى : حسين**

طه (١٨٨٩ ـ ١٩٧٣ ق) ، المكتبة الإسلاميّة ـ القاهرة /١٩٩١ م .

١٢٨ ـ **الفتوح : ابن أعثم الكوفي**

محمّد بن عليّ (ـ ٣١٤ ق) ، علمى فرهنگى ـ طهران /١٣٧٤ ش .

١٢٩ ـ **فرائد السمطين : الحموئي الجويني**

إبراهيم بن محمّد (٦٤٤ ـ ٧٧٢؟ ق) ، داوود ـ طهران /١٣٧٨ ش .

١٣٠ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنِّحل : ابن حزم**

عليّ بن أحمد (٣٨٤ ـ ٤٥٦ ق) ، بولاق ـ القاهرة /١٤٠١ ش .

١٣١ ـ **الفصول المهمّة : ابن الصبّاغ المالكي**

عليّ بن محمّد بن أحمد المكي (٨٥٥هـ) ، انتشارات الأعلمي ـ طهران ، الطبعة أُولى / ١٣٧٥هـ. ش .

١٣٢ ـ **فضائل الشيعة : ابن بابويه**

الشيخ الصدوق (٣٨١هـ) ، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤٠٣هـ.

١٣٣ ـ **فضائل الصحابة : أحمد بن حنبل**

(٢٤١هـ) ، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤٠٣هـ.

١٣٤ ـ **فهرست ابن النديم : ابن نديم**

محمّد بن إسحاق، تعليق الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

١٣٥ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي

محمّد عبدالرؤوف (٩٥٢ ـ ١٠٣١ ق)، دار الفكر ـ بيروت /١٤٢٣ ق.

١٣٦ ـ الكافي: الكليني

محمّد بن يعقوب (ـ ٣٢٩ ق)، دار الكتب الإسلاميّة ـ تهران /١٣٧٥ ش.

١٣٧ ـ الكامل في التاريخ: ابن الأثير

عليّ بن محمّد (٥٥٥ ـ ٦٣٠ ق)، دار الكتاب العربي ـ بيروت /١٩٨٥م.

١٣٨ ـ كشف الخفاء ومزيل الالتباس: العجلوني

إسماعيل بن محمّد (ت ١١٦٢هـ)، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١٣٩ ـ كشف الغمّة: الإربلي

عليّ بن عيسى (٤٦٧ ـ ٥٣٨ ق)، دار الأضواء ـ بيروت /١٩٨٥م.

١٤٠ ـ كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب: للحافظ الكنجي الشافعي

محمّد بن يوسف، (٦٥٨هـ)، تحقيق: محمّد هادي الأميني، دار إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام ـ طهران، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ / ١٣٦٢هـ. ش.

١٤١ ـ الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء: شرف الدين

عبدالحسين (١٨٧٣ ـ ١٩٥٨ ق)، الدراسات الإسلاميّة /١٩٩٦م.

١٤٢ ـ كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال: المتّقي الهندي

عليّ بن حسام الدين (٨٨٨ ـ ٩٧٥ ق)، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت /١٩٩٣م.

١٤٣ ـ كنوز الحقائق: المناوي

محمّد عبدالرؤوف بن تاج العارفين (٩٥٢ ـ ١٠٣١ ق)، المكتبة الإسلاميّة ـ القاهرة /١٩٨٦ ش.

١٤٤ ـ الكنى والألقاب: القمّي

عبّاس (١٢٥٤ ـ ١٣١٩ ق) ، المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف /١٩٦٩ م .

١٤٥ ـ اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : السيوطي
جلال الدين عبدالرحمن (٩١١هـ) ، تحقيق : صلاح محمّد ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٤٦ ـ الله والعلم الحديث : نوفل
عبدالرزاق ، المكتبة الإسلاميّة ـ القاهرة /١٩٨٨ ق .

١٤٧ ـ اللهوف في قتلى الطفوف : السيّد ابن طاووس
عليّ بن موسى الحسيني (٦٦٤هـ) ، أنوار الهدى ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٧هـ.

١٤٨ ـ المجالس الفاخرة (المقدّمة) : شرف الدين العاملي
عبدالحسين ، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة ـ قم المقدّسة .

١٤٩ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي
فضل بن حسن (٤٦٨ ؟ ـ ٥٤٨ ق) ، إسلاميّة ـ طهران /١٣٨٢ ق .

١٥٠ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : الهيثمي
عليّ بن أبي بكر (٧٣٥ ـ ٨٠٧ ق) ، دار الكتاب العربي ـ بيروت /١٤٠٢ م .

١٥١ ـ تنبيه الخواطر ونزهة النواظر = مجموعة ورّام : ورّام بن أبي فراس
أبو الحسين المالكيّ الأشتريّ ، دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران .

١٥٢ ـ المحاسن : البرقي
أحمد بن محمّد (ـ ٢٧٤؟ ق) ، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم‌السلام ـ قم المقدّسة /١٤١٦ ق .

١٥٣ ـ المراجعات : الإمام شرف الدين
عبدالحسين (١٨٧٣ ـ ١٩٥٨ م) ، أُسوة ـ تهران / ١٣٨٠ ق .

١٥٤ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان : اليافعي
أبو محمّد ، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / ١٣٩٠هـ.

١٥٥ ـ **مرآة الزمان : ابن الجوزي**
يوسف بن قزاوغلي (٥٨١ ـ ٦٥٤ ق) ، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة /١٣٦٦ ق .

١٥٦ ـ **المستدرك على الصحيحين : الحاكم النيسابوري**
محمّد بن عبدالله (٣٢١ ـ ٤٠٥ ق) ، دار الكتاب ـ مصر /١٩٨٠ م .

١٥٧ ـ **مستدرك الوسائل : النوري**
حسين بن محمّد تقي (١٢٥٤ ـ ١٣٢٠ ق) ، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة /١٣٦٦ ق .

١٥٨ ـ **مسند أبي يعلى : الحافظ أبو يعلى التميمي الموصلي**
أحمد بن علي بن المثنّى (٣٠٧هـ) ، تحقيق : حسين سليم اسد ، طبعة دار المأمون للتراث ـ دمشق و بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .

١٥٩ ـ **مسند أحمد بن حنبل : ابن حنبل**
أحمد بن محمّد (١٦٤ ـ ٢٤١ ق) ، دار الجيل ـ بيروت /١٩٩٤ م .

١٦٠ ـ **مسند زيد بن عليّ**
زيد بن عليّ رضي الله عنه (١٢٢هـ) ، دار الحياة ـ بيروت .

١٦١ ـ **مصابيح السنّة : البغوي**
الحسين بن مسعود الفرّاء ، دار المعرفة ـ بيروت / ١٤٠٧هـ .

١٦٢ ـ **مطالب السؤول في مناقب آل الرسول : ابن طلحة القرشي**
كمال الدين ، مؤسّسة أُمّ القرى ـ قم المقدّسة / ١٤٢٠هـ .

١٦٣ ـ **المعارف : ابن قتيبة الدينوري**
أبو محمّد عبدالله بن مسلم ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٤٠٧هـ .

١٦٤ ـ **معاني القرآن الكريم : النحّاس**
أحمد بن محمّد (ـ ٣٨٤ ق) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٤٠٤ ق .

١٦٥ ـ **معجم البلدان : ياقوت الحموي**

شهاب الدين أبو عبدالله الرومي البغدادي (٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٣٩٩هـ.

١٦٦ ـ **معجم رجال الحديث: الموسوي الخوئي**
سيّد أبوالقاسم (١٤١٣هـ)، الطبعة الخامسة طهران ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٦٧ ـ **معجم الشعراء: المرزباني**
محمّد بن عمران (٢٩٧ ـ ٣٨٤ ق)، المكتبة الإسلاميّة ـ القاهرة /١٣٥٤ ق.

١٦٨ ـ **المعجم الأوسط: الطبراني**
أبوالقاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ)، تحقيق: محمود الطحّان، طبعة مكتبة المعارف ـ الرياض، الطبعة أُولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٦٩ ـ **المعجم الصغير: الطبراني**
أبوالقاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٧٠ ـ **المعجم الكبير: الطبراني**
سليمان بن أحمد (٢٦٠ ـ ٣٦٠ ق)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٤٠٦ ق.

١٧١ ـ **المغني: الأسدآبادي**
عبدالجبار أبوالحسن (٤١٥هـ)، طبعة الدار المصرية ـ القاهرة.

١٧٢ ـ **مقاتل الطالبيّين: أبو الفرج الأصفهاني**
عليّ بن الحسين بن محمّد بن أحمد (٣٥٦هـ)، نشر مكتبة الشريف الرضي ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

١٧٣ ـ **المقالات والفرق: الأشعري القمّي**
سعد بن عبدالله (٢٩٩ أو ٣٠١).

١٧٤ ـ **مقتل الحسين عليه‌السلام: الخوارزمي**
أخطب خوارزم موفّق بن أحمد (٤٨٤ ؟ ـ ٥٦٨ ؟ ق)، أنوار الهدى ـ قم المقدّسة /١٤١٨ق.

١٧٥ ـ **مقدّمة ابن خلدون : ابن خلدون**

عبدالرحمن بن محمّد (٧٣٢ ـ ٨٠٨ ق) ، دار إحياء التراث ـ بيروت /١٩٩٥ م .

١٧٦ ـ **الملل والأهواء : ابن حزم**

عليّ بن أحمد (٣٨٤ ـ ٤٥٦ ق) ، دار صادر ـ بيروت /١٩٨٠ م .

١٧٧ ـ **المناقب : الخوارزمي**

أبي المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد البكري المكّي الحنفي (٥٦٨هـ) تحقيق مالك المحمودي ، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم / ١٤١١هـ.

١٧٨ ـ **مناقب آل أبي طالب : ابن شهرآشوب**

محمّد بن عليّ (٤٨٨ ـ ٥٨٨ ق) ، ذو القربى ـ قم المقدّسة /١٤٢١ هـ.

١٧٩ ـ **مناقب الامام علي بن أبي طالب عليه‌السلام : ابن المغازلي**

أبي الحسن علي بن محمّد الشافعي (٤٨٣هـ).

١٨٠ ـ **منتخب مرآة الجنان وعبرة اليقظان : اليافعي**

عبدالله بن أسعد (٦٩٨ ـ ٧٦٨ ق) ، الحلبي ـ القاهرة .

١٨١ ـ **منهاج السُنّة النبويّة : ابن تيميّة الحراني الدمشقي**

تقي الدين أحمد بن عبدالحليم (٦٦١ ـ ٧٨٢هـ) ، إدارة الثقافة ـ مكّة المكرّمة / ١٤١٢هـ.

١٨٢ ـ **منهاج المقال في تحقيق أحوال الرجال : الآسترآبادي**

محمّد بن عليّ (ـ ١٠٢٨ ق) ، مؤسّسة آل البيت عليهم‌السلام قم المقدّسة /١٤٢٢ ق .

١٨٣ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال : الذهبي**

دار الفكر ـ بيروت /١٩٨٠ م .

١٨٤ ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : الأتابكي**

أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (٧٨٤هـ).

١٨٥ ـ **الخصال : الشيخ الصدوق**

محمّد بن عليّ (٣١١ ـ ٣٨١ ق) ، جماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة /١٣٦٢ ش .

١٨٦ ـ نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس : الموسوي الحسيني
عبّاس بن عليّ (القرن ٢ الهجري) ، المكتبة الحيدريّة ـ قم المقدّسة /١٤١٧ ق .

١٨٧ ـ نزهة المجالس ومنتخب النفائس : الصفوري
عبدالرحمن بن عبدالسلام (٨٩٤ ق) ، المكتبة الإسلاميّة ـ القاهرة /١٩٨٠ م .

١٨٨ ـ النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية : العلويّ
محمّد (١٨٦٣ ـ ١٩٣١ ق) ، دار الثقافة /١٤١٢ ق .

١٨٩ ـ النصّ والاجتهاد : الإمام شرف الدين
عبدالحسين (١٨٧٣ ـ ١٩٥٨ م) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٨٥ م .

١٩٠ ـ نور الابصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار : الشبلنجي
مؤمن ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت /١٩٨٦ م .

١٩١ ـ نهاية الإرب في فنون الأدب : النويري
أحمد بن عبدالوهاب النويري (٧٣٣هـ) ، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسّسة المصرية ، مطبعة دار الكتب المصرية .

١٩٢ ـ النهاية في غريب الحديث : ابن الأثير
مبارك بن محمّد (٥٤٤ ـ ٦٠٦) ، دار الفكر ـ بيروت /١٩٩٠ م .

١٩٣ ـ الوحدة الإسلاميّة : الحسيني ، رشيد رضا .

١٩٤ ـ وسائل الشيعة : الحرّ العاملي
محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن الحسين (١١٠٤هـ) مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ، قم المقدّسة ـ الطبعة الثانية /١٤١٤هـ.

مُحتَويَاتُ الكِتابِ

تأسيس الشيعة

١٧ ـ ٣١

الخلافة ضرورة إسلاميّة

٣٣ ـ ٥١

أهل البيت عليهم السلام
في ظلال القرآن والسنّة

٥٣ ـ ٧٣

الشيعة و الغلوّ

٧٥ ـ ٨١

الفتنة الكبرى

٨٣ ـ ١١٣

الشيعة و الصحابة

١١٥ ـ ١٥٥

أدوار رهيبة

المناهج السياسيّة عند الشيعة

الأرصدة التربويّة والأخلاقيّة عند الشيعة

التطوّر و الابداع

الاطار العقائدي

اتّهامات رخيصة

٢٨١ ـ ٢٩٨